جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية
قسم الفلسفة

اطروحة
لـــــنيـــل شهادة الدكتوراه
في الفلسفة

مفهوم التسامح في الفكر العربي الإسلامي المعاصر

(دراسة تحليلية لمفهوم التسامح وتأصيله في التراث)

إعداد الطالب (ة): بن سليمان عمر

إشراف الأستاذ: عبد اللاوي عبد الله

تشكيلة لجنة المناقشة :

اسم و لقب الاستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
الزاوي حسين	أستاذ التعليم العالي	رئيس اللجنة	جامعة وهران 2
عبد اللاوي عبد الله	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة وهران 2
عبد المجيد دهوم	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 2
بوشيبة محمد	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة وهران 2
بلعاليا دومة ميلود	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة الشلف
العربي ميلود	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة مستغانم

الموسم الجامعي
2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

"فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"

الآية 109 سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:"**وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**"

الآية 103 سورة أل عمران

قال تعالى: "**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**"

الآية 256 سورة البقرة

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى كل مثابر يبتغي تكسير الحواجز التي لا طالما كبحت العديد من الإرادات وحالت دون بلوغ سعادة العلم المؤدي إلى خدمة الإنسانية نموذجها الإنسان المتسامح.

إلى روح الأب الطاهرة إلى والدتي التي تشفق علي حتى وأنا أطلب العلم ،إلى رفيقة دربي ومحفزي زوجتي الفاضلة، إلى أخي العزيز وكل الأبناء وعلى رأسهم الطبيبة أمينة إلى كل عمال قسم الفلسفة بجامعة وهران، وأساتذة وعمال قسم العلوم الإنسانية بجامعة ابن خلدون تيارت.

شكر وعرفان

نشكر كل من ساعدنا على إنجاز هذا العمل المتواضع، حتى ذلك الذي وفر لنا كتابا أو منحنا قلما، أو وجهنا إلى طريق نبتغي فيه علما أو ننهل منه فكرة، وشكرنا الموصول إلى أساتذتنا المحترمين وعلى رأسهم الأستاذ المشرف **عبد اللاوي عبد** الله وكل أستاذ أعاننا لإنجاز هذا العمل دون أن ننسى الأستاذ **دهوه عبد المجيد وبوساحة عمر من جامعة الجزائر 2 إلى جانب أساتذة قسم الفلسفة لجامعة وهران 2** وكذا الأساتذة المشرفين على المناقشة والذي أعمل جاهدا للأخذ بنصائحهم وتوجيهاتهم حتى أتدارك النقائص.

المقدمة

المقــدمة:

كثيرة هي المفاهيم المتداولة في الوقت الراهن والتي تحتاج إلى تفسير واضح ودقيق لمدلولاتها ومعانيها ،لكن توظيف هذه المفاهيم دون تحديد المعنى الحقيقي لها يؤول دائما إلى تشويه المفهوم على مستوى المضمون، كما يجعله عرضة للتوظيف الإيديولوجي المتعصب المؤدي إلى الانحرافات التي تنعكس سلبا على الأخلاق العامة السائدة في المجتمعات. ومن هذه المفاهيم التي تتطلب تحديد مضامينها ومعانيها التاريخية والفلسفية والاجتماعية والأخلاقية مفهوم التسامح، هذا المفهوم الذي أصبح في الوقت الراهن ملازما لسلوك الفرد والمجتمع، أي أنه أصبح مطلبا أكثر من ضرورة بالنسبة للمجتمعات، خاصة المجتمعات العربية الإسلامية التي استفحلت في أوساطها ظواهر التعصب والعنف التي تعددت مصادرها و صار من الصعب تحديد أسبابها، ومسألة التسامح مطروحة في الواقع المعاش بشكل ضمني ولكن غير منظر لها من وجهة نظر نقدية، بمعنى أنه لا توجد كتب وقوانين تنص عليها في اللغات الإسلامية كالعربية والفارسية ولغات الشرق الأقصى الإسلامية، لأنها تدخل ضمن دائرة اللامفكر فيه، مثلها مثل بقية المواضيع التي يستحيل التفكير فيها كما أشار إلى ذلك المفكر محمد أركون (**1928-2010**). إذن كيف نتمكن ضمن هذه الشروط أن نقبل بالموقف الذي يستشهد بالآية الكريمة "**لا إكراه في الدين**" البقرة الأية 256 وذلك من أجل التأكيد على أن الإسلام قد سبق غيره من الأديان إلى التنظير للتسامح كسمة أخلاقية وكفضيلة إنسانية.

والتسامح حسب علي حرب أصبح حقيقة إنسانية لا جدوى من تجاوزها أو طرح السؤال لماذا حدث و بالاحتجاج عليه بالقول ما كان ينبغي أن يحدث. فما يحدث له حقيقته ولا يسعنا إلا العمل من أجل فهمه وإستعابه ومحاولة احتوائه قبل أن يحتوينا.وإذا كانت قضية التسامح حديثة في مجتمعاتنا العربية وهي ما تفتقر له وما تحتاج إليه ،فإنها ما تزال محدودة على الصعيد العالمي، ولعل إعلان منظمة اليونسكو بشأن التسامح في تشرين الثاني 1995 كان قد حث المجتمع الدولي على الإحتفال بيوم التسامح ودعا إلى إعتماد أساليب منهجية وعقلانية لتعليم التسامح وذلك بعد تشخيص أسباب اللاتسامح الثقافية

والإجتماعية والدينية والسياسية وغيرها،أي أنه دعا إلى فحص وتدقيق الجذور الرئيسية للتمييز والعنف والإستبداد في المجتمعات، لاسيما مع الأخر المختلف من دون تأثيم أو تحريم أو تجريم، ذلك أن المجتمع البشري بحاجة إلى نشر وتأصيل قيم التسامح كمنظور إنساني وأخلاقي لا يمكن تقدم المجتمع الدولي والإنساني من دونه. وحسب إعلان اليونسكو فالتسامح يعني الإحترام والقبول والتقدير والتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا ،وهو يتعزز بالمعرفة والإنفتاح والإتصال مع الأخر وحرية الفكر والضمير والمعتقد. وقبل هذا لابد أن نشير إلى أن التسامح مبدأ أصيل في كل الديانات السماوية ، وما هو إلا منظومة إجتماعية ذات أبعاد دينية جاءت لتنظيم العلاقات الإنسانية على أسس من الخير والعدالة والمساواة ،القائمة على مبدأ الإعتراف بالأخر والقبول به وذلك دون التخلي على المبادئ .

لقد أصبح التسامح حاجة ماسة، ولم يعد ترفا فكريا أو تقليدا ونقيضه هو التعصب أو بالمعنى الأوضح اللاتسامح.

فالسؤال الذي يستوجب الطرح هو كيف تعامل الخطاب العربي الإسلامي المعاصر مع فكرة التسامح؟

وبالتالي ما هي الإشكالية المركزية التي من الواجب طرحها للوصول إلى إيجاد المفهوم المناسب لمصطلح كلمة تسامح التي تمكننا من تأصيلها في التراث.

وبعدئذ ينبغي علينا أن نحدد مفهوم التسامح، أصله، معناه، أي بطرح السؤال ما هو أصله؟ متى تبلور لأول مرة؟ ما هي مضامينه؟ ما هي شروط تحققه أو تطبيقه في المجتمع، كما ذهب إلى ذلك العديد من المفكرين المعاصرين، وعلاقته أولا بالديانات السماوية الأخرى غير الإسلام، حتى نتمكن من اكتشاف هذا السلوك، في مجتمعاتنا العربية الإسلامية معرجين خاصة على عصر النهضة والحركة الإصلاحية الذي نادى بها محمد عبده والطاهر بن عاشور وفيما بعد عبد الحميد ابن بأديس وغيرهم كثيرون، كذلك الأمر فيما يخص اللاتسامح أو ما ندعوه بالتعصب الديني، ذلك إذا ما أردنا المعالجة الحقيقة لمفهوم التسامح قبل تأصيله في التراث، والعمل وفقه كسلوك مؤدي إلى تقبل

الأخر والتعايش معه، فإنه لا يكفي أن نطرح تساؤلات على الحدود المفهومية للتراث الإسلامي أو الديانات السماوية الأخرى لمعرفة تطبيق التسامح داخل نطاقه الخاص، والذي نقصده هنا هو أن مصطلح التسامح وإن كان عالمي الأفق كون أن الإنسانية تسعى دائما إلى بلوغه لأجل بلوغ السعادة والتعايش فيما بينها، إلا أننا نجد التسامح عملية صعبة، لا تستطيع كل المجتمعات أن تألفه أو أن تؤمنه لمفكريها، والدليل على ذلك أنه في القرن السابع عشر كان ممنوعا أو مقيدا بقيود صارمة، كما هي عليه الآن في المجتمعات العربية الإسلامية، هذا بالرغم من أنه أصبح حقيقة واقعة في المجتمع الأوروبي، وغيره من المجتمعات التي أصبحت تتعامل مع الواقع وتعيشه بمنطق عقلي، كما أن التسامح مرتبط بدرجة تطور المجتمعات أو عدم تطورها أو أن دراجاته وأشكاله تختلف باختلاف التقاليد والسياسات المهيمنة على الشعوب، كما يمكن أن يكون نوعا من الشفقة المخلصة قليلا أو كثيرا أو المحسوبة بدقة كما هو حاصل بالنسبة للحلم العربي، أي شفقة الغني على الفقير أو القوي على الضعيف أو الغالب على المغلوب.

واليوم ماذا نلاحظ في الجهة العربية الإسلامية ؟ بالطبع نجد أن المفكر العربي أو المصلح الاجتماعي ينظر للتسامح أو يشير إلى السلوك دون تأثيره في المجتمع، إذ نجد المجتمعات العربية الإسلامية غارقة في التعصب واللاتسامح والعنف، هذا على الرغم من احتكاكها بالحضارات، ودراستها للتراث الإسلامي بالتفسير والتأويل هذا التراث الذي عرف المصطلح وأشار إليه في أيام كان الإنسان يبحث عن رغيف يسد به الرمق، خاصة في العصور الوسطى أيام الحكم الأموي وفي العصر الحديث مع بلاد الأندلس، إذن ما الأسباب التي حالت دون تحقيق نفس الغاية والسلوك؟ بالطبع نجد أنها دائما تعود أو تتعلق بالتعصب الديني وعدم تقبل الغير(الأخر)،هذا السلوك الذي لم تعهده البلاد الإسلامية والإسلام بصفة عامة.

أما إذا رجعنا إلى لفظ التسامح الذي سنتعرض له بالتفصيل في احد فصول الموضوع، فنجد أنه مشتق من الكلمة اللاتينية **(TOLERE)** أي يعاني أو يقاسي والتسامح نابع من السماحة وهو اعتراف بثقافة الأخر، و تفاهم جماعي متبادل بين مختلف الفئات

والشعوب، كما يعتبر التسامح مبدأ من مبادئ الإنسان ،يتضمن الحرية والمساواة كما نصت عليه الشريعة الإسلامية وتضمنته ديباجة ميثاق الأمم المتحدة .

تعددت الاجتهادات في تفسير المصطلح من شتى جوانبه اللغوية والفلسفية والاصطلاحية واختلفت من لغة لأخرى.

فوفق الكثير من المعاجم تعني كلمة(**Tolération**) سياسة التسامح بوجود كل الآراء الدينية وأشكال العبادة المناقضة أو المختلفة مع المعتقد السائد مهما كان هذا المعتقد.

لم يولد مفهوم التسامح ويكتمل تطوره دفعة واحدة، لكنه كان مفهوما يعبر عن ظاهرة اجتماعية مرت بمراحل نمو وتطور، وكذلك تعرض وما زال يتعرض لإنتكاسات وتراجعات نتيجة العديد من العوامل والظروف، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية وغيرها، لكن بحلول القرن الثامن عشر شاهدت المجتمعات تطور لافت للإنتباه لمفهوم التسامح بمجرد إعتباره وسيلة مخلصة للشعوب من أزماتها بظروفها السياسية والدينية التي طبع عليها العنف والاستبداد واللاتسامح، وكل ما هو لا أخلاقي. هذا المصطلح الذي اعتبر قيمة أخلاقية فاضلة تأملها المجتمعات وتعمل على تبنيها كسلوك في الحياة اليومية للتخلص من الظواهر السلبية التي أرقت الشعوب. عليه نقول أن غالبية تعريفات التسامح تنبع من الإستعداد لتحمل الأشياء والمعاشرة وتقبل الأخر والسماح بالتعبير عن الأفكار التي نختلف معها، من هنا يتضح عنصر الإختلاف باعتباره القاعدة التي يبقى وفقها الحوار ويحقق بها التسامح.

وهكذا فإن المفهوم يعني أولا قبول الإختلاف وأن نقيضه هو التعصب أو اللاتسامح والذي ينفي الإختلاف ويسعى للبحث عن التماثل وإنكار أي شكل من أشكال التنوع والحرية.

أهمية الموضوع :يعتبر البحث في موضوع التسامح كسلوك أخلاقي وكعلاقة إنسانية واجتماعية في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، من أهم القضايا التي تشغل جميع الحضارات، فهي لا تقتصر على الحضارة العربية أو الإسلامية فحسب بل أصبحت اليوم انشغالا مركزيا في الثقافات العالمية، ويعود ذلك إلى الحاجة الماسة لإدراك مختلف

الآليات التي يعتمد عليها الخطاب، ومقارنته مع غيره بصورة أكثر موضوعية بهدف معرفة الأبعاد التي يسعى إليها كل واحد لأجل استيعاب وإدراك علاقة التفاعل الإيجابي مع موضوع التسامح كأسلوب وسلوك مؤدي إلى التعايش فيما بين المجتمعات العربية، وبينها وبين الحضارات والمجتمعات الأخرى وذلك انطلاقا من تحديد مفهوم التسامح في أفاقه العربية الإسلامية والعالمية، والبحث عن الآليات المناسبة التربوية والأخلاقية والعقائدية والثقافية للتمكن من تأصيل المفهوم في التراث العربي الإسلامي وفق المبادئ التي تحفظ الثوابت والقيم الإسلامية.

كما أن هناك قضايا ومشاكل راهنة تعرفها المجتمعات المعاصرة تجعل من سؤال التسامح موضوعا للتفكير في أبعاده المتعددة، لكن المثقف العربي والإسلامي بصفة عامة وبحكم انتمائه الحضاري سيجد فكره محاصر بسؤال إشكالي مغاير وخاص يدور حول مفهوم التسامح في حد ذاته وهل عرفته الثقافة العربية الإسلامية سابقا؟ أي هل كان مفكر فيه؟ إلى جانب ذلك كله يمكن اعتبار أهمية الموضوع فيما تفرضه الحاجة الإنسانية الملحة والوضع الإنساني المعاصر الذي أصبح يفتقد إلى الركائز الأخلاقية التي تقام عليها الحضارات، الأمر الذي يستدعي إعادة التفكير والتمسك بفكرة التسامح وذلك بإعطائه صورة جديدة تتلاءم والوضع المعاش من أجل الدفاع عن قضايا الإنسان والمجتمع وخاصة الأمر المتعلق بالحريات والحقوق.

الإشكالية:

تقوم دراسة الإشكالية أو طرحها حول البحث في حقيقة التسامح كمفهوم وكسلوك أخلاقي عرفته الحضارات على مسار التاريخ وانعكاساته على المجتمعات وخاصة المجتمع العربي الإسلامي المعاصر.

فالرسالة أو بالأحرى الدراسة تبنى وفق مطالب ومحاور وزعت لإحتواء الموضوع. عليه نقول أنه لا يمكن إنجاز هذا البناء دون الوصول إلى طرح الإشكالية التي تتناسب وتحقيق أهداف الموضوع. ولعل الإشكالية المحورية لدراستنا هذه يختصرها التساؤل الذي

يشغل بحثنا أكثر من غيره والمتمثل في مفهوم التسامح في الفكر العربي الإسلامي المعاصر.

إن التفكير في مفهوم التسامح يحيلنا إلى طرح مجموعة من التساؤلات والتي تؤدي الإجابة عليها إلى المساهمة في بناء تصور جديد للمفهوم على ضوء معطيات العصر،فلهذه الأسباب وغيرها فضلنا أن تكون إشكالية موضوعنا على شكل تساؤلات حتى نتمكن من إثراء البحث، وجعله يتماشى والواقع الذي نعيش، والتي طغت عليه كل أساليب الإختلاف، وفقدت فيه المجتمعات السلم والسلام، فساد اللاتسامح والتعصب وحل العنف في مجالات الحياة اليومية وسادت فيه الحروب والتناحرات المادية والأخلاقية وذلك وفق أسباب واهية والتي لا تمت للإنسانية بصلة.

فجاءت الإشكالية كالتالي:

هل للتسامح معنى في المجتمعات العربية الإسلامية.؟

وهل مفهوم التسامح يندرج ضمن أنواع اللامفكر فيه في الفكر العربي الإسلامي المعاصر؟

وهل التراث العربي الإسلامي عاملا مساعدا لتكون عقلية قابلة بشرعية الاختلاف والتسامح؟

<u>فرضية الدراسة</u>:

أقمنا الموضوع وفق فرضية مفادها أن التسامح مهما كان نوعه يعتبر سلوكا إنسانيا، لذا يستوجب على الباحث إيجاد الآليات المناسبة لرفع التناقض القائم بين المجتمعات العربية الإسلامية المعاصرة، خاصة في موضوع قراءة التراث، و التعامل مع النصوص.

ومن خلال بحثنا في مفهوم التسامح في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، هذا الإسلام الذي يمتاز بالوسطية التي تأملها المجتمعات العربية الإسلامية، وذلك من خلال الأفكار والمحاور الموظفة في الدراسة حتى نتجنب الوقوع في إلغاء الذات، ولحل الإشكالية التي تتمحور حولها هذه الدراسة فإنها تفترض أن التسامح يعني القبول بوجود

الأخر المختلف والاعتراف به، وإحترامه، أي إحترام إختلافه أيا كان موضوعه، أو نوعه أو درجته، لكن هذا يختلف مع إفتراضنا وتعاملنا مع التسامح كظاهرة يستوجب إحتوائها، لأن التسامح الذي نزعم تحقيقه هو ذلك الذي نحقق فيه ذواتنا، ونحفظ به حقوق غيرنا لا التسامح الذي نكون فيه خارج إطار التفاعل بمعنى نكون فيه فاعلين لا منفعلين.

وبالتالي تم توزيع الموضوع وفق فرضية الدراسة وجاءت كالتالي: **مقدمة، قراءة في المقابلات، أربعة فصول ، فخاتمة.**

في البداية و مباشرة بعد المقدمة فضلنا القراءة في المقابلات والتي جاءت على شكل مدخل سنتعرض فيها إلى بعض المصطلحات التي تقابل مصطلح مفهوم التسامح وهو موضوع الدراسة.

هذه المفاهيم التي بدونها لا يمكن فهم المعنى الحقيقي للتسامح والتي حصرناها في اللاتسامح (intolérance)، التعصب(fanatisme)، الدغمائية(dogmatisme)، (الايديولوجة idiologie)، (الحرية (liberté) ، الأخر (l'autre)، الغيرية (l'altérité)، الإرهاب (térorisme)، العنف (violence)، وذلك لإدراك أن التسامح جاء كنتيجة لهذه الظواهر السلبية التي تفشت في أوساط المجتمعات وأرقت الشعوب في القرون الوسطى، كما في العصور الحديثة والمعاصرة.

ففي الفصل لأول والمعنون بـــ "**التسامح من المفهـــــوم إلى التاريخ**" "فوزعناه إلى ثلاثة **مباحث**، سنتحدث في **مبحثه الأول** –. عن الدلالة اللغوية والاصطلاحية والفلسفية للتسامح حتى نوضح أكثر لمن يبحث عن معناه ومصدره.

أما في **مبحثه الثاني** ففضلنا التعرض للمراحل التاريخية التي مر بها التسامح، بدءا بالحضارة الشرقية القديمة المتمثلة في الحضارة المصرية الفرعونية وحضارة ما بين النهرين، ثم الحضارة البوذية(الهند) والكونفوشيوسية الصينية.ثم التسامح في الحضارة الغربية القديمة والتي حصرناها في اليونانية القديمة فالرومانية.

وفي **مبحثه الثالث** تعرضنا إلى معرفة التسامح في الفكر الغربي الحديث والمعاصر، ذلك لما لهذه الفترة من تأثير على المجتمعات الأوربية التي تجرعت ويلات

التعصب والعنف حيث لم تجد من سبيل للخروج من هذه الأوضاع إلا انتهاج التسامح كسلوك مخلص لشعوبها.

أما الفصل الثاني: والذي عنوناه **بمفهوم التسامح في الإسلام.**

والذي احتوى مبحثين و التي بواسطتها نبحث في مفهوم التسامح مع ظهور الإسلام ثم في عهد الخلافة الراشدة وصولا إلى الحركة العربية الإصلاحية والتي حصرناها في أهم شخصيات المرحلة العربية الإصلاحية كالمفكر محمد عبده. والعلامة عبد الحميد بن باديس الجزائري إلى جانب المصلح التونسي **الطاهر بن عاشور**، هذا بالرغم من حساسية الموقف والموضوع.

إلى جانب **الفصل الثالث** الذي احتوى **ثلاثة مباحث** والذي جاء معنونا بـــ"**التسامح وإشكالية الأنا والآخر في الفكر العربي الإسلامي المعاصر** ففي **المبحث الأول** سنحدد معنى الأنا والأخر وفي **المباحث الباقية** نقوم بإعطاء نماذج فكرية عربية أولت للموضوع أهمية خاصة إستطاعت أن تبرهن على أن التسامح ليس وليد الحركة الإصلاحية الأوربية فقط بل أصبح حتمية تطلبتها الظروف الراهنة و ما أصبحت تعانيه المجتمعات قاطبة والمجتمع العربي الإسلامي على وجه الخصوص .كالدكتور **أركون محمد** الذي نفى علاقة التسامح بالفكر العربي الإسلامي في البداية و **على اومليل** الذي ربط التسامح بشرعية الاختلاف.

وفي **الفصل الرابع:** فضلنا الرجوع إلى التراث فجاء العنوان على الشكل التالي :" **إشكالية تأصيل مفهوم التسامح في التراث** "والذي ضم مبحثين ،حيث نعرف فيه التراث لغة وإصطلاحا إلى جانب الوقوف عند إبراز قيمته وأهميتة في معرفة أصل التسامح وتجلياته، وفي **مبحثه الثاني** و المعنون **بتأصيل التسامح في التراث** والذي سننقب فيه لأصل البحث عن ما يدل على معنى التسامح في التراث وإسهامات الحضارة الإسلامية في إرساء قيمه ،وذلك للحفاظ على الذات الحضارية المسلمة وانتمائنا المميز لها.

وأنهينا بحثنا **بخاتمة** والتي جمعنا فيها كل ما تعرضنا له في الموضوع بالدراسة، خاصة الجوانب المتعلقة بالمواقف والأهداف التي تضمنتها الإشكالية أي هل بالفعل توصلنا إلى الوقوف عند الاستفهامات التي مهدت للموضوع، وخاصة الجوانب المتعلقة

بالمواقف والأهداف، والأمور النقدية والأفاق المتعلقة بالدراسة ،التي تأمل في تحقيقها الشعوب ،وفي مقدمتها الشعوب العربية الإسلامية في الأوقات الراهنة والمستقبلية، والإلتزام دائما بذكر الخطوات التي توصلنا إليها ونحن نسير وفق لمسات الإشكالية وهل حقا تمكنا من الإجابة على التساؤلات المطروحة والتي حلت محل الإشكالية.

وأرفقنا دراستنا المتواضعة هذه، بمجموعة من **الملاحق** التي تضمنت قوائم الأعلام والآيات القرآنية التي توصل للتسامح، وبعض المفاهيم باللغة الأجنبية والمتعلقة بالمصطلح، أو ما يقابله من معاني ومحايثات، لبلوغ التسامح كسلوك حضاري تأمله الأفراد والمجتمعات.

المنهجية المتبعة:

سنتناول منهجية الدراسة على ضوء ما يثيره مفهوم التسامح في الفكر العربي الإسلامي المعاصر من إشكاليات منهجية وموضوعية من حيث الحاجة إلى دراسته والكشف عن ملامحه وتاريخه، أي جذوره الأصلية وتبيان ماهيته وتحديد أبعاده الاجتماعية والأخلاقية، والسياسية والإنسانية بصفة عامة.

لهذه الأسباب وغيرها سنكون ملزمين بتوظيف أنواع من المناهج للتمكن من الإحاطة بجوانب الموضوع المتشعبة.

بدءا **بالمنهج التكاملي** وذلك بدراسة ووصف مفهوم التسامح في الفكر العربي الإسلامي، والكشف عن خفاياه وتأصيله في الواقع من خلال التراث أي استنادا إلى الفكرة من الوحي إلى العصر، لكي نفهمه بلغة اليوم، كما أن الدراسة فرضت علينا توظيف إلى جانب ذلك **المنهج التحليلي**، إذ بواسطته نحلل مفهوم التسامح في الفكر العربي الإسلامي والفكر الغربي بدءا بالقديم، إذ نستنبط من هذا التحليل أن لهذا المفهوم في كلا الفكرين أهمية بالغة لدى المفكرين والباحثين العرب المسلمين والغربيين، وأن التسامح في الفكر العربي الإسلامي مقرون بالعقيدة والمبدأ،إذ يعتبر من الثوابت، أما في الفكر الغربي فإنه وليد المعاناة والحروب والأنظمة الحاكمة والكنيسة وخاصة في العصور الوسطى وما قبلها، والتي اتسمت بالويلات والحروب المدمرة وبالأخص الحروب الدينية المسيحية، سواء بين المسيحيين أنفسهم (الكاثوليك والبروتستانت) أو بين المسيحيين والمسلمين في

الحروب الصليبية، وما يلائم هذه الدراسات بالطبع **المنهج التاريخي** وهو الأساس في دراسة مثل هذه المواضيع، حيث بواسطته نستطيع أن نقوم باستقراء مفهوم التسامح في العصور التاريخية المتعاقبة وصولا إلى راهنيه المصطلح.

الدراسات السابقة:

بالرغم من راهنية المفهوم وحاجة المجتمعات الماسة لتوظيفه في حياتها اليومية وفي علاقاتها مع بعضها البعض في شتى المجالات ،إلاّ أن بحثنا وتنقيبنا لم يمكّننا من الإمساك إلا ببعض الأعمال التي لم تخرج عن الملتقيات والمقالات والأيام الدراسية، وذلك في جل بقاع الأقطار العربية، وبعض النماذج الغربية. هذا مع مصادفتنا لبعض المؤلفات التي خاضت في الموضوع، والتي تميزت بالجرأة أمثال "**محمد أركون**" و"**محمد عابد الجابري**" و"**علي أومليل** " في عمل جماعي المعنون ب:" **التراث وسؤال التسامح**".

والدكتور **عبد الحسين شعبان** في كتابه "فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي"، **ماجد الغرباوي** "التسامح ومنابع اللاتسامح ".

محمد أركون في مؤلفه "**قضايا في نقد العقل الديني** " والذي تعرض في أحد فصوله إلى موضوع "**التسامح واللاتسامح** في التراث الإسلامي" والتسامح بين الفلسفة والدين والإيديولوجيا في كتابه "**قضايا في الفكر المعاصر**" 1997.

صبري محمد خليل " **التسامح في المنظور القيمي** الإسلامي" 2012 الخرطوم السودان، وهو عبارة عن مقال.

إلى جانب **صالح عبد الرحمن** في مقاله " **التسامح بين التراث والتغيير** " 2005 مصر. مليكان مصطفى "مفهوم التسامح" 2005 بغداد.

عمر هاشم "**الإسلام دين التسامح**" مصر.

محمد محفوظ "**في معنى التسامح**" **2005** بغداد.

" **التسامح بين شرق وغرب**" **(دراسات في التعايش والقبول)** مجموعة مؤلفين.

ماجد الغرباوي "**التسامح ومنابع اللاتسامح**" 2006 العراق.

الحصين صالح عبد الرحمن "**التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب** " المدينة المنورة 2013.

جاك دريدا وآخرون" **المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة**" تر/ حسن العمراني

محمد أركون: التسامح واللاتسامح في التراث الإسلامي" مقال ضمن المجلة العربية لحقوق الإنسان 1995.

التسامح والإشكالية المرجعية في الخطاب العربي" **أعراب محمد** 1997.

الزواوي بوغورة"**التسامح وثقافة السلم عند ابن باديس.**

الطاهر بدوي التسامح (روح الإسلام وقوة المسلمين).

اسماعيل زروخي –**معنى التسامح** في احد فصول كتابه المعنون بـــ حوارات إنسانية في الثقافة العربية 2004 .

ومن الدراسات التي خاضت في موضوع التسامح، **دراسة محمد أركون** المعاصرة حول **النزعة الإنسية في الفكر المعاصر.**

دراسة **حسن حنفي** وما تعلق منها ببحثه الموسوم ب تعصب / تسامح في الكتاب الجماعي أضواء على التعصب.

عمل محمد عابد الجابري الموسوم ب **قضايا في الفكر المعاصر** والذي خص فيه جانبا واسعا أطلق عليه **إسم التسامح واللاتسامح في التراث الإسلامي .**

الدكتورة التونسية نادية الوريمي في مؤلفها الموسوم بـــ: .. **.التسامح وسياسة الإختلاف التسامح** .ناقشت الأكاديمية التونسية هذه القضية بإستفاضة عن مسألة التسامح في الثقافة العربية الإسلامية حيث أشارت للعديد من الكتاب العرب الذين ناقضوا قضية التسامح في الرؤية الإسلامية .

كما صدرت للباحث الجزائري **أومحنة دواق** ... دراسة في إطار التعريف بأصول التسامح في مؤسسة مؤمنون بلا حدود التونسية.

علي اومليل –التسامح هل هو مفهوم محايد –في احد فصول كتابه ...الإصلاحية العربية والدولة الوطنية ط 2005 .

شوقي ابو خليل –التسامح في الإسلام –2007.

الدكتور شوقي أبو خليل (تسامح الإسلام و تعصب خصومه) والذي تكلم فيه عن التسامح عند المسلمين والفرق بينهم و بين النصارى.

صالح بن عبد الرحمن الحصين : التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب والذي تكلم فيه عن التسامح في الإسلام والذي من ثماره الرحمة والعفو والصبر، وتكلم فيه أيضا عن التسامح كقيمة أخلاقية يتحقق بفضلها التعايش مع الأخر المخالف .

رسالة في التسامح **لجون لوك** ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي والذي تحدث فيها عن التعصب الذي كان منتشرا في أوربا، وسيطرة رجال الكنيسة .

الشيخ محمد الغزالي :التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام والذي تكلم فيه عن التعصب المقيث عند النصارى عبر التاريخ ،مقارنة بما يملكه المسلم من تسامح ،كما ناقش مفتريات النصارى .

عبد اللاطيف إبراهيم :تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحديث دراسة نقدية في ضوء الإسلام .

صدقي محمد عامر : التسامح والإخاء في الإسلام، الصادر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، والذي سلط فيه الضوء على المبادئ والتعاليم التي إنفرد بها الإسلام ،لبناء مجتمع سليم يسوده الأمن والسلام والمحبة.

أحمد عمر هاشم الإسلام دين التسامح، والذي إستعرض فيه عدد من الخصائص التي تفرد بها الدين الإسلامي و دعوته إلى التسامح وإحترام جميع الأديان السماوية. ومن بين ما جاء في فصوله – الإسلام وموقفه من غير المسلمين وإحترام الإسلام سائر الأديان السماوية .

جعفر عبد السلام: التسامح في الفكر الإسلامي، والذي إستعرض فيه صورا وأمثلة للتسامح بين المسلمين بعضهم البعض ومع غيرهم .

هذا ما تمكنا التوقف عنده من أعمال ومواضيع دون أن ننسى بعض الملتقيات التي بادرت بها الجامعة الجزائرية **كملتقى جامعة وهران المعنون بـــ "الفلسفة والتسامح** 2010".

وملتقى الصحوة الإسلامية المغربي المعنون ب"مفهوم التسامح في البناء الحضاري الذي يحضره العديد من الشخصيات الفكرية العربية والإسلامية.

أما الأعمال الأكاديمية الجامعية التي تناولت الموضوع فهي قليلة نذكر منها سؤال **التسامح في السياق الإسلامي** للطالب **المستاري الجيلالي التسامح وقيم الحوار** للطالب **لوكيلي حسين** من جامعة وهران.

التسامح الفعل والمعنى وهو عمل يدخل ضمن الأعمال المخبرية لمخبر الأبعاد القيمية 2010 جامعة وهران.

في هذا الصدد وبكل أمانة علمية ندرك أن مبادرتنا في البحث والتحري والتنقيب تبقى دائما محدودة، إذ لم يكن بإمكاننا الإمساك أو الوقوف عند كل الأعمال التي اهتمت أو خاضت في الموضوع، لكن وبواقعية نثبت أن المختصون في الشأن الاجتماعي والأخلاقي والإنساني بصفة عامة لم يولوا اهتماما خاصا بالموضوع، رغم حساسيته وراهنيته وحاجة المجتمعات إليه كمخلّص من أوضاع العنف والتعصب واللاتسامح التي أرقت الشعوب في جوانبها المادية والمعنوية.

إلى جانب ذلك لابد من الاعتراف بأن الولوج في مثل هذه المسائل ليس بالأمر اليسير، فسنحاول بذل الجهد قدر المستطاع، فإنه لا يخلو أي عمل من النقائص، إذ يذكرنا في هذا المقام قول **عبد الرحمن بن الحسين : " رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده لو غيّر هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".**

صعوبات البحث: ولأن أي موضوع بحث لا يخلو من صعوبات، فقد وجهتني مجموعة منها، والتي تمثلت في صعوبة قراءة المصطلح وتأويله وتفسيره تفسيرا يليق بعلاجه، إلى جانب صعوبة الفهم الفلسفي للكثير من المراجع، وخاصة المترجمة منها أي التي كانت لغتها الأصلية غير العربية كترجمة أعمال **محمد أركون** والبعض من المؤلفات لمفكرين غربيين أمثال **جون لوك** "رسالة في التسامح" و**فولتير** "بحث حول التسامح"، إلى جانب تداخل الأفكار المتولدة عن طريق اختلافها من مرجع إلى آخر، دون أن ننسى مشكلة محدودية المراجع وانعدامها في بعض الأحيان حتى في المساحات الكبرى، أي

أن صعوبة الخوض في مثل هذه المواضيع وعدم التحكم في تشعباتها وحساسياتها، جعلت من الدراسات والأعمال تكاد تكون منعدمة، اللّهم إلا إذا ذكرنا بعض الدراسات المحتشمة التي تبدو غير كافية لتمكننا من مجانبة تحقيق الهدف المتمثل في فهم ظاهرة التسامح كمفهوم أو كإيديولوجية ومحاولة تأصيله في التراث.

مستجدات وأفاق البحث:

التسامح بما يحمله من معنى قيمي هو جديد على ساحتنا العربية والإسلامية، التي تعج بالتعصب بكل أبعاده والعنف والإستبداد السياسي والديني، وإقصاء الآخر المختلف دينيا أو مذهبيا أو عرقيا، بل محاولة إلغائه تماما، وهو جديد على مجتمعاتنا التي تسيطر عليها جماعات التطرف في الفكر كما في الدين ومجالات الحياة الأخرى، لكن التسامح الذي نطمح إليه وتطمح له الشعوب والمجتمعات العربية الإسلامية والإنسانية عامة هو ذلك الذي ينبذ العنف بأشكاله والتعصب واللاتسامح كسلوك يتنافى مع الأخلاق التي يهدف إلى تحقيقها الإنسان.

حيث لا يخفى على أحد مدى حاجة الإنسان الماسة للتسامح مع نفسه ومع الآخر الذي به وبواسطته تزول الفوارق وتختزل مسافات التواصل الإيجابي ،فجميع الناس يولدون أحرار ومتساوين في الكرامة و الحقوق، وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضا بروح الإخاء[1].

كما نأمل من خلال هذا البحث أن نصل إلى إدراك معنى التسامح كفكرة وكسلوك حضاري حديث من خلال التراث، وذلك من أجل التمكن من ترسيخه في الوطن العربي الإسلامي كفكرة حضرية تعمل على إزاحة الفوارق المذهبية، وتعدي العقبات وإعادة قراءة التاريخ والتراث وفق ما يتطلبه الواقع وما تستدعيه الحاجة وذلك دون المساس بالثوابت، كما تهدف الدراسة إلى تفسير أهمية التسامح والاعتدال في الفكر العربي الإسلامي المعاصر حتى نتمكن من مواكبة العصر في المجالات المختلفة.

[1]– موسى أمير –حقوق الإنسان (مدخل إلى وعي حقوقي) سلسلة الثقافة القومية مركز دراسات الوحدة العربية –ط1– 1994 بيروت لبنان.ص64.

قراءة في المقابلات:

ليس بإمكان أي باحث أن يخوض في موضوع التسامح لا كمفهوم ولا كمصطلح إلا بعد ربطه بما يقابله أو ما يحايثه.

ونقصد بذلك المصطلحات أو المحايثات وهي عديدة:

1 -**التعصب:** بالفرنسية (fanatisme) في الانجليزية (fanatism)

ويقصد به تعصب الرجل ما إليه، وجد في نصرته، وتعصب عليه قاومه وتعصب في الدين والمذهب، كان غيورا فيهما ومدافعا عنهما.

والتعصب للشيء هو المتصف بالميل الشديد إليه، ويطلق اسم المتعصبين على كهنة الآلهة القديمة، الذين كان من عادتهم في عباداتهم أن يعتريهم هذيان يحملهم على طعن أجسامهم بالمدى حتى يسيل منها الدم[1]

والفلسفة التي تفسر ظواهر الوجود بإرجاعها إلى تأثير القوى الخفية تسمى بفلسفة التعصب كفلسفة روبرت فلود (Robert Flud) وكل من دافع عن عقيدته أو عن أمر من أموره أو عن شخص يحبه بحماسة عمياء تجعله يأخذ بجميع الوسائل لنصره ما يقول، فهو رجل متعصب لآن من صفاه المتعصب أن يسخر عقله لهواه وأن يجد في نصره رأيه بالعنف وأن يضيق عن المناظرة بالحق[2].

فالتعصب إذن نقيض الحرية والتسامح حيث إذ ازداد وحل التعصب وفقدت الحرية.

2 - **العنف:** بالفرنسية (violence) بالإنجليزية(violence) في اللاتينية (violencia)

والعنف مضاد للرفق والصفح ومرادف للشدة والقسوة والعنيف (violent) هو المتصف بالعنف [3] ظاهرة العنف قديمة قدم الإنسان، فقساوتها عند البدائيين وهمجيتها عند

---

[1]–**صليبا جميل**: المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، ط1، 1971، ص315.

[2]–المرجع نفسه ص 316.

[3]– **صليبا جميل**: المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، ط1، 1973 ، ص 111.

4– الصالح صبحي –الإسلام ومستقبل الحضارة –دار الشروق بدون طبعة بيروت لبنان ص323.

المتحضرين.والعنف متفشي في الإجتماع البشري عبر التاريخ ، فعنف الإنسان ضد أخيه الإنسان ليس طارئا في حياتنا اليوم، بل هو سلوك بيولوجي وسياسي وإجتماعي وديني وثقافي.

فكل فعل شديد يخالف طبيعة الشيء، ويكون مفروضا عليه من خارج فهو بمعنى ما، فعل عنيف، والعنيف أيضا هو القوي الذي تشتد صورته بازدياد الموانع التي تعترض سبيله كالريح العاصفة، والثورة الجارفة.

والعنيف من الميول الهوى الشديد الذي تتقهقر أمامه الإرادة وتزداد صورته حتى تجعله مسيطرا على جميع الجوانب النفسية[1]

والعنيف من الرجال هو الذي لا يعامل غيره بالرفق، ولا تعرف الرحمة سبيلا إلى قلبه وجملة القول أن العنف هو استخدام القوة استخداما غير مشروع.[2]

كما **أن** العنف مفهوم سلبي ومرفوض في الأديان، ومرفوض في القيم الإنسانية، وفي الحضارات الراقية، ذلك أن العنف بما هو استعمال سلبي للقوة يحولها من طاقة ضرورية للإنسان، لبناء ذاته وبناء حضاراته إلى طاقة تدمير، وأول حالة عنف حصلت في تاريخ البشرية كما يسجلها القرآن الكريم، أدت إلى إزهاق الروح المقدسة التي هي من روح الله، هي قتل قابيل، أحد أبناء آدم عليه السلام، لأخيه هابيل.[3]

العنف: عادة بأنه الأذى والضرر بكائن أو مجموعة بشرية بحيث يكون هذا الضرر إما نزعا لممتلكات مادية أو تعذيبا جسيما أو إهانة نفسية أو نزعا للممتلكات المعنوية والرمزية وغيرها من أشكال الضرر.[4]

---

[1]- **صليب جميل:** المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، ط1، 1973 ، ص 112.

[2]-المرجع نفسه، ص 113.

[3]-**سبيلا محمد:** الديانات السماوية وموقفها من العنف، منشورات الزمن، ط2، 2011، ص 55.

[4]- **سبيلا محمد:** مذارات الحداثة- الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2009 بيروت، ص189.

الإيديولوجية: (Idiologie)

منهج في التفكير مبني على الافتراضات المترابطة والمعتقدات وتفسيرات الحركات أو السياسات الاجتماعية، وقد يكون محتواها دينيا أو اقتصاديا أو سياسيا أو فلسفيا، وبغض الايديولوجيات مثل الشيوعية والاشتراكية تنسب إلى نظم اقتصادية وسياسية.

ومن الايديولوجيات الأخرى الرأسمالية والديمقراطية والفاشية والمساواة بين الجنسين والاجتماعية والعنصرية والكاثوليكية الرومانية والشمولية أو الدكتاتورية[1].

وفي الغالب لا يعتمد أصحاب المذاهب بصفة عامة على معلومات حقيقية لدعم معتقداتهم، فمعظم الأشخاص الذين يعتنقون مذهبا فكريا معينا يرفضون ما سواه من المذاهب التي لها المضمون نفسه[2]، وبالنسبة لهؤلاء فإن النتائج التي قامت على مذهبهم الفكري تبدو أنها الوحيدة المنطقية الصحيحة[3]

والايديولوجية عند لويس ألتوسير (Louis Althusser) هي نسق له منطقه ودقته الخاصيتين من التمثلات (من صور وأساطير وأفكار وتصورات حسب الأحوال) يتمتع داخل مجتمع ما بوجود ودور تاريخين فهي تتميز عن العلم من حيث أن وظيفتها العملية المجتمعية تفوق من حيث الأهمية[4].

اللاتسامح: (Intolérance)

يثير اللاتسامح إلى التوق الوحشي الذي ترتب عنه كره وملاحقة الآخر المخالف الذي نعتقد أنه على خطأ، ويعني أيضا قبول الاعتراف بالمغاير، فهو انكار لكل ما ليس مماثلا للذات دينيا وفكريا وسياسيا وعرقيا ولغويا... لذلك يتخذ اللاتسامح أشكالا متعددة منها ما

[1]- **حسيبة مصطفى**: المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن،ط1،2009، ص 180.
[2]- المرجع نفسه، ص181.
[3]- المرجع نفسه، ص 181.
[4]- **لويس التوسير** : الايديولوجيا- إعداد وتر سبيلا محمد وعبد السلام بنعبد العالي، دفاتر فلسفية دار توبقال للنشر، ج8، ط2، 2008 الدار البيضاء، المغرب، ص 362.

هو ديني أو عرقي أو اجتماعي أو أخلاقي ومن الممكن لكل من هذه الأشكال أن يبرز بمفرده أو متواكبا مع غيره من الأشكال وهو قائم على أساس نفي الآخر.[1]

عليه نقول كما قال أبو الحسن ابن الحسين المسعودي في ظاهرة اللاتسامح والعنف بأشكاله.

لقد أصيبت البشرية منذ فجر التاريخ بمرض العنف واللاتسامح وإن بحثنا في جينالوجيا علم أصول العنف أو في أركيولوجيا الممارسة العنيفة فإن ذلك سينقلنا إلى أولويات الممارسة فالعنف من الناحية التاريخية حدده بعض المفكرين بأنه يعود إلى مرحلة ما قبل التاريخ التي عاش فيها الإنسان في صورة وحشية [2] لا قيمة للإنسان فيها بل سادت في ذلك سلوكات لا يمكن وصفها إلا الظلامية.

الاختلاف: (Le Désaccord)

هو العلاقة الفارقة والسمة المميزة لنوع من أنواع أخرى ذات جنس واحد.

وهو كل ميزة تميز مفهوما من آخر أو شيئا من شيء آخر ومنهج الاختلاف هو التمايز والتباين[3].

الآخر: (L'autre)

هو الغير، نقيض الذات أو العين (méme) ويقال الأخر على ما هو مختلف مباين(différent).[4]

---

[1]- **علي عاطف:** اشكالية التسامح مجلة التسامح وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان، العدد 18-2007، ص 207 .

[2]- **أبو الحسن علي ابن الحسين المسعودي** :مروج الذهب ومعادن الجوهر ت ح: محي الدين عبد المجيد، ج 1،ط7 1964، ص35.

[3]- **خليل أحمد خليل**- معجم المصطلحات الفلسفية، سلسلة المعاجم العلمية، دار الفكر اللبناني، ط 1، 1995، ص 11.

[4]- المرجع نفسه، ص11.

الغيرية:(L'altérité)

مشتقة من الغير (L'autre) وهو كون كل ما من الشيئين خلاف الآخر، وقيل كون الشيئين بحيث ينصور وجود إحداهما مع عدم الأخر، والعيزية مرادفه للتغاير، وهو أن يكون الشيء مختلفا عن غيره [1].

من خلال هذه المفاهيم ندرك بوضوح أن للتسامح علاقة تلازم مع مصطلح العنف والاختلاف واللاتسامح والتعصب بأنواعه الايديولوجي والعقائدي هذه المتناقضات المؤدية إلى الاختلافات التي جعلت من الضروري البحث عن الآليات المناسبة والسلوكات الملائمة للخروج من هذا التعصب، فكان من الضروري المطالبة بممارسة التسامح [2] كحوار يتم مع الآخر.

هذا الآخر الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهله أو نفيه ندرك المعنى الحقيقي للتسامح كمفهوم وكسلوك.

الإرهاب: لقد التقط الغرب مصطلح الإرهاب، في سياق مبادرته إلى الإمساك بالمصطلحات عن طريق الهيمنة على اللغة الإعلامية فهو الذي يصوغ المفاهيم ويسوقها إعلاميا، وبادر إلى وهم المسلمين بالإرهاب بمعنى (Terrorisme) في سياق منظومة من المفاهيم الهجومية تبدأ بالتشدد إلى التطرق إلى التعصب إلى الأصولية في الإرهاب.[3]

القوة: يستعمل هذا المصطلح في القرآن الكريم استعمالا إيجابيا في مثل قوله تعالى:" **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ**" فالقوة سواء كانت قوة مادية حسية أم قوة معنوية مجردة، مطلوبة وضرورية إذ بدون القوة الفيزيائية والكيميائية ما كان هناك أساس مادي للوجود، وبدون

[1]- **صليبا جميل**: المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، ط1، 1979، ص 130.

[2] -michael walzer « traité sur la tolérance traduit de l'anglais par chaim hunter édition gallemard,1998, p10.

[3]- **سبيلا محمد**: الديانات السماوية وموقفها من العنف، منشورات الزمن، ط2، 2011، ص 2010.

القوة الفكرية والمعنوية والروحية، ما كان هناك وجود لقدرة الإنسان على التفاعل الايجابي مع هذه القوة المادية[1]

الحرية:هي الوضعية التي يكون عليها كائن ى يخضع لإكراه، بحيث يتصرف حسب ما تمليه عليه إراداته وطبيعته عندما يسقط جسم ما، فحريته تتجلى في أن يسير حسب ما تمليه عليه طبيعته في اتجاه مركز الأرض وبسرعة متناسبة مع الزمن مالم يخضع لتأثير خارجي يغير سير مجراه الطبيعي[2].

نفس الشيء يمكن قوله على الكائنات الحية، فكل وظيفة نباتية أو حيوانية تكون حرة، إذا تمت وفق القوانين الملائمة دون تتعرض لأي عائق خارجي أو داخلي (أوغست كونت) Auguste Kant الإنسان "الحر" هو إنسان ليس عبدا أو سجينا، ذلك أن الحرية هي الحالة التي يكون عليها ذاك الذي يفعل ما يريد وليس ما يريده شخص أخر غيره.[3]

الأصولية: شاع لدى الإعلام الغربي في الفترة الأخيرة إطلاق عبارة المسلمين الأصوليين أو الإسلام الأصولي بقصد إعطاء معنى التطرف والتشدد والتزمت والتعصب وحتى الإرهاب بين المسلمين، وقد تبعهم في ذلك عن سوء فهم بعض أجهزة الإعلام العربي حتى انطبع في أذهان الكثيرين وخاصة الغربيين منهم أن لهذه الكلمة معنى ايديولوجي في الإسلام مع أن الواقع يشهد بأن كلمة "أصولي" لا وجود لها في قاموس الإسلام، فليس هنالك مسلم أصولي ومسلم غير أصولي ولا إسلام أصولي أو إسلام غير أصولي بل هناك مسلم فقط وإسلام فقط[4].

الأنانية:(egoisme) هي الاعتقاد أن الكائنات الأخرى مجرد وهم وأن الأنا هو الحق والأساسي، والأنانية هي حب الذات والنزوع الطبيعي إلى الدفاع عنها والبقاء ولو على

---

[1]– المرجع السابق، ص 2012

[2]–**محمد الهلالي وعزيز لزرق** : دفاتر فلسفية نصوص مختارة دار بوتقال للشر، العدد 16، ط1، 2009، الدار البيضاء، ص9.

[3]– المرجع نفسه، ص 10.

[4]– **الزين محمد فاروق**: المسيحية والإسلام والاستشراق، ط1، دار الفكر، دمشق، 2009، ص 281.

حساب الآخر. وحب الذات حصرا سمة الذي يلحق مصلحة الأخر بمصلحته [1] الشخصية والذي يحكم من زاوية الأنانية على الأشياء الأخرى كافة.

القهر: القهر بالفرنسية (contrainte) وبالإنجليزية (contraint)

وفي اللغة الغلبة والتغلب، نقول: أخذهم قهرا، من غير رضاهم وفعله قهرا: بغير رضا، والقهر بالمعنى العام كل تأثير خارجي أو داخلي يعوق حرية الفرد، كتأثير القوى المادية وتأثير الغرائز والشهوات، والقهر بالمعنى الخاص هو القهر الاجتماعي (Contrainte sociale) ، وهو كل ما يعيق حرية الفرد في المجتمع وهو نوعان، قهر منظم (contrainte organisée) كما في القوانين والنظم وغيرها وقهر مبدد (contrainte défense) كما في العادات والتقاليد.[2]

العدوان: ويقصد به الظلم، وتجاوز الحد. وهو صفة من يعدو على غيره، وغريزة العدوان أو العدوانية (agressivité) **نمط من السلوك** يتميز بروح الاعتداء، والإقدام على المخاطر بدلا من اجتنابها.

ويطلق لفظ العدوانية أيضا على ميل الإنسان إلى الأعمال العنيفة، أو إلى انتهاز كل فرصة لإثبات ذاته، أو على تعصبه للمبادئ والعقائد التي يؤمن بها تعصبا شديدا أو على ميله إلى إيذاء نفسه أو غيره أو ما يحل محلهما من الأشياء. والعدوانية مصحوبة بالطموح وحب السيطرة، والميل إلى تضخيم كل شيء من أجل تحقيق الأهداف الخاصة.

ويعتبر السلوك العدواني تعويضا عن الحرمان الذي يشعر به المعتدي حتى أن بعض النفسانيين كفرويد مثلا زعم أن هذا السلوك غريزة تخريب وتهديم. [3]

---

[1]- **خليل أحمد خليل**– معجم المصطلحات الفلسفية، سلسلة المعاجم العلمية، دار الفكر اللبناني، ط 1، 1995، ص 24.

[2]– **صليبا جميل**: المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، ط1، 1989، ص 200 و ص 201.

[3]- **صليبا جميل**: المعجم الفلسفي، المرجع نفسه، ص67.

الفصل الأول

التسامح من المفهوم إلى التاريخ

المبحث الأول: التسامح الدلالة والمعنى

المبحث الثاني: التطور التاريخي لمفهوم التسامح

المبحث الثالث:التسامح في الفكر الغربي الحديث و المعاصر

المبحث الأول: التسامح الدلالة والمعنى

أولا: المعنى اللغوي للتسامح

ثانيا: الدلالة الاصطلاحية للتسامح

ثالثا: المفهوم الفلسفي للتسامح

رابعا: أنواع التسامح

المبحث الأول: التسامح الدلالة والمعنى

أولا: المعنى اللغوي للتسامح:

1) المعنى اللغوي العربي للتسامح:

كلمة التسامح في اللغة العربية تعود إلى أصل أو مادة (سمح) والتي تعني الليّن والسهولة وتأتي في اللغة مرادفة لكلمة التساهل [1] وأصل الترجمة إلى العربية عن لفظة (tolérance) يأتي بعنوان التحمل والاحتمال والتي تعني المعنى الديني بالخصوص[2] ومن الواضح أن هذه العبارة لا تعبر تعبيرا صحيحا لما تحمله مفردة التسامح من اختلاف بين اللفظين في اللغتين العربية والإنجليزية، فالإتلاف يبدأ بالجذور فكلمة tolération مشتقة من الجذر اللاتيني (tolérance) الذي يعني التحمل والتقبل، بمعنى أن الفكرة الأساسية مع أمر أو وضع أو شيء غير مرغوب فيه يجبر المرء على التعامل معه بايجابية [3] كما أنه ورغم الاجتهادات العربية للوصول إلى إيجاد تفسير يليق بمفهوم التسامح التي تعنيه الكلمة الغربية (tolérance) أو (tolération) إذ يرى الكثير من المفكرين واللغويين أن اللغة العربية لم تتوصل بعد إلى الاهتداء لمفهوم واضح لكلمة تسامح بالمعنى المعاصر لها.

إذ جاء في لسان العرب **لابن منظور** للدلالة على المفهوم ما يلي: سمح، السماح، السماحة، المسامحة والتسميح وتعني لغة الجود والكرم، وأسمح إذ جاد وأعطى عن كرم وسخاء وأسمح وتسامح وافقني على المطلوب والمسامحة هي المساهلة.[4]

ويأتي السماح في قاموس **المنجد** بمعنى الجود والكرم والتساهل، فسمح: سماحا وسماحة العود بمعنى ساهل ولان، وسامح في الأمر ساهله ولاينه ووافقه على مطلوبه، وتسامح: تساهل، والتسامح يعني التساهل.[5]

---

[1]–**ابراهيم مصطفى أحمد** "المعجم الوسيط" دار الدعوة اسطنبول ط2، 1989 ص 446

[2]– **قاموس المورد** ص 975.

[3]–**مجموعة باحثين**: التسامح بين شرق وغرب، سمير خليل، دار الساقي، بيروت، ط1، 1992، ص 6.

[4]–**ابن منظور**، لسان العرب، المجلد2، دار صادر، بيروت، 1995، ص 490، لبنان.

[5]–معلوف لويس، قاموس المنجد في اللغة ، ط4، بلا مكان، ص 349.

كما جاء في مختار الصحاح: سمح- السماح والسماحة الجود (سمح) به يسمح بالفتح فيها سماحا، سماحة أي جاد، وسمح له أي أعطاه، وتسمح من باب ظرف، أي صار سمحا سيكون الميم، وقوم سمحاء بوزن فقهاء، وامرأة سمحة ونسوة سماح والمسامحة تعني المساهلة وتسامحوا تساهلوا.[1]

يقال **في اللغة العربية :** أسمحت الدابة أي لانت وإنقادت ويقال: أسمحت قرونته وسامحت إذ ذلت نفسه وتابعت وتقول العرب أيضا: عليك بالحق فإن فيه لمسمحا أي فيه متسعا [2] ويقال عن السيف أنه مسمح أي تم تثقيفه أي تهذيبه، حتى لان، والتسميح هو السيل السهل.[3] وعندما يتناول المعجم الفلسفي **لجميل صليبا** تعريف مصطلح التسامح يركز بداية على المعنى في اللغة العربية حيث يشير إلى التساهل، ويستدل في هذا السياق إلى تعريف **الجرجاني** الذي يرى أن المسامحة هي: ترك ما يجب تنزها، لكن **فولتير** وغيره من فلاسفة القرن الثامن العاشر يعرفون التسامح بأنه ما يتصف به الإنسان من صفات الظرف والأدب والإنس التي تمكنه من معايشة الناس رغم اختلاف وجهات نظرهم وآرائهم.[4]

وللتسامح كما جاء في **المعجم نفسه** معاني متعددة حيث يشير المعنى الأول للفكرة التحمل أو الاحتمال أي احتمال المرء بلا اعتراض كل اعتداء على حقوقه بالرغم من قدرته على صدها أو دفعها.[5]

أو هو تغاظي السلطة بموجب العرف والعادة عن مخالفة القوانين المتعارف عليها أو المتعهد فيها، أما المعنى الثاني فهو أن نترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه وإن كانت هذه الآراء متعارضة مع آرائك [6] ولم تتوقف معاني صليب في توضيح مصطلح التسامح عند المعاني المذكورة بل تعدتها إلى معاني أخرى كأن يحترم المرء آراء غيره لإعتقاده

---

[1]-**ابي بكر الرازي**- مختار الصحاح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص 312.
[2]- **ابن منظور**، لسان العرب، المجلد2، دار صادر، بيروت، 1995، ص 489، لبنان.
[3]-المرجع نفسه، ص 490
[4]-**صليبا جميل**- المعجم الفلسفي، ج1، الشركة العالمية للكتاب بيروت، 1994، ص 271.
[5] المرجع نفسه، ص 271.
[6]- المرجع نفسه، ص 272.

أنها محاولة للتعبير عن جانب من الحقيقة وهذا يعني أن الحقيقة أغنى من أن تنحل إلى عنصر واحد، والوصول إلى معرفة كل عناصرها يوجب الاعتراف لكل إنسان بحقه في إبداء رأيه حتى يؤدي الإطلاع على كل الآراء إلى معرفة الحقيقة الكلية الشاملة[1]

فالتسامح بهذا المعنى واجب أخلاقي مبني على احترام الشخصية الإنسانية.

ودائما في تعريف التسامح يذهب **أديب إسحاق** في تعريفه بأنه رضا المرء برأيه واعتقاده الصحة فيه، واحترامه لرأي الغير مهما كان هذا الغير رجوعا إلى معاملة الناس بما يريد أن يعاملوه به، فهو على إثباته الصواب لما يراه، إذ لا يقطع بلزوم الخطأ في رأي سواه وعلى رغبته في تطرق رأيه للأذهان ولا يمنع الناس من إظهارها ما يعتقدون [2]، وللتسامح معاني لغوية عديدة نحضر بعضها فيما يلي:

1 التسامح بمعنى الإعطاء، ويقال سمح لي فلان أي أعطاني وهذا يشبه المعنى الأول الجود.

2 ويعني كذلك الإتساع لقول العرب: عليك بالحق فأن فيه لسمحا أي متسعا.

ويعرف **محمد أركون 1928-2010** التسامح بأنه الإعتراف للفرد المواطن بحقه في أن يعبر داخل الفضاء المدني عن كل الأفكار السياسية والدينية والفلسفية التي يريدها، ولا أحد يستطيع أن يعاقبه على آرائه إلا إذا حاول فرضها بالقوة والعنف على الآخرين [3] ومن جهة أخرى يشيع استخدام لفظ المسامحة في لغة الخطاب السائد بمعنى العضو والتنازل، ولفظ السماح بمعنى الموافقة بغض النظر عن أي شيء.

كما يرى بعض المفكرين أن اللغة العربية لا تنطوي على مفهوم واضح للتسامح بالمعنى المعاصر للكلمة الذي ألفها الغرب واتخذها سلوكا يتعامل به مع الآخر، مهما كان هذا الآخر، فلا بد من تقبله والتعامل معه وحواره بغض النظر عن معتقده أو لونه أو دينه.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 273.

[2]- **إسحاق أديب** ، التعصب والتساهل من كتاب أضواء على التعصب لمجموعة من المؤلفين، دار أمواج للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993، ص 15.

[3]- **محمد أركون**، قضايا في نقد العقل الديني "كيف نفهم الإسلام اليوم" ط 2، تر: هاشم صالح دار الطبيعة للطباعة والنشر، بيروت،ص243.

هذا بالرغم من أن معنى التسامح في اللسان العربي يفيد تبادل التسامح والسماحة والمسامحة، وهي قيم أخلاقية لها دلالاتها في اللغة والثقافة العربية وأفضل دليل على ذلك ما أقره النص الديني مصداقا لقوله تعالى" **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** "[1].

وعلى الرغم من ما سبق أسهب العديد من المفكرين المعاصرين في إيجاد التفسير الذي يتلاءم والمجتمعات العربية الإسلامية خاصة ما تعلق بالجانب الثقافي والأخلاقي.

إذ جاء في المنجد للغة العربية المعاصرة أن كلمة "سمح" بضم الميم، ومنها سماحا وسموحا وسماحة، وسمحا ومسماحا بمعنى أن المرء صار كريما، سخيّا من أهل الجود ومتساهلا.[2]

للتسامح معاني عديدة تختلف باختلاف اللغات، والثقافات والعصور والحضارات، لكن يبدو أن تلك المعاني تصب معظمها في معنى واحد تقريبا، باعتبار ان جل المعاجم العربية أجمعت على أن مصطلحات الجود والكرم، والعفو والصفح والطاعة هي المعاني الأساسية للتعبير عن التسامح، أما اللفظ التسامح **(tolérance)** في ذاته، فظهر في أوروبا لأول مرة في القرن السادس عشر نتيجة الحروب الدينية التي جرت بين الكاثوليك والبروتستانت، بذلك نقول أن لفظ التسامح عند الغربيين مستمد أساسا من الفكر الديني المسيحي، وبعد ذلك أصبح المصطلح يدل عند مفكري القرن الثامن عشر على ما يتصف به الإنسان من ظرف وأنس، وأدب وحكمة، تمكنه من معايشة الناس بالرغم من اختلاف في آرائهم عن آرائه، ومعايشة الناس، تقضي إلى التلاؤم الاجتماعي، الذي بدوره يؤدي إلى تقلص درجة التوتر والعنف بين أفراد المجتمع، وإلى تقوية روح المعاشرة بينهم باعتبارها دلالة على النمط الحضاري.

أما المسامحة في **معجم الجرجاني** فهي"ترك ما يجب تنزها"[3] أي بمحض الإرادة الشخصية للفرد، من غير أي إكراه أو قسوة أو قهر والتسامح يستخدم عند علماء اللاهوت بمعنى

---

[1]- **سورة النحل، آ 125.**

[2]-**أركون محمد** ، قضايا في نقد العقل الديني ، "كيف نفهم الإسلام اليوم" ط 3، تر: هاشم صالح دار الطبيعة للطباعة والنشر، بيروت،ص 243.

[3]- **الجرجاني**، التعريفات، حققه وقدم له، ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط4،1998، ص 271.

الصفح والعفو عن مخالفة المرء لتعاليم الدين الأمر الذي يتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي، أي أن هذا المعنى الاصطلاحي الغربي، لم يكن مطروحا في الحضارة العربية الإسلامية بالصورة التي ظهرت عند الغربيين في القرن السادس عشر الميلادي، وإن كان لفظ التسامح يحمل في الديانة الغربية بعض المصطلحات التي تتقاطع فيها مع الديانة الإسلامية للدلالة على التسامح كالصفح، والعفو[1].

يقال سمح له بالشيء أي جاد به، وأعطاه إياه، ويقال سمح سماحة العود أي لان، كما يقال سمحت الناقة أي انقادت فأسرعت.[2]

وعرف **عبده الحلو** التسامح في معجمه بأنه تحمل تصرفات الآخرين وآرائهم مع القدرة على مقاومتها وصدها[3].

كما أن التسامح في أكثر تعريفاته رواجا هو احترام حرية الآخر وطرق تفكيره وسلوكه وآرائه باختلاف مجالاتها.

2) المعنى اللغوي الغربي للتسامح:

حاول **فولتيرvoltaire 1694-1778** أن يجيب عن سؤال ما هو التسامح؟ بالقول: إنه نتيجة لكينونتنا البشرية، فنحن كلنا معجونون من ضعف وأخطاء، إننا جميعا نتاج الضعف، كلنا هشّون وميّالون للخطأ، لذا دعونا نسامح بعضنا البعض، ونتسامح مع جنون بعضنا البعض بشكل متبادل وذلكم هو المبدأ الأول لقانون الطبيعة[4].

يرى **لاروس larousse** في قاموسه الموسوعي أن التسامح هو موقف من يقبل لدى الآخرين وجود طرق حياة مختلفة عما لديه هو وبالتالي فهو موقف من يتحمل نتائج العوامل الخارجة عن نطاقه لاسيما العدائي والمضر به منهما، وبذلك يصبح مبدأ التسامح مبدأ توافقيا حيث يكون الغرض منه ليس الأخذ بالممنوعات ولكن الوصول إلى التوافقات،

---

[1]- **اسماعيل زروخي**، حوارات إنسانية في الثقافة العربية- دار الهدى للطباعة والنشر بدون طبعة 2004، ص57

[2]- **حمو صبحي وآخرون**، المنجد في اللغة العربية المعاصرة دار الشروق بيروت ط2، 2001، ص 297.

[3]-**الحلو عبده**- معجم المصطلحات الفلسفية (فرنسي - عربي) المركز التربوي للبحوث والإنماء مكتبة لبنان، ص 361.

[4] -**voltaire** dictionnaire philosophique chronologie et préface pr rené pomeau,flamarim (paris) 1964.p362.

كما أن التسامح في المعنى العام يعمي اتخاذ موقف [1] ايجابي فيه اقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوقهم الإنسانية والتسامح عند **لالاند1867-1963** كذلك مبدأ عقلي يقوم على فكرة التفحص الحر بهدف البحث عن الحقيقة باعتباره استعداد عقلي أو قاعدة مسلكية، قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد، حتى وإن كنا لا نشاطره الرأي، وكذلك عنده هو احترام ودي لآراء الآخر، وذلك باعتبارها مساهمة في الحقيقة الشاملة[2].

كما أوردت عدة تعريفات أخرى لمفهوم التسامح إذ في نظره هو طريقة تصرف شخص يتحمل بلا اعتراض أذى مألوفا يمس حقوقه، بينما في إمكانه رد هذا الأذى، لكن يمتنع تحقيقا لفضلية التسامح.[3]

والتسامح في نظر جون راولز **(John Rawls)**هو القدرة أن نترك للآخرين حرية التعبير عن الآراء التي تحكم عليها بأنها خاطئة ومختلفة، وأن يتركوا يعيشوا طبقا لهذه الآراء ويشمل التسامح كلا من المجال الفردي والمجال العمومي.[4]

وعندما نبحث في كلمة **(Tolérance)** في معجم **(le Robert)** نجده يشير إلى أكثر من معنى واحد، حيث جاء في تعريفه للفعل **(Tolérer)** معاني مختلفة من مثل: سمح بالشيء أي ما يقابل فعل المنع، كما نجد معنى عفا وتأسف إضافة إلى فعل تحمل **(Supporter)**أي تحمل ثقل الشيء بكل صبر رغم الأناة والمعاناة، إنه غير عادلة تحمل الأشياء التي قد نجدها غير مناسبة، غير سليمة أو غير عادلة، كما يعني فعل **(Tolérer)** تقبل وتحمل القواعد والقوانين التي تفرضها المؤسسات على الفرد دون رفض منه [5] ، إنه معنى التحمل المرتبط بالمعاناة ويبدو أمام هذا التصنيف أن الفرد هو من يتحمل العبء الرئيسي في ممارسة التسامح، لأن هذا الأخير يقتضي تجسيد حالات مناقضة للآراء والسلوكات الفردية، إنه القبول بالرأي أو التصرف المختلف، رغم أنه

[1] –grand dictionnaire encyclopidique larousse 1985 p 10275.

[2]–أندري لالاند، "الموسوعة الفلسفية" مج 3، دار عويدات للنشر ط 2008، ص1460.

[3]–المرجع نفسه، ص 1461.

[4] –**John Rawls** « theorie de justice » traduit au francais par catrine andard paris seuil 1971 p250.

[5] **-Rey Debove –J-** le robert montéreal sicorobert 1996.

يظهر عند التسامح غير سليم، أو غير ملائم أو غير عادل، لذلك نجد أن مرادفات كلمة (**Tolérance**) هي متفتح الفكر، متفهم، ليّن، صبور، محترم ومتساهل.[1]

إلى جانب ذلك نجد في قاموس فولكيي **Fouliquie** الفلسفي أن كلمتي (**Tolérance**) في اللغة الفرنسية أو **Tolération** في اللغة الانجليزية مشتقتان من الجذر اللاتيني **Tolérare** الذي يعني التحمل[2] المصطلح الذي وصل إليه العديد من المفسرين والمفكرين الغربيين الذين اهتموا بمفهوم التسامح كظاهرة اجتماعية وإنسانية جاءت لتحل محل الظلم والاستبداد أو القهر والتعصب، السلوكات التي أرقت المجتمعات والشعوب.

ويرى بيتر نيكولسون أن اللغة الانجليزية تحوي على المفردة **Tolération** التي تستخدم فيها لوصف المبدأ المعلن القائل بأن على المرء أن يكون متسامحا، وتعني في الاستعمال العادي فعل ممارسة التسامح بالضبط أو الميل إلى أن يكون المرء متسامحا وتستخدم كلمة **Tolérance** لوصف فعل التسامح أو ممارسته، ووجدت قبل أن توجد **Tolération** وكل هذه المفردات مشتقة من الفعل **Tolérate**.[3]

إلى جانب ذلك نجد أن كلمة التسامح **Tolérance** في الانجليزية تشتق من الكلمتين اللاتينيتين (**Tolère**) أي يعاني ويقاسى **Tolérancis** وتعني لغويا التساهل [4] وتستخدم (**Tolérance**) في اللغة الانجليزية بمعنى استعدادا المرء لتحمل معتقدات وممارسات وعادات تختلف عما يعتقد به، وتعني أيضا فعل التسامح نفسه، ويشير **Toleration** بدرجة أكبر إلى التسامح الديني أي السماح بوجود الآراء الدينية وأشكال العبادة المتناقضة أو المختلفة مع المعتقد السائد [5] ويقول قاموس المورد أن هذه الكلمة تعني:

1 -التسامح أو القدرة على الاحتمال.

2 -المتسامح **Tolérable** الصفة تعني محتمل أو ممكن احتماله.

---

[1] - **Thierry .P**. la tolérance sociéte démocratique vices et p1226 vertus paris pvf 1er édition p7.

[2] -**Foulquié .P**. dictionnaire de la langue philosophique. Paris PVF 6ème édition 1992. P729.

[3] – **بيتر– نيكولسون** ، التسامح، كمثال أخلاقي(عن مجموعة باحثين) التسامح بين شرق وغرب، ط 1 تر: ابراهيم العريس، دار الساقي للطباعة والنشر بيروت، ص 29، 1992.

[4] –**عصام عبد الله**، المقومات الفلسفية للتسامح الثقافي، الإمارات العربية، ص 17، 2005

[5] –المرجع نفسه، ص 17

3 -**Tolérate** بمعنى يتسامح أو يجزأ ويحمل **Toleration** التسامح الديني[1]

والتسامح في أكثر تعريفاته رواجا: هو احترام حرية الآخر وطرائق تفكيره وسلوكه وآرائه السياسية والدينية[2].

- **ثانيا:المفهوم الاصطلاحي للتسامح:** عرف التسامح على أنه رؤية متفهمة أو متحررة فكريا تجاه العقائد والممارسات المغايرة أو المضادة لعقائد الآخر المتسامح وممارسته[3]ويعرف **ماجد الغرباوي** التسامح بأنه: موقف ايجابي متفهم من العقائد والأفكار، يسمح لتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الإحصاء على أساس شرعية الآخر المختلف سياسيا، دينيا... وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته[4]

وفي موسوعة **أندري لالاند** الفلسفية يعتبر التسامح من الناحية الإصطلاحية تصرف شخص يتحمل بلا اعتراض أذى مألوفا يمس حقوقه الدقيقة بينما في إمكانه رد الأذية، كما يعتبر في نظره طريقة تصرف سلطات يتقبل علنا يحكم نوع من العادة هذه المخالفة أو تلك المخالفة للقوانين والأحكام[5]

التسامح استعداد عقلي، أو قاعدة مسلكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد، حتى وإن كنا لا نشاطره رأيه[6].

كما أن فكرة التسامح الحديثة تقوم ليس على التخلي عن قناعات المرء أو الامتناع عن إظهارها والدفاع عنها أو نشرها، بل تقوم على امتناعه عن استعمال جميع الوسائل العنيفة والقدح والذم بكلمة يقوم التسامح على تقديم أفكار دون السعي لفرضها.

ويورد صليبا معاني عديدة واصطلاحات للتسامح منها:

---

[1]-**البعلبكي منير**، قاموس المورد، دار العلم للملايين ص 975، 2005، بيروت، لبنان.
[2]-**معجم لاروس الصغير** باريس، 1990، ص 968.
[3]-**مصطفى مليكان** ، مفهوم التسامح إطلالة على الركائز النظرية، (مجموعة مؤلفين) مركز دراسات فلسفية الدين بغداد، 2005،ص 81
[4]-**ماجد الغرباوي**، التسامح ومنابع اللاتسامح، ط1، 2008 مؤسسة عارف للطباعة والنش، ص 20.
[5]-**أندري لالاند**، معجم المصطلحات الفلسفية، تر خليل أحمد خليل، دار عويدات، 2008،ص 1460
[6]-المرجع نفسه، ص 1463

1 -احتمال المرء بلا اعتراض كل اعتداء على حقوقه الدقيقة بالرغم من قدرته على دفعه.

2 -أن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه وإن كانت مضادة لآرائك.

3 -هو أن يحترم آراء غيره لاعتقاده إنها محاولة[1]

للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة[2]

وعرف التسامح أيضا بأنه موقف من يقبل لدى الآخرين وجود طرق تفكير، وطرق حياة مختلفة كما لديه هو وبذلك يصبح مبدأ التسامح مبدأ توافقيا ويكون الغرض منه ليس الأخذ بالممنوعات ولكن الوصول إلى التوافقات [3] ويعرف محمد أركون التسامح بأنه الاعتراف للفرد المواطن بحقه في أن يعبر داخل الفضاء المدني عن كل الأفكار السياسية والدينية الفلسفية التي يريدها، ولا أحد يستطيع أن يعاقبه على آرائه إلا إذا حاول فرضها بالقوة والعنف على الآخرين [4] ويحدد محمد عابد الجابري المعني الاصطلاحي الحديث للتسامح بأنه يعني: لا أن يتخلى المرء قناعته، ولا أن يكف عن إظهارها والدفاع عنها والدعوة لها، بل يعني الامتناع عن استعمال أية وسيلة نم وسائل العنف والتجريح، وبكلمة واحدة احترام الآراء وليس فرضها[5]

ويعرف (**بيتر نيكولسون**) **(Peter Nicolsson)** التسامح بأنه: فضيلة الإمساك عن ممارسة المرء سلطته في التدخل بآراء الآخرين وأعمالهم، علما أن هذه الآراء والأعمال تختلف عن آراء الشخص المذكور، وأعماله فيما يظنه مهما إلى حد أنه لا يوافق عليها أخلاقيا.

---

[1]- **صليبا جميل**: المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1981، ص 281.

[2]- **صليبا جميل**: المعجم الفلسفي ، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994، ص 272.

[3]- **عاطف علي**، التسامح والثقافات مجلة التسامح تصدر عن وزارة الأوقاف سلطنة عمان، العدد (5) 2004، ص 300.

[4]- **أركون محمد** ، قضايا في نقد العقل الديني ،"كيف نفهم الإسلام اليوم" ط 3، تر: هاشم صالح دار الطبيعة للطباعة والنشر، بيروت،2000، ص 243.

[5]- **الجابري محمد عابد**، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1997، ص 28.

واعتمد المؤتمر العام لمنظمة التربية والثقافة والعلوم (**ليونسكو**) في دورتها الثامنة والعشرون في باريس **1995** تعريفا شاملا للتسامح تضمنه الإعلان الذي أصدرته المنظمة، وعرفت المادة الأولى منه: التسامح بأنه:

1 -احترام وقبول التنوع والاختلاف عبر الانفتاح والمعرفة وحرية الفكر والضمير والمعتقدات والتسامح ليس أخلاقيا فقط بل سياسي وقانوني، وهو فضله تسهم في إحلال ثقافة المسلم محل ثقافة الحرب[1].

2 -إن التسامح لا يعني التساهل والتنازل بل هو اتخاذ موقف ايجابي يقر بالحق للآخر في التمتع بحقوقه وهي ممارسة يجب على الدول والجماعات والأفراد الأخذ بها والعمل وفقها.

3 -إن التسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية بما فيها التعددية الثقافية والديمقراطية وحكم القانون، وينطوي التسامح على نبذ الاستبداد والدوغماتية ويثبت المعايير التي تنصب عليها الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان.

4 -إن التسامح لا يعني قبول الظلم الاجتماعي أو تخلي الفرد عن معتقداته والتهاون بها، بل يعني تمسكه بمعتقداته وقبوله تمسك الآخرين بمعتقداتهم وهو إقرار بحق الفرد في العيش بسلام.

5 -أكدت المادة الثانية على دور الدولة في نشر التسامح غير الأخذ بالمواثيق والتشريعات الدولية، وتشريع القوانين الداخلية بموجب مبادئ العدل والمساواة وعدم تهميش كافة الفئات المستضعفة.[2]

ويعرف **محمد جابر الأنصاري** التسامح بأنه تعايش المختلفين بسلام وتوافر بينهم حد أدنى من التكافؤ والمساواة وقبول الآخر فلا يوجد تسامح بين أناس مختلفين في إعطاء الفرص لهم.

---

[1]-إعلان مبدأ التسامح (جامعة منبوت) http://www.vmn.edu/humants

[2]- **محمد المصباحي**، الدين والسياسة من منظور فلسفي، مؤسسة الملك فهد بن عبد العزيز، الدار البيضاء منشورات عكاظ، 2011، ص 153.

والتسامح في تعريف آخر هو القدرة على أن تترك للآخرين حرية التعبير عن الآراء التي تحكم عليها بأنها خاطئة أو مختلفة وان يتركوا يعيشون طبقا لهذه الآراء[1].

عليه فإن التسامح يعني قبول واحترام وتقدير التنوع الثري لثقافات عالمنا وأنماطه التعبيرية المختلفة، وطرق تحقيق كينونتنا الإنسانية.

فهو تناسق في الاختلاف وهو ليس واجب أخلاقي فقط بل وواجب سياسي وحقوقي أيضا، وهو فضيلة تعمل على احترام ثقافة السلام محل ثقافة العنف والحرب، وهو ليس مجرد إقرار ولا مجرد تنازل أو تجاوز بل هو موقف فعال مدعوم بالاعتراف بالحقوق العالمية للإنسان والحريات الأساسية للآخرين.[2]

والتسامح كما يرى **زكي الميلاد** هو الموقف الذي يظهر قوة الضمير وشفافية النزعة الإنسانية وعظمة الروح الأخلاقية، لكن متى يكون التسامح كل هذه القوة والفعالية والتجلي؟ يكون ذلك حينما يتحول التسامح إلى موقف إنساني تابت، والتزام أخلاقي راسخ ومصدر استلهام، وحينما يكون هناك تضامن من أجل التسامح[3].

لأن الحكمة في هذه الحالة تتغلب على التعصب والتسامح هو الحكمة، ولأن المنطق يتغلب على العنف والتسامح هو المنطق ولأن الشجاعة تتغلب على التهور والتسامح هو الشجاعة ولأن الحرية تتغلب على التفكير والتسامح هو الحرية، وبهذه الدلالات والمعاني ينبغي أن نفهم التسامح[4]

ومن خلال ذلك يتبين لنا أن التسامح هو استعداد نفسي وسلوك ناتج عن هذا الاستعداد لتفهم آراء ومواقف الآخرين المختلفين عنا في الاعتقاد والتصرف والسلوك[5].

وللتعرف أكثر على المعنى الاصطلاحي لمفهوم التسامح لا بد من معرفة فيما تتجلى نوعية هذا التسامح الأمر الذي يفرض ويستوجب تحديد هذه الأنواع المتسامح فيها:

---

[1]– المرجع السابق إعلان مبدأ التسامح http://www.vmn.edu/humants

[2]–**بن علي ياسين**، مفهوم التسامح بين الإسلام والغرب ط1، دار الدعوة الإسلامية للنشر، طرابلس، 2006، ص13

[3]–**الميلاد زكي**، الإسلام والإصلاح الثقافي، دار أطياف للنشر والتوزيع القطيف السعودية دون طبعة، 2007، ص98

[4]–المرجع نفسه، ص 99.

[5]– **بدوي عبد الرحمن**، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ج3، ط1، ص 58.

أنواع التسامح

التسامح إما أن يكون دينيا، أو مدنيا، فالتسامح الذي يتعلق بالعقائد الإيمانية والتسامح المدني الذي يتعلق بالمذاهب السياسية.

يطلق التسامح المدني على موقف الدولة من الأديان وفيما يتعلق بالتسامح الديني يميز أيضا بين نوعين من التسامح:

التسامح في العقيدة، والتسامح العملي.[1]

1)التسامح الديني: هو التسامح الذي يتعلق بالعقائد والشعائر التي تتعارض مع عقائد وشعائر السلطة الدينية القائمة، كما يتعلق بالأشخاص الذين يعتقدون هذه العقائد أو يمارسون هذه الشعائر والتسامح الديني إما أن تتولاه السلطة الدينية القائمة أو الدولة التي تتخذه دينا رسميا.

2)التسامح المدني (السياسي): هو من صميم الديمقراطية الحرة وهو النتيجة الحتمية المباشرة لحرية الفكر للتنظيم الذي يؤمنه النظام الديمقراطي، ابتغاء إمكان توفير المشاركة المتساوية من جانب كل المواطنين في الشؤون العامة وابتغاء إحترام حقوق الآخرين[2].

ودائما في صدد التعريف الاصطلاحي للمفهوم يقول **أدمون جوبلو** في كتابه **vocabulaire philosophique** أن التسامح ليس هو التخلي عن المعتقدات الخاصة، أو الإمتناع من إظهارها والدفاع عنها أو نشرها بل هو الامتناع من كل الوسائل العنيفة، أو المهنية أو المؤلمة وبشكل عام التسامح هو اقتراح الآراء دون السعي إلى فرضها على الآخرين.[3]

ومادام أن التسامح لا يحمل نفس المعنى في كل المجتمعات الإنسانية شاملا يعبر عن معنى واحد في عصور مختلفة لنشأته، فهو ليس مصطلحا ذا دلالة مفاهمية دينية فقط

[1]– المرجع نفسه، ص 60

[2]– **بدوي عبد الرحمن**، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ج3، ط1، ص 58.

[3]–المرجع نفسه، ص 59.

ولا تطبيقية سياسية فحسب، ولا يقتصر على المجال الثقافي والتفاعل الاجتماعي وحده، بل يشمل كل ذلك، وقد شاع استخدام هذا المصطلح في ثقافات عديدة، حمل فيها معاني ودلالات مختلفة[1] وبعد ذلك نجد أن التسامح لم يقتصر على الأنواع السابقة فقط بل تعداها إلى أنواع أخرى كالتسامح الفكري إلى جانب التسامح الثقافي.

1-**التسامح الفكري**: هو احترام الآراء والأفكار المخالفة بعيدا عن التعصب وإقصاء الآخر، فالاجتهاد والإبداع حق لكل إنسان بغض النظر عن جنسه ولونه ودينه، ونقيض التسامح هو اللاتسامح مع الفكري الذي يعني منع الحق في التفكير والاعتقاد وذلك بفرض ضوابط وقيود تعمل على منع الممارسة هذا الحق.

2-**التسامح الثقافي** : والذي يعني قبول واحترام القيم والتقاليد والتوجهات الثقافية المختلفة، والابتعاد عن التعصب للقيم والتقاليد، وكذا الثقافة الخاصة والتسامح الثقافي يؤيد كل رغبة في الاجتهاد والتجديد كما يعبر التسامح الثقافي عن قبول احترام الخصائص المختلفة للثقافات الأخرى ولأشكال التعبير الخاصة بكل الثقافات ما دام التسامح يعني التجانس مع الاختلاف.[2]

ثالثا: المفهوم الفلسفي للتسامح : قد يكون من المناسب التدقيق في مفهوم التسامح بربطه بالفلسفة نوعا من الربط باعتبار الفلسفة هي البوتقة التي تمتحن فيها المفاهيم والمجال الحيوي لإغنائها ومنحها القوة، أي قوة التأثير في الفكر والسلوك في هذا الإطار ومن أجل هذه الغاية سنحاول التدقيق في هذا المفهوم من المنظور الفلسفي.

الفلسفة هي أكثر المجالات إستعداد لقبول التسامح والعمل به، فالبحث عن الحقيقة لا يعني إمتلاكها، ومادام المرء يبحث عن الحقيقة، ولا يدعي امتلاكها، فهو بالضرورة يعترف بالتعدد والاختلاف ويتجنب إصدار أحكام تقصي الآخر.[3]

---

[1]- **عبد الوهاب أشرف** : التسامح الاجتماعي بين التراث والتغيير، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2005، ص 65.

[2]- **بدوي عبد الرحمن**، الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص 60.

[3]- **الجابري محمد عابد**، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1997، ص 20.

إن الفلسفة بهذا المعنى تعتبر ميدان للاجتهاد، والتسامح يتحقق في الإجتهاد إذ هو مجاله ومحيطه الطبيعي ومبدأ كل مجتهد مصيب كما أن إعتماد الشك في التفكير الفلسفي والأخذ بنسبية الحقيقة هو التسامح بعينه، فهو إعتراف بالإختلاف.

إذن الفلسفة من الناحية المبدئية هي المجال الحيوي للتسامح كما أن تاريخ الفلسفة يدلنا على أن التسامح كان دائما مقوما أساسيا من مقومات التفلسف، أعني البحث عن الحقيقة.

لكن يمكن للفلسفة في مجال التسامح أن تتحول إلى إيديولوجيا كلما تخلت عن مهمتها النقدية المصوبة للحقيقة.[1]

ولا يمكنها أن تبقى دائما متعالية عن الزمان والمكان، بعيدة عن قضايا الإنسان الاجتماعي الفاعل والمفعول به، بل لا بد لها من الإلتزام، إذ يصبح هذا الإلتزام ضرورة أولية سابقة على أي ضرورة أخرى عندما تكون الحقيقة الإنسانية، أعني حرية الإنسان وكرامته مهددة من هذا الطرف أو ذاك من الأطراف المتصارعة.

وفي المجال الفلسفي يعتبر التسامح موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير، سواء كانت موافقة أو مخالفة لمواقفنا.

وبعبارة أوضح هو إحترام الموقف المخالف، عليه نقول أن الفلسفة من الناحية المبدئية هي المجال الحيوي للتسامح من الناحية الفكرية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية.

وبالرغم من هذا فلفظ التسامح يبدو غائبا في الخطاب الفلسفي بصفة عامة، سواء تعلق الأمر بالفلسفة العربية أو بالفلسفة اليونانية أو الفلسفة الأوروبية الحديثة منها والمعاصرة[2].

1-**المفهوم الفلسفي الغربي:** يحيل قاموس اللغة الفرنسية **لبول فولكي(1913-2005)** إلى معنيين للتسامح في الخطاب الفلسفي معنى عام ومعنى أخلاقي، أما التسامح في مستواه العام فيأخذ معنى القبول بدون ردود فعل دفاعية، لا يستثني هذا المعنى

[1]- المرجع نفسه، ص 21

[2]- **الجابري محمد عابد،** قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1997، ص 20.

الاستخدام الفيزيائي لكلمة (**Tolérance**) أي القبول بعض الحالات بالخطأ ومقدار ما من الارتياب في حساب الأبعاد أو الأوزان، أما المعنى الخاص فهو أن يترك للآخرين حرية التعبير عن آرائهم حتى ولو تم الحكم عليها بأنها خاطئة، فالتسامح في هذه الحالة هو القدرة على التعايش [1] والتسامح عند **بول تيريي (Paul Tierry)** ، هو القبول بالرأي أو التصرف المختلف رغم أنه يظهر عند التسامح غير ملائم ثم أو غير عادل.[2]

لأن المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه التسامح هو حق الاختلاف، فهو ينطلق من التعدد، والاختلاف كطبيعة إلهية وميزة للكون.

وبالتالي فإن الحفاظ على هذا التعدد والتنوع والاختلاف هو شرط للتسامح [3] أي هناك علاقة تلازم بين التسامح والاختلاف، فالتسامح كما يقول **مكايل وولتزر (Michael Walzer)** هو: ما يجعل بالإمكان وجود الاختلاف والاختلافات تجعل من الضروري ممارسة التسامح[4] كما أن التسامح هو القدرة على أن تترك للآخرين حرية التعبير عن الآراء التي تحكم عليها بأنها خاطئة أو مختلفة وأن يتركوا يعيشون طبقا لهذه الآراء ويشمل التسامح كلا من المجال الفردي والمجال العمومي.[5]

عليه فالتسامح بمدلوله الفلسفي هو الاحترام الودي لمعتقدات الآخرين بقدر ما نعتبرها مساهمة في سبيل الحقيقة الكلية على حد تعبير **لالاند،** [6] كما أنه إلى جانب ذلك يضع **سبينوزا(Spinoza)** قاعدة أساسية للتسامح تقوم على التفرقة بين السلطة المدنية بحيث لا تخضع هذه لتلك، ذلك لأن إخضاع المجتمع المدني للسلطة الدينية يهدد

---

[1]- **Foulquié .p**. dictionnaire de la langue philosophique. Paris PVF 6ème édition 1992. P729.

[2] - thierry .p. la tolérance sociéte démocratique vices et p1226 vertus paris pvf 1er édition p7.

[3]– ريمون بولان– الحرية في عصرنات وتقديم العوا، دار طلاس، دمشق، 1993، ص155.

[4] **michael walzer** « traité sur la tolérance traduit de l'anglais par chaim hunter édition gallemard,1998, p10.

[5] - **john rawls** « theorie de justice » haduit au francais par catherine andard paris seuil 1971 p250.

[6] - **andré lalande** : vocabulaire technique et critique de la philosophique edition PuF quatrige voir tolérance p 1133.

سلامته، ويدفعه نحو التطرق، في حين أن التفرقة بين السلطتين إثبات للحق والحرية وبناء مجتمع إنساني يعيش وفق العقل حتى يضمن لنفسه العيش في سلام.[1]

كما يعد التسامح بالمعنى الكوني استعادة للوجود الحر الإنسانية، فهو قدرة الكائن الإنساني على الإصغاء للوجود الحر، وبمعنى أخر فالتسامح هو تلك القدرة التي يستعيدها الإنسان ليتصالح مع إنسانيته وبذلك ظل التسامح غاية أخلاقية سعت الشعوب الحرة لإدراكها حتى تتمكن من التواصل الحر والسلام الدائم.

والتسامح على حد تعبير **لالاند** هو الاحترام الودي لمعتقدات الآخرين بقدر ما نعتبرها مساهمة في سبيل الحقيقة الكلية، إذن فالتسامح هو إقرار بتنسيب الحقيقة، كما هو احترام لفكرة الحقيقة التي يحملها الآخر، واحترام فكر الآخر هو احترام للإنسانية في ذواتنا.[2]

ولا شك أن هذا المنظور هو أساس التخلي عن النزعة الوثوقية للرأي ويظهر ذلك في صراع الأديان الذي يصل حد إبادة الآخر بسبب التمييز بين الناس على أساس المعتقد، وبسبب محاولة كل ديانة نشر معتقداتها بالإكراه، أي دون رغبة وهذا ما دفع بالفيلسوف **رينان** إلى تبني فكرة وحدة العقل البشري باعتبارها خلاص الإنسانية من صراع الديانات.[3]

لقد أثبت التاريخ أن الإنسان مهما مورس عليه من إكراه يستهدف حرية العقيدة أو التعبير، أو غير ذلك فإن إرادته الحرة تبقى متحفزة دوما لإسترداد الحرية، باعتبار الحرية الإنسانية هي روح العالم بما هو فضاء لتعايش الكينونات اليقظة [4] كما أن التسامح هو السياسي تجاوز المجتمع القهري والإكراهي الذي يقوم على أساس التمييز اللغوي أو العرقي أو الديني، وكما يلاحظ **لالاند** فقد غدا التسامح مطلبا لكل

[1] **Spinoza** : traite de l'autorite politique traduction par madeleine francis galmard p44.
[2] - **André Lalande** : vocabulaire technique et critique de la philosophique édition PVF quadrige voir tolérance p 1133.
[3] – ibid p 1134
[4] –**بومسهولي عبد العزيز** – مبادئ فلسفة التعايش، إفريقيا الشرق بدون طبعة سنة 2013 الدار البيضاء، المغرب، ص44.

الديانات وكل المعتقدات الأمر الذي يؤدي إلى معرفة سر ظهور كلمة تسامح في القرن السادس عشر على إثر الحروب الدامية بين المذهب الكاثوليكي والبروتستانتي الصراع الذي خلص إلى تبادل التسامح الذي يضمن سلامة وأمن المجتمع وإنقاذه من التعصب، الذي يفضي دائما إلى إدانة الآخر وإكراهه على إتباع الدين الواحد.[1]

الأسس الفلسفية للتسامح:

التسامح بالمعنى الكوني إستعادة للوجود الحر للإنسانية، فهو قدرة الكائن الإنساني على الإصغاء للوجود الحر، ولذلك الأخر الذي يلتقي به على أرضية التاريخ والمصير المشترك، وبمعنى أخر فالتسامح هو تلك القدرة التي يستعيدها الإنسان ليتصالح مع إنسانيته .ومن ثم فقد ظل التسامح غاية أخلاقية، قطعت الشعوب الحرة لتحقيقها أشواطا طويلة.

لقد كان الفلاسفة في طليعة النخبة المستنيرة الداعية لإشاعة التسامح بين الشعوب، يسعفهم في ذلك تشبعهم بالروح النقدية التي تحول دون انقياد الكائن لتبني الفكر الدوغمائي الذي لا يحتكم للعقل بقدر ما يقوم على الإيمان اليقيني بالحقيقة بوصفها مطلقة ثابتة وأبدية، وعلى أحقية العقيدة المتبناة ، باعتبارها العقيدة الصحيحة بينما تؤول العقائد المغايرة إلى البطلان .إذن فالتسامح بمدلوله الفلسفي هو "الاحترام المتبادل الودي لمعتقدات الآخرين: بقدر ما نعتبرها مساهمة في سبيل الحقيقة الكلية على حد تعبير لالاند" [2]. والتسامح في الفلسفة هو إقرار بتنسيب الحقيقة، كما هو احترام لفكرة الحقيقة التي يحملها الأخر واحترام فكر الأخر هو احترام للإنسانية في ذواتنا. ولا شك أن هذا المنظور هو أساس التخلي عن النزعة الوثوقية للرأي، ويظهر ذلك على الخصوص في صراع الأديان الذي يصل إلى حد الإبادة أي إبادة الأخر بسبب التميز بين الناس على أساس المعتقد [3] وأخيرا فإن تمتع كل فرد بحريته، لا يهدد سلامة الدولة ،أو الدين أو حق السلطات العليا ،بل هو

[1]–المرجع السابق ص 44.

[2] –andré lalande :vocabulaire téchnique et critique de la philosophie edition puf .quadrige voir tolérance p 1133.

[3]– بومسهولي عبد العزيز–مبادئ فلسفة التسامح المرجع السابق ص43.

ضروري للمحافظة على ذلك كله. [1] غن ما نعيشه في وضعيتنا الراهنة، فيما يتعلق بالتشكيك في نجاعة الإختيار الديمقراطي، لا يدعونا مرة أخرى لإستحضار وإستلهام الفكر الفلسفي المتنور، بغرض ترسيخ ثقافة ديمقراطية ومجتمع مدني متسامح، ومن هنا حاجتنا إلى إعادة الإنصاف لفكر الأخر وضرورة إنفتاحنا عليه. بل والأكثر من ذلك يجب أن نستفيد منه، ودون ذلك سنضل متقوقعين على ذاتنا بسبب تقديسنا لهوية ماضوية نعتقد دوما بأنها مطابقة لنا بينما هي في حقيقة الأمر مجرد عائق يحول دون إستردادنا لهويتنا التاريخية. من هنا فإن التسامح هو أساس تجاوز المجتمع القهري والإكراهي ، الذي يقوم على أساس التمييز اللغوي أو العرقي أو الديني، وكما يلاحظ " **لالاند(Lalande)** "فقد أصبح التسامح مطلبا لكل الديانات و كل المعتقدات، ومن هنا نفهم السر في ظهور كلمة التسامح في القرن السادس عشر، على إثر الحروب الدامية بين الكاثوليك والبروتستانت، فقد خلص الكاثوليك بعد صراع دام إلى تبادل التسامح مع الأخر المتمثل في المذهب البروتستانتي2.لقد أثبت التاريخ أن الإنسان مهما مورس عليه من إكراه يستهدف حرية العقيدة أو التعبير، فإن إرادته الحرة تبقى متحفزة دوما لإسترداد الحرية فالحرية الإنسانية هي روح العالم.لقد إنتشل الفكر الفلسفي الإنسان من دائرة اللاهوت ليعيده إلى دائرة الوجود ،متخذا إرادته الفاعلة وسيلة من أجل إثبات ذاته في العالم، وتغيير الواقع بهدف إرضاء رغباته، وتحقيق حريته 3.هذه الإرادة في العيش مع الأخر، أو بمشاركة الغير ومساهمته في تدبير الحياة ،هي الدعامة الأساسية للدولة التي تتحقق فيها شروط المواطنة الحقة لا على أساس إثني أو ثقافي أو لغوي أو ديني ،و إنما على أساس الإرادة في العيش معا ودون إقصاء للأخر .لذا فإن التسامح هو أساس تجاوز المجتمع القهري و الإكراهي الذي يقوم على أساس التمييز اللغوي أو العرقي أو الديني. [2] لقد أثبت التاريخ أن الإنسان مهما مورس عليه من إكراه يستهدف حرية العقيدة أو التعبير، أو غير ذلك، فإن إرادته الحرة تبقى متحفزة دوما لبلوغ الإنعتاق [3]. لهدا فإن التسامح لا يقوم إلا على أساس النظرة

[1]- المرجع نفسه ص52.
[2]- بومسهولي عبد العزيز-مبادئ فلسفة التسامح المرجع السابق ص43.
[3]- المرجع نفسه ص44.

العقلية للدين أو بالأصح عقلنة الدين والتخلي عن وهم إمتلاك الحقيقة الدينية المطلقة. فلو إعتقد كل فرد في دينه الحقيقة المطلقة ،تتعدد المطلقات وتختلف فتتحول الحياة الإنسانية في مختلف أبعادها إلى صراع ويسود التعصب والعنف وبدلك يصبح لا مجال للتسامح ولا معنى للأخر، هذا الذي بدونه تستحيل الحياة ويغيب بعدم وجوده الأمن والسلم والسلام.[1] إذن فالتسامح هو إقرار بتنسيب الحقيقة ،كما هو إحترام لفكرة الحقيقة التي يحملها الأخر، وإحترام فكر الأخر هو إحترام للإنسانية في ذواتنا. ولا شك أن هذا المنظور هو أساس التخلي عن النزعة الوثوقية التي تتبناها الأطراف الإنسانية المتناحرة، وذلك بسبب التشبث والتعصب للرأي.[2]

إذ يظهر ذلك على الخصوص في صراع الأديان الذي يصل حد إبادة الأخر بسبب التميز بين الناس على أساس المعتقد، وبسبب محاولة كل ديانة نشر معتقداتها بالإكراه، هذا ما دفع ببعض الفلاسفة إلى تبني فكرة وحدة العقل البشري بإعتباره خلاص للإنسانية [3] ونخلص في الأخير على أن تعريف التسامح أو تفسيره فلسفيا، إنما يستند إلى موقف الإنسان منه، إذ يمكن للتسامح أن يكون مجرد نية أو فكرة أو قد يتجسد في صورة تطبيق أو ممارسة.

[1]– خليفة فريال حسن ،الفلسفة والتسامح والبيئة، مكتبة مدبولي ط1 2006 القاهرة مصر ص41

[2]– خليفة فريال حسن ،الفلسفة والتسامح والبيئة، المرجع نفسه ص42.

[3]– خليفة فريال حسن ،الفلسفة والتسامح والبيئة المرجع نفسه ص 43.

المبحث الثاني: التطور التاريخي لمفهوم التسامح

أولا: التسامح في الحضارة الشرقية القديمة

1- التسامح في الحضارة المصرية الفرعونية القديمة

2-التسامح في حضارة ما بين النهرين

3-التسامح في الحضارة الهندية

4-التسامح في الحضارة الصينية الكونفشيوسية

ثانيا: التسامح في الحضارة الغربية القديمة

1-التسامح في الحضارة اليونانية

2-التسامح في الحضارة الرومانية

المبحث الثاني: التطور التاريخي لمفهوم التسامح

مع تطور المعتقدات وانتقالها التدريجي من عصور التوحش إلى عصور الإنسانية والتحضر وما نتج عن ذلك في الحضارات القديمة، تطور مفهوم التسامح الذي فرضته الطبيعة وظروفها ليؤخذ بعدا أخلاقيا وفلسفيا واجتماعيا لازم الفرد والجماعة في حياتها اليومية إذ ساهمت الحضارات القديمة على اختلافها في تطور هذا المفهوم ليشمل فضلا عن التسامح في مجال الحفاظ على الأمن الجسدي التسامح في مجال الأمن العقائدي والفكري، هذا ما سنكتشفه من خلال عرضنا لبعض نماذج الحضارات القديمة والتي كان لها الفضل في تنوير المجتمعات.

أولا: التسامح في الحضارة الشرقية القديمة

1-التسامح في الحضارة المصرية الفرعونية القديمة: إن قدماء المصريين هم أصحاب أول دعوات لنشر التسامح واحترام الآخر في التاريخ، وإن الفراعنة عرفوا الوحدة الوطنية وحافظوا عليها وتصدوا للفتن الطائفية قبل خمسة آلاف سنة، وأوضحت الدراسات الصادرة عن مركز الأقصر للدراسات والحوار، أن الفراعنة وحكامهم عرفوا احترام الآخر وحرصوا على الحفاظ على وحدة وطنهم، وانسجام أفراده في نسيج واحد، وأن مصر ظلت وطن التسامح والوحدة، والوطن الذي يصبغ المفردات بمصريته طوال آلاف السنين.[1] وأن مصر عبر تاريخها الضارب في الأعماق، لم تعرف ما يسمى بالضد أو النقيض، ولكن عرفت سلوك الوئام، كما أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن المجتمع المثالي على الأرض صورة مطابقة للنظام السماوي الأعلى، فكان النظام قائم على العدل والتسامح بين أفراده وأن مصر الفرعونية احترمت مفكريها ومبدعيها[2].

واتسمت الشخصية المصرية بسمات منفردة، وبعض هذه عند مجتمع آخر، فكل الشعوب انقطع حبل حضاراتها في فترات تاريخية عديدة إلى مصر، فقد استمرت على نفس النمط

[1]- المرزوقي جمال،الفكر التراثي القديم، دار الأفاق العربية، ط1 2001 القاهرة مصر ص63.
[2]- المرزوقي جمال، الفكر التراثي القديم، المرجع نفسه ص64.

حيث أصبحت النزعة الدينية جزءا لا يتجزأ من طبيعة الشعب المصري [1] هذا السلوك الذي جعل الشخصية المصرية في تلك الفترة القديمة تتأثر بما حولها وخاصة العوامل الطبيعية التي جعلت الشعب المصري يميل إلى الرفق والتسامح واعتدال الذوق والمزاج، والطيبة والكرم إلى جانب الصبر والأناة، فكانت هذه الصفات انعكاسا لما حباه الإله، فتعلقت نفسه بهذا الإله الذي يحنو عليه ويرفق به، كما انعكست الطبيعة السمحة في المصري في التسامح الديني عند المصريين، فتجاوزت الأديان في مصر تسامح يندر أن يكون له نظير في مصر، إذ يكفي تاريخ مصر فخرا أن عصوره المختلفة شهدت وفود العديد من الرسل والأنبياء عليهم السلام، كما أن تاريخ مصر فيه العمرة لبني الإنسان لأن القدماء المصريين أدركوا لأنفسهم حقيقة الموت، وأن الإنسان مهما بلغ من معرفة ومهما عاش من سنين فإن مصيره الموت، ولن يبقى تاريخه سوى كلمات تعبر عن النقوش والكتابات والوثائق المختلفة [2] لا ترجع أهمية هذا التاريخ إلى أقدمه فحسب ولكن لطابع الاستمرار فيه هذا التواصل الذي جعل المصري يمتاز بالتسامح فيما يخص العقيدة والمعتقد، فلكل إقليم معبوداته الخاصة وهذا يدل على أن المصريين القدماء كانوا متسامحين لسمو فكرهم وتفتحهم على الآخر واحتضانه وباعتبار أن المصريين أكثر تقوى من سائر البشر يهتمون بالشعائر المقدسة، كما سبقوا شعوب العالم إلى إقامة الأعياد العامة فعنهم تعلم الإغريق وكان للديانة المصرية القديمة عظيم الأثر في وجود المعابد والأهرامات والمقابر ولا يوجد شعب قديم أو حديث، خلع على فكرة فيما وراء القبر أهمية كتلك التي خلفها قدماء المصريين[3]

2-التسامح في حضارة ما بين النهرين: من الصعوبة بما كان محاولة وجود مفهوم واضح للتسامح لا لفظي ولا اصطلاحي في الحضارات القديمة لكن ذلك لم يمنع من الاستدلال على وجوده بالعودة إلى كل مقومات التسامح وفكر وادي الرافدين حول أصل السلطة السياسية.

---

[1]- **المرزوقي جمال**- الفكر التراثي القديم- ، المرجع السابق، ص 68.

[2]- المرجع نفسه، ص 68.

[3]- المرجع نفسه، ص 69.

أ-المجتمع الإلهي الذي يحكمه مجلس يقوم على رأسه الإله الملك ويضم إلى جانبه الخمسين إلها الذين عرفوا بالألهة التي تقرر المصائر[1].

وتمارس السلطة داخل المجتمع الإلهي من قبل الألهة التي ترتبط بالقوى الطبيعية الأكثر أهمية في حياة العراقيين القدامى عبر الديمقراطية البدائية، حيث تتخذ القرارات المهمة فيه بعد أن تقترح وتبحث وتناقش، ولعلها تناقش بعنف داخل مجلس الآلهة[2]

ب-المجتمع الأرضي الذي يحكمه أول برلمان سياسي عرفته بلاد وادي الرافدين، وتمثل وجوده في مجلسين (المجلس العام) و (**مجلس الكبار**) والذي يدل على روح المساواة، إذ يبدو أن السلطة السياسية كانت في الأصل بأيدي المواطنين الأحرار، ويقوم بإرشادهم جماعة من الكبار الذين كانوا مستولين عن الشؤون اليومية، ويضمهم مجلس خاص بهم.[3]

ويعني هذا تمييز السلطة السياسية في وادي الرافدين بطابعها المركب الإلهي البشري في آن واحد، إذ هي سلطة إلهية في السماء وبشرية على الأرض.

لكن التطور التاريخي في وادي الرافدين أفرز أشكالا أخرى للسلطة السياسية في العصور اللاحقة اتخذت طابعا جديدا غير طابع الديمقراطية البدائية، لتصبح ممارستها في المجتمع الإلهي معتمدة على القوة والإرغام وتصبح ممارستها في المجتمع الأرضي ذات طبيعة مطلقة ومركزية[4].

وإذا كانت العدالة أحد شروط الديمقراطية عموما والديمقراطية البدائية في وادي الرافدين خصوصا، فقد عد الفكر السياسي العراقي القديم تحقيق العدالة أحد شروط استمرار السلطة السياسية، وهو أمر طبيعي جدا طالما أن السلطة السياسية تمثل التجسد الحقيقي لإرادة الآلهة.

---

[1]- **الطعان عبد الرضا**، الفكر السياسي في العراق القديم وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر بغداد، 1981 بدون طبعة، ص 376.

[2]- المرجع نفسه، ص 382.

[3]- المرجع السابق، ص 383.

[4]-**عامر حسن فياض وعلي عباس مراد** إشكالية السلطة في امتلاك العقل البشري القديم والإسلامي الوسيط ط 1، دار الشؤون الثقافية بغداد، 2005، ص 72.

فالآلهة ناشئة تحاسب البشر باعتبارها الآلهة المتمسكة بالعدالة والرحمة والرأفة والصدق، فهي تواسي اليتيم أي تأخذ بيده ولا تهمل الأرملة كفيلة هذا اليتيم.[1]

وإذا كانت تشريعات وادي الرافدين تعتني بالمرأة الحرة وتعترف بها وبحقوقها فقد كانت الأمة المملوكة لسيدها جزء من المنزل، ولها أيضا حقوق وعليها واجبات.[2]

إن وجود الديمقراطية البدائية يشير إلى احد مقومات التسامح مما يدل على وجود التسامح السياسي الموضوعي الايجابي الاختياري الداخلي في وادي الرافدين، لكن تحول تلك الديمقراطية إلى سلطة مركزية مطلقة وجنوحها نحو الاستبداد أدى إلى تحول التسامح فيها إلى تسامح ايجابي سياسي مؤقت، ويدل الاعتراف بالمرأة وإعطاء العبيد الكثير من حقوقهم على التسامح الايجابي بالرغم من أنه في الحالتين تسامح محدود من ذلك نعلم أنه خير دليل للتعبير عن التسامح هو بممارسة السلوك الأخلاقي الاجتماعي الايجابي في شيء مجالات الحياة اليومية للمجتمعات.

3-التسامح في الحضارة الهندية: ساد الحضارة الهندية دستور عرفي يسمح بتعايش الاختلافات واجتماع التناقضات في فضاء حضاري ميزته وحدة روحه الثقافية [3] وأفسح التسامح حيال الثقافات الأخرى ومدركاتها المجال أمام تبلور روح الاحترام للاختلافات الفردية في مجالات الحياة المتنوعة، والاستعداد للقبول بتعايشها في فضاء ثقافي واحد مما انعكس في صورة فكر سياسي غابت عنه روح التعصب ونزعة اتهام الآخر بالعصيان وشق عصا الطاعة.

وتميزت الفلسفة الهندية لاسيما البوذية منها بالتسامح والمحبة وعدم الأذية واللاعنف والشفقة وعدم التعصب، والانفتاح العالمي الإنساني الشامل.

---

[1]-**ذيبان جمال مولود، تطور** فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة، ط 1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2001، ص47.

[2]-المرجع نفسه، ص 78.

[3]- **عبد الرضا الطعان**، المرجع السابق، ص 175.

فالبوذية نظام وأسلوب حياة قائم على المحبة والتطهير والتسامح وهي عقيدة حية وليست فلسفة، أو دين بالمعنى الخاص للكلمة، بل طريقة خاصة في العبادة فهي قوة للترفع على الشكليات.[1]

ويتجلى تميز البوذية بالتسامح في تحذير بوذا من التعصب لأنه يعمي عن الحق وفي ذلك ضياع للحق [2] لذلك عد التعصب أعدى أعداء الدين فدعا أتباعه إلى المحبة الشاملة لسائر الخلق، فهي أهم وأفضل الأعمال الحسنة لدى الجماعة البوذية[3].

وكان بوذا يدعوا إلى الإسلام والخير والوئام والإعراض عن الاحتقار والتعصب وسوء النية وعدم الإساءة للأخر، ويوصي بالتسامح والحلم والصبر والعدل والعفو، ويرى بأن مقابلة الإساءة بالإساءة خطأ أي صلاح الخاطئ هي بعدم العنف والإساءة بل بالعبر والحلم لا غير.[4]

كما نصت التعاليم البوذية على تفادي عشرة عيوب منها تنقية القلب من الحقد والكره، حتى نحو الأعداء والتعامل بطيب مع الكائنات الحية، وكان من نصائح بوذا لا تدع نفسك تحلق ولا تدع كلمة الشر تخرج من بين شفتيك، ابق محبا للخير ودودا مليئا بالحب لا تغمر الحقد، بل أحط من لا يحب الخير بالنواب الطيبة وسعة الصدر النقية من غضب وكره، وكونوا رؤوفين، فالكره لن يقطع دابر الكره والعنف... إن التسامح وقبول الآخر هما التنسك الأعظم فالإنسان الرحيم القلب محبوب من الجميع [5] ولنا في المجتمع الهندي نموذجا معاصرا تمثل في شخصية المهاتما غاندي عند مواجهاته للإنجليز وقيادته لشعبيه والتي اتسمت سلوكاته باللاعنف والتوق إلى السلم والسلام وكان نموذجا للاقتداء، ويكمن وراء موقف البوذية هذا احترامها للخلافات في المجالات المختلفة في الحياة وهي

1 – **علي زيغور** الفلسفات الهندية، قطاعاتها الهندوسية، الجينية، البوذية،ط1، دار النهضة، القاهرة، ص 168

2–**علي زيغور** ، الفلسفات الهندية، قطاعاتها الهندوسية،والإسلامية والاصلاحية،ط 2، دار الأندلس،بيروت، 1983 ص 180.

3–**أحمد شلبي**، أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية،) ط1، دار النهضة، القاهرة، ص 168.

4–**علي زيغور**، المرجع السابق، ص 180

5–المرجع نفسه، ص 180

الخلافات التي تميز الثقافات البوذية، والبوذية متسامحة مع كل الديانات وفيما بينها وحتى مع الآخر المختلف عنها في الدين.

في الأخير نرجع إلى غاندي كنموذج ثانية والذي عبر عن وطنيته المسامحة بقوله: "إن وطنيتي ليست اقصائية بل تحوي الجميع وغني لأرفض تلك الوطنية التي تحاول إثبات نفسها على حساب بؤس الأمم الأخرى... لا أريد الحرية للهند إذا كانت تعني اختفاء انجلترا، لذلك فإن حبي وفكرتي عن القومية هي أن تنعم بلادي بالحرية، وإذا كان ضروريا يمكن أن يموت بلدي بكامله حتى يعيش الجنس البشري"[1]

4-التسامح في الحضارة الصينية (الكونفشيوسية): المتتبع للحضارات الشرقية القديمة تاريخيا يجد أنها اهتمت بالجانب الأخلاقي وما يلحق ذلك من فضائل التي من بينها فضيلة التسامح، وذلك من أجل السلام والعيش المشترك، هذا ما إنتهجه الفيلسوف الصيني كونفشيوس **(479-551)** و ما تشير إليه حكمه إذ يقول بالمناسبة " **لا تفعل بالآخرين ما لا تريد أن يفعلوه بك** " و التي تؤمن فلسفته منذ القدم بفكرة التجانس، حيث ترى أن الأشياء المختلفة تكمل بعضها البعض مما يخلق وضعا متجانسا، وهي لا تستبعد قدرة الآراء المختلفة على الوصول إلى الحقيقة لأن من خصائص الفلسفة الصينية التأكيد على التكامل لا التناقض حيث تنظر إلى الخلافات على أنها تكاملية وليست تناقضية، ومن ثم فإنها تشكل كلا واحدا[2].

وتعد فكرة الاعتدال والمحبة واحترام القيم من صميم الفلسفة الكونفيشيوسية مما يساعد على تحقيق التعايش بين الحضارات وهي تدعو إلى أن تكون الدنيا بمثابة أسرة واحدة تعيش على أساس التآلف و التآخي في نظام يبعث على العيش في طمأنينة و سلام وسكينة و إحترام متبادل يجد فيه الكل نفسه .

[1]-**علي عبود المحمداوي** ، الإسلام والغرب من صراع الحضارات التي تعارفها، قراءة في إشكالية القراءة، ط 1، بغداد،2009،ص 189.

[2]-المرجع نفسه، ص 83

يعتقد كونفشيوس أن ما يجعل البشر إنسانيين على نحو فريد هو آل جين أي حب البشر وطيبة القلب الإنسانية: كالقدرة على الحب تشكل جوهر الإنسانية، كما أدرك كونفيشيوس أن العيش وفقا لجين يقتضي تطوير طيبة قلب المرء الإنسانية ويقظة ضميره.[1]

وكانت قاعدة كونفشيوس الشهيرة (عامل الآخرين (الغير) بما تحب أن يعاملوك به) أو (**لا تفعل بالآخرين ما لا تريد أن يفعلوه بك**) وهي تنطوي على الدعوة للابتعاد عن الأنانية ومعاملة الآخرين بمعاملة متبادلة على أساس المحبة والاحترام.[2]

لذلك اعتقد **كونفشيوس** أن الحكومة الصالحة هي التي تحقق السعادة للشعب، وهي الخير وليست المنفعة أو المصلحة، وأن معاملات الناس لا بد أن تسير على مبدأ تبادل المعاملة بالمثل، فيجب أن يمتنع الفرد أن يفعل بالآخرين ما لا يريد لآخر بأن يفعلوه به.[3]

ويرى أحد الكهان (موتى) في القرن الرابع الميلادي أن التعاليم **الكونفشيوسية** تدعو إلى المحبة والاحترام المتبادل للبشر، أي أنها متسامحة.

سعى الفكر الصيني إلى تحقيق روح الانسجام المؤدية إلى التسامح، والتعاطف فمن الضروري التسامح مع الأشخاص والمواقف المختلفة ومنحها قيمتها.[4]

فالفلسفة الصينية بصورة عامة و **الكونفشيوسية** بوجه خاص تحترم التناقض والاختلاف لكن في إطار التكامل، ففي أغلب الأحيان ينظر إلى المبادئ بمنظور المعارضة لا الاختلاف إلا أن الفكر الصيني يشد دعم أن الخلافات تتسم بطابع التكاملية وليست التناقضية والتنافرية ومن هذا اتجه إلى دراسة الجانب الأخلاقي فاهتم الإنسان وبالحياة الإنسانية الطبيعية، حيث حول أنظار **الصينيين** من التفكير في خوارق الطبيعة إلى التفكير

[1]– **جون كولر**، الفكر القديم، تر: كامل يوسف سلسلة عالم المعرفة، 1995، ص 317.
[2]– المرجع نفسه، ص 334.
[3]– **جون كولر**، الفكر القديم، المرجع السابق، ص 336.
[4]– **عبد الفتاح إمام**، الأخلاق والسياسة المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2001، بدون طبعة، ص 143

في الإنسان ذاته ومكانته الكونية، وكان بذلك أول من أقام نسقا حقيقيا غايته هي محاولة إيقاظ الفرد مما يعانيه من تدهور أخلاقي.[1]

إذ وصل إلى حقيقة مفادها أن العناية بالفرد في جانبه الأخلاقي هو السلوك الحقيقي لبلوغ التسامح، أي أنه إذا أدرك الإنسان هذه القضية سيصبح إنسانا سويا.

ويقدم لنا كونفيشيوس مجموعة من المواصفات يعتمد عليها في وصف هذا أو ذلك بأنه يمتلك الخيرية، وتتمثل هذه المواصفات في:

- أن يكون محترما، متسامحا،جديرا بالثقة،ذكيا وكريما.

كما أن الرجل إذا كان محترما فلن يعامل باحتقار.

- إذا كان متسامحا فسينال رضا عامة الناس.
- إذا كان جديرا بالثقة فإن أتباعه سوف يثقون فيه.
- إذا كان ذكيا فسوف ينجز أعمال عظيمة.
- إذا كان كريما فسوف يكون صالحا لدرجة تؤهله للسيادة على الآخرين.

ومن خلال هذا حدد كونفيشيوس صفات من يكتب فضيلة الخيرية حيث أن رجل الخير يهتم بذاته وبالآخر معا، إذ همه الوحيد هو كيف يرضي الآخر.[2]

ثانيا:التسامح في الحضارة الغربية القديمة:

1-**التسامح في الحضارة اليونانية** : المتتبع للتاريخ اليوناني القديم لم يعثر على بوادر التسامح في الدين، حيث أن تعددية الآلهة لديهم لم تمنعهم من التعامل مع من ينكر وجودها بأقصى درجات العنف وبالحكم الشديد كالقتل أو شرب السم وغيرها من أنواع الجزاء.

[1]- **صاري رشيدة**، مقال ضمن مجلة مخبر الأبعاد القيمية ، التسامح الفعل والمعنى، تأليف جماعي، جامعة وهران،ط1، 2010،ص 30.

[2]- **صاري رشيدة**، المرجع السابق،ص 34.

لكن فولتير يعتقد أن الإغريق كانوا يحترمون الديانات والاختلافات والتعامل مع الآخر المخالف، وإن تعرضوا للانتقاد لإعدامهم سقراط بسبب آرائه الجريئة، إلا أنه كان ضحية أعدائه من الشعراء والخطباء السفسطائين وليس ضحية للتعصب، وقد ندم أهل أثينا على عملهم ذلك حتى أن ماليطس المسؤول الأول عن هذا الحكم، حكم عليه بالإعدام بسبب تلك المظلمة وأن معبدا قد شيّد تمجيدا لسقراط[1].

ويصف أفلاطون اليونانيون بأنهم ودودون بطبعهم،مع أنهم للأسف كثيرا ما يتخاصمون لأسباب واهية، لكن ذلك ليس حربا بل صراع أو تنافس أهلي يخضع لقواعد محددة، بحيث أنهم لا يستعبدون إخوانهم اليونانيون ولا يعاملونهم بقسوة ووحشية، أما غير اليونانيون فيشكلون بالنسبة إليهم أعداء طبيعيون لا تنطبق عليهم نفس القواعد السلوكية والضوابط الحضارية كما تطبق على إخوانهم، وبذلك يكون تسامحهم فيما بينهم محليا وليس خارجيا بحيث لا يشفعوا لمن هو ليس يوناني هذا ما يفهم من خلال تعاملاتهم مع بني جنسهم والغير، فالتسامح بهذا الشكل يسمى نسبي أو بالأحرى غير مكتمل، فالتسامح لا يحقق إلا مع من نخالفه الدين أو الجنس أو الرأي وهذا غير متوفر في سلوكات اليونانيين.[2] يقول: سوفوكليس(**406-495) لا تسمح بأن تسود في نفسك الفكرة القائلة بأن الحقيقة هي ما تقول أنت ولا شيء غير ذلك.**

وكذلك من شروط التسامح المواطنة أي تمتع جميع المواطنين بكافة الحقوق دون تمييز، لكن الحضارة اليونانية لم تعترف بتلك المواطنة للعبيد والأجانب أي غير الجنس اليوناني مهما كان مواطنا.

وحتى المرأة اليونانية لم يشفع لها، ولم تستفيد من فضيلة التسامح كونها مواطنة، إذ إقتصرت على عامل الذكور فقط.

[1]- **فولتير**، رسالة في التسامح،ط تر: عبودي هرنت، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، 2009، ص50.
[2]- **فولتير**، رسالة في التسامح،المرجع السابق ص 51.

ويمكن ملاحظة التسامح كذلك مع شاعر الملاحم **زينوفانيس** الذي يرى أنه ليس ثمة معايير للحقيقة، وحتى ولو توصلنا إلى تحقيقها.[1]

وأن ثمة معيار عقلي للتقدم في البحث عن الحقيقة ومن ثم هناك معيار للتقدم العلمي، وفيه يحدد **(باريكليس)** ثلاثة مبادئ أساسية للديمقراطية هي:

1 المساواة المدنية والسياسية أمام القانون.

2 حرية الرأي والتعبير للجميع.

3 التسامح أي أن تكون العلاقة بين المواطنين علاقة أخوية قائمة على حسن المعاملة وتقديم العون للآخرين، فالتسامح ينزع من القلب بذور الشك بالآخرين ويغني نفسه بالعاطفة الصادقة التي تمنع التصادم مع الآخرين.[2]

ويبدو حديث **باركليس** عن التسامح وكأنه انتقاد موجة إلى اسبرطة عدوة أثينا لما فيها في التشدد والصرامة والقسوة والنزعة العسكرية خاصة تشدد بها تجاه الغرباء.

ومن أبرز الفلاسفة اليونانيين الذين عرفوا بالتسامح **(سقراط)** الذي أدرك نسبية اليقين بقوله (إنني أكاد لا أعرف شيئا وحتى هذا لا أكاد أعرفه).

ويعتقد **(سقراط)** أن العدالة فضيلة أساسية، والفضيلة لا يمكن أن تستخدم للأذى، ففي المجتمع العادل يجب أن تستخدم الناس مهاراتهم للارتقاء بآمال أو صور الآخرين، فالعدالة حسبه أن يستخدم الفرد قدراته وإمكانياته دون أذية للغير، فالظلم يؤدي بالضرورة للكراهية والصراع الدائمين في المجتمع الواحد.

كشفت محاورات أفلاطون عن روح التسامح التي جعلت السفسطائيون يوردونه في محاوراتهم بالرغم من اختلافه الكبير عنهم، لكنه يورد في محاورة (**برمانيدس)** وجوه اعتراضهم على موقفه الميتافيزيقي الخاص [3] كما اعتقد أفلاطون أن الحقيقة لا يمكن الوصول لها تدريجيا عن طريق السؤال والجواب، لأن الذهن الذي ينشد الحقيقة يستطيع

---

[1]-**كارل بوبر**، نحو عالم أفضل تر: أحمد المستجير، الهيئة المعرية العامة للكتاب القاهرة 1999، دون طبعة، ص 87.

[2]- المرجع نفسه، ص 58.

[3]- **صلاح فليفل الجابري**، الفهم كعلاقة حوارية،عن مجموعة باحثين، فلسفة الحوار، مصدر سبق ذكره، ص 139.

أن يستخلصها من ذاته[1] وعلى الرغم من أن الحوار موجة من **أفلاطون** إلى الآخرين، إلا أن تنوع الآراء وتعدد وجهات النظر التي تساهم في الحوار توحي تساهل أفلاطون وتقبله الرأي الآخر دون استبداد لمعارضيه تاركا أمامه فسحة عبر الحوار ولم يتبنى الرأي العام المطلق.

أفلاطون لم يخرج عن التقاليد **اليونانية** في معاملة المرأة التي كانت محرومة من حقوقها، حتى تلك المتعلقة بالثقافي وإبداء الرأي حتى داخل الأسرة نفسها، وبقيت المرأة في كتابه القوانين محرومة أي أنها في موقف أو موقع أدنى من أرجل حيث لا يحق لها الشهادة في المحاكم ولا حتى الثقافي أي رفع دعوى قضائية بالرغم من أن أفلاطون لم تظهر عليه هذه القساوة تجاه المرأة.

أرسطو: يعتقد أن الحرمان من المشاركة وعدم المساواة سلوكات تؤدي إلى الحقد والكراهية والنفور بين المواطنين فلا بد من المشاركة عبر الاعتراف بالغير، ولا بد أيضا من الصداقة السياسية التي توصي بضرورة المشاركة في القيم الأخلاقية المشتركة، وتعلم المواطن احترام انجازات الآخرين، حيث تكون الصداقة فضيلة مدنية تؤدي إلى التعايش والاعتراف دون حقد بالاختلاف في المساهمات من أجل رخاء المجتمع.[2]

وفي شأن المرأة يعتقد أرسطو إلى جانب **أفلاطون** أنها ضعيفة القدرة العقلية أي أقل من الرجل إلا أن هذه القدرة تسمح لها بانجاز هذه الوظائف الخاصة والتي لا ترتقي إلى قدرة الرجل في التحمل والتمكن، ويعتقد أيضا أن البشر غير متساوين في المواهب والإمكانيات الطبيعية وهكذا تكون الحضارة اليونانية قد عرفت التسامح بأنواعه ومستوياته وحدوده أي أنه يختلف بين البشر، بالرغم من أنهم يفضلون الحياة الطبيعية التي لا قيود فيها لبني البشر، فالفرد في خضم هذه القوانين الطبيعية يصل إلى تحقيق الحرية والمساواة والفضيلة الحقة[3].

---

[1]– المرجع نفسه، ص 140.

[2]–**ستيفن ديلي**، التفكير السياسي والنظرية السياسية، ج تر: فريال حسن، مكتبة مدبولى، القاهرة، 2008، ص 213.

[3]–**علي عبد المعطي محمد وأخرون**: تطور الفكر الغربي، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، ص 83.

ب-التسامح في الحضارة الرومانية: مرّ الفكر السياسي الروماني بمرحلتين:

أ-الفكر السياسي في مرحلة الجمهورية:حيث شهدت هذه المرحلة ظهور أفكار سياسية متغايرة وتابعة من مؤشرات وتيارات معينة هي:

- تيار التعصب القومي الأعمى للجنس **الروماني** والانغلاق على الذات القومية التي لا تعترف بالغير.[1]

ومثل هذا التيار **(كاتون)** الذي قضى بترميم جميع المدارس الإغريقية الفلسفية التي كانت منتشرة في روما، حيث شدد الوقت نفسه على احترام الشعوب الأخرى وعدم التدخل في شؤونها ومعاملتها جميعا بالعدل، ما عدا **قرطاجة** التي كان يرى فيها خطرا كبيرا على الدولة الرومانية، لذا دعا الرومان إلى معاملتها بقسوة وحذر.[2]

- تيار الفكر الإنساني المنفتح على الشعوب كافة والذي مثله القائد (**سيكبيوس)** والمفكران الإغريقيين الأصل - **بانتيوس** و**بوليب** حيث عمل **سكيبيوس** على تهدئة نزعة التعصب الروماني بدعوته إلى المساواة ومعاملة الشعوب الأخرى بالطيبة والاحترام وأكدت كتاباته على:

- الإنسان ككائن بشري طبيعي دون تمييز عن الآخرين بسبب اللون أو الجنس والتأكيد على أخوة البشر.

- المبادئ الأخلاقية البسيطة كالمحبة والتآخي والتخلص من شرور العصبية العنصرية المناخية للأخلاق الفاضلة والمساواة بين البشر.

- التيار العملي ومثله **شيشرون** الذي عمل على التوفيق بين واقعية **(بوليب** ومثالية بانتيوس) حيث كان من أنصار المساواة بين الشعوب ولا يرى اختلاف بين المصالح الخاصة والعامة.

---

[1]- **عمر عبد الحي**، الفكر السياسي في العصور القديمة، ط 2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2006، ص 298.

[2]- المرجع نفسه، ص 228.

فالمجتمع عنده نوعان:[1]

الأول: يوحد ويجمع بين الأشخاص الخيرين الذين تجمعهم الصداقة.

الثاني: الوطن الأكثر قدسية الذي يريده أن يكون وطنا عادلا.

وأثر **شيشرون** بفكرة القانون الطبيعي التي جاءت بها الرواقية والتي تؤسس للقول بوحدة الجنس البشري، وتساوي جميع الأفراد بغض النظر عن جنسهم وعن دينهم.[2]

ورأى كذلك أن القانون الطبيعي هو القانون الذي يحقق المساواة للناس ويجب على القوانين الوضعية أن تستخدمه في الحياة اليومية للشعوب، وقد أثرت هذه الفكرة في تفكير أباء الكنيسة.[3]

وأبدى (**سنيكا**) نوعا من التسامح تجاه المساواة الروحية لاعتقاده بالمساواة بين العبد والسيد في الروح التي تمتزج فيها الطبيعة الإلهية والروح الإنسانية، وأن أهم ما يملكه الإنسان هو القدرة على التغلب على الخوف والموت وتميز بالصبر والشفقة، لكنه اعتقد في الوقت نفسه بوجود فروق طبيعية في المكانة الاجتماعية للأفراد، وهذا يدل على سعيه للتوفيق بين موقفه وبين الممارسات السائدة في عصره.[4]

ويعني هذا أن التسامح عند (**سنيكا**) كان تسامحا جزئيا وليس شاملا لإيمانه بالتمييز الاجتماعي بما يدفع اتجاه اللاتسامح الاجتماعي وهو ما يعود إلى تأثره بواقع روما الذي عاشه، فالفكر لا ينفصل عن الواقع بل يؤثر فيه ويتأثر به.

وإذا كانت الحضارة الرومانية قد بدأت بالتسامح على المستوى العملي (**Pratique**) فإنها لم تنته به، فقد صدر مرسوم التسامح مع **المسيحيين** في القرن الرابع الميلادي أولا ثم بين **المسيحيين** ثانيا، ويمكن تلمس التسامح عند الرومان في نصوص القانون الذي تميزوا به وعرف بعدله، هذا بالرغم من قسوة هذا القانون في بعض الأحيان.

---

[1]- المرجع السابق، ص 229..

[2]- عمر عبد الحي، المرجع السابق، ص 347.

[3]- المصدر نفسه، ص 348.

[4]- **المعجم العلمي للمعتقدات الدينية**، تر: سعد الفيشاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون طبعة، 2007، ص 572.

إلا أن الرومان كانوا يدعون إلى السلم العالمي، وتنظيم علاقتهم مع الشعوب الأخرى، كانت القوانين الخاصة بالمواطنين لا تميز بين الفقراء والأغنياء بل تحترمهم كونهم مواطنين أي الرومان يخالفون في ذلك اليونان بالرغم من حرب المسافة والجوار، أما إذا رجعنا إلى الواقع فلم نجد الرومان كذلك حيث التميز الطبقي في الحضارة الرومانية التي لم تعترف للعمال بحق المواطنة.

إلا أن فولتير يرى أن الحضارة الرومانية عرفت التسامح إلى أبعد الحدود خاصة مع الديانات الأخرى **(اليهود،المصريين القدماء)** فكانوا يعدون التسامح البند الأكثر قدسية في القانون الناظم لشؤون الأمم.[1]

كما عرف الرومان تسامحهم مع **المسحيين** واليهود قبل أن يتخذوا المسيحية ديانة رسمية لهم، بل أن اليهود هم الذين تآمروا على القديس بولس وبأمر من يهودي.

بالرغم من ما إمتازت به الحضارة الرومانية مقارنة بما سبقها من حضارات في تعاملها مع التسامح أي مع الآخر المختلف في الدين كما في العقيدة، إلا أن الواقع التاريخي يكشف أن الحضارة الرومانية قد عرفت التسامح الديني وليس التسامح السياسي أو الاجتماعي الذي يسوّي بين المرأة والرجل ويحفظ حقوق المواطن ويؤمن بالاختلاف ويحترم الغير، حيث كانت المرأة مهمشة وتعاني التمييز و **اللاتسامح** ويسلط القهر والعنف، كما كانت الطبقة العاملة تعاني أيضا من الإقصاء والتهميش (اللاتسامح) الاجتماعي كما عانى العبيد من اللاتسامح وفقدان الحقوق وما كان التسامح المزعوم إلا مرحليا أو جزئيا يخص طبقة دون أخرى، وفرد دون آخر. ومع أهمية الحضور التاريخي للمفهوم يعلن عدد كبير من المفكرين عن صعوبة كبيرة في تحديده، حيث يعلن رتشارد مكيون صراحة هذه الصعوبة بقوله: **إذا لم تسألني عن ماهية التسامح فأنا أعرف هذه الماهية، وإذا سألتني فأنا لا أعرف.**

[1]-**فولتير**، رسالة في التسامح، مرجع سابق، ص 53.

المبحث الثالث: التسامح في الفكر الغربي الحديث و المعاصر:

أولا: فكرة التسامح عند الغرب

ثانيا: التسامح في الفكر الغربي الحديث

أ – التسامح عند جون لوك

ب –التسامح في نظر فولتير

المبحث الثالث: التسامح في الفكر الغربي الحديث و المعاصر:

فكرة التسامح عند الغرب : ظهرت فكرة التسامح عند الغرب في **القرون الوسطى** أو ما يسمى بعصر **النهضة** و**الإصلاح** في فترة تميزت بسلطة مطلقة للكنيسة على الحياة والدولة والمجتمع والفرد، ثم تركزت الفكرة كقيمة أخلاقية ذات دلالات سياسية ومجتمعية في القرن الثامن عشر الميلادي أو ما اصطلح عليه **بعصر التنوير** وممن ساهم في إبراز هذه الفكرة نذكر: جاكوب أكونتيوس **J.acontius ت.1566م، جان بودان J.bodin ت.1596م.**، بلتازارهومباير **B.humbaer** ت .**1528**، جون ألتسيوس **J.althusius ت.1638م، ثم جون لوك John locke ت. 1704**، صاحب الرسالة الشهيرة المعنونة بـــ رسالة التسامح **وفولتير Voltaire 1694-1778**، صاحب العمل الشهير **traite sur la tolérance** بحث في التسامح.*

1 **التسامح في الفكر الغربي الحديث :** شهدت فكرة التسامح في هذا العصر تطورات في مدلولاتها عبر السنين مواكبة لتطور الفكر الغربي نفسه فخرجت بذلك من طور المحلية، أي التسامح بين أفراد المجتمع الواحد إلى طور العالمية ،أي التسامح بين البشر كافة، ورمت من مرحلة التنازل إلى مرحلة الإعتراف بالحق ثم إلى احترام هذا الحق، وبهذا تبلور مفهوم التسامح كموضوع للتداول الفلسفي على الأرجح في فترة ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين في خضم الصراعات العقائدية بين الطوائف المسيحية في أوروبا، وظهر ذلك مع **جون لوك** وفولتير حيث ارتبطت إثارتهما بالموضوع بصورة مباشرة بالصراع العقائدي المسيحي وما ترتب عنه من أحداث دموية، و بهذا جاء تأليف "الرسالة في التسامح" **« Lettre sur la tolérance »** لـ**جون لوك John Lucke** كما هو معلوم.

التسامح عند جون لوك : التسامح حسبه قيمة إنسانية، وكل قيمة ما هي إلا إفراز لواقع موضوعي اجتمعت وفقه عوامل مختلفة اجتماعية و تاريخية و سياسية وإقتصادية وثقافية

* – **john lucke** 1632-1704 est un philosophe anglais l'un des principaux précuseurs des lumière, sa théorie de la connaissance était qualifiée d'empiriste car il considrait que l'expérience est l'origine de la connaissance.

وقد أفضت هذه العوامل عند لوك إلى رؤية فلسفية تعبر عن مستقبل حركة الواقع الأوروبي في القرن السابع عشر، إذ تؤكد هذه الرؤية على التسامح باعتباره مطلبا ضروريا للواقع الأوروبي[1] وذلك بين مختلف الفرق والملل والاتجاهات الدينية في الدين الواحد أو بين الديانات على مستوى الممارسة العملية .

عليه نجد أن **جون لوك** لا يؤسس التسامح الديني تأسيسا دينيا من نصوص الوحي المقدس، بل يؤسس التسامح الديني على أساس المعرفة الإنسانية وهي محدودة بقدراتنا المعرفية من حس وحدس وبرهان، لذلك فإن إدعاء معرفة الحقيقة المطلقة ليس في إمكان المعرفة الإنسانية ،ومن ثم ليست الحقيقة المطلقة ملكا لأحد **كاثولكيا** كان أو **يهوديا** أو **مسلما** أو غيره من الملل، بل إنها ملك لله وحده لا يشاركه فيها أحد [2] هذا هو الجذر المعرفي الحقيقي والأساسي للتسامح الديني، ويكشف **جون لوك** عن هوية **أهل الحمية** في رسالته عن التسامح، أنهم علماء اللاهوت، الذين ينشرون نتائج قراءتهم وتفسيراتهم للكتاب المقدس، ويزعمون أنها وحي من الله، وهذا هو الإفتراء على الدين، فكل منهم يضع شروطه للإيمان والعقيدة حسب ميوله وأهوائه أينما شاء ووقت ما شاء، فيجعلها في سلطة مساوية لسلطة الكتاب المقدس، إنهم ونقصد دائما أهل الحمية أهل إدعاء الحقائق المطلقة التي لم يشركهم أو يشاركهم فيها أحد، وذلك دون دليل ولا برهان، رغم أن كل حقيقة ممكنة للإنسان، مهما كان هذا الإنسان (ملته) في إطار قدراته المعرفية هي حقيقة إنسانية ومن ثم التسامح الديني لازم لزوما ضروريا على أساس المعرفة الإنسانية.3

وبالنسبة **لجون لوك** فالتسامح ليس ضد الدين كما أنه ليس ضد العقل، بل هو الحل العقلاني لتجاوز الصراعات والخلافات، لذلك فإن حديثه عن التسامح ليس حديثا عن تسامح المسيحية من حيث هي دين، بل هو موجه إلى المسيحيين وإلى المتدينين بالديانات الأخرى من حيث ما يشكلونه من مؤسسات دينية وسياسية وينظر كل منهم إلى عقيدته

[1]-**خليفة فريال حسن**، الفلسفة والتسامح والبيئة ، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 39.

[2]- المرجع نفسه، ص 40. **2- المرجع نفسه ص41**

3- خليفة فريال حسن ،الفلسفة والتسامح و البيئة المرجع السابق ص 42

على أنها هي الصواب بعينه ولا حقيقة بعدها ولا قبلها، أي ما عداها هو الكفر والظلال، ويتخذون من الدين وسيلة لقهر البشر والتسلط عليهم.

وأول نموذج بالنسبة **لجون لوك (1632-1704)** هو النموذج **البروتستانتي** في **القرن السابع عشر** الذي كان مضطهدا في انجلترا، إذ كان للدين الدور الفعال في **الايديولوجيا** السياسية، كما عانت أوروبا بشكل عام من مخلفات الصراعات الدينية والحروب المتكررة التي ساءت **القرن السادس عشر** والنصف الأول من القرن السابع عشر وهو العصر الذي عايشه الكثير من المفكرين والعلماء أمثال جون لوك والذي أشار إلى قضية التسامح وجعلها مطلبا ملحا من مطالب العصر.* و التسامح حسب لوك هو ما يميز الكنيسة الحقة

ويدعو **في رسالته إلى التسامح 1689** إلى وضع النظم السياسية، وتحديد مجال كل من السلطة السياسية والسلطة الدينية، لأن مشروعية المجتمع السياسي لا تستمد من الدين، وليس من حق أي فرد حاكما أو بابا أو أي إنسان كان أن يتعدى باسم الدين على الحقوق المدنية للبشر، فللدين مجاله وللسلطة السياسية مجالها، فالخلط بين هذا وذاك كالخلط بين الجريمة والخطيئة حيث أن الخطيئة ضد الله فهي مرهونة لذات الإنسان، أمام الجريمة فهي ضد المجتمع ويحاسب عليها الإنسان بالقانون المنظم للمجتمع.[1]

كما يشير لوك في رسالته إلى احترام الفرد مهما كانت ديانته يهودية أو مسيحية أو إسلامية أو حد وثنية ومهما تعددت الفرق في الديانة الواحدة أي أنه لا يجرم أحد أو يجرده من حقوقه المدنية* إلا إذا ارتكب جريمة في حق الأخر أو في حق المجتمع.[2]

لهذا فالتسامح عنده لا يقوم إلا على أساس النظرة العقلية للدين أو بالأصح عقلنة الدين والتخلي عن وهم امتلاك الحقيقة الدينية المطلقة.

---

*جون لوك **john lucke** من مواليد 29 أغسطس 1632، فيلسوف تجريبي، ومفكر سياسيس انجليزي ولد بـــ رنجتون wringinton في إقليم سومرست وتعلم في مدرسة وستمنستر ثم في جامعة أوكسفورد حتى أصبح طبيبا، تولى العديد من
المناصب و كان له الفضل في التوفيق بين الطبقة الأرسطقراطية المالكة والبرلمان وذلك حفاظا على الدولة، توفي في 28 أكتوبر 1704 كما كان له دور كبير في الثورة الأمريكية.

[1]- المرجع السابق، ص 42.

[2]- المرجع السابق، الفلسفة والتسامح والبيئة ص 42.

ولو استمرت نظرة الفرد والحاكم والكنيسة إلى دينه واعتقاده امتلاك الحقيقة المطلقة، وما عداه زيف وبهتان، فإنه باختلاف الأفراد والحكام والكنائس، تتعدد المطلقات وتختلف.

والمطلق في نظره لا يكون مطلقا إلا في استبعاد المطلق الآخر [1] وعليه تتحول الحياة الإنسانية في مختلف أبعادها إلى صراع، ويسود التعصب واللاتسامح إذ لا خلاص للمجتمع من الشرور سوى العزوف عن وهم امتلاك الحقيقة المطلقة بالكشف عن طبيعة المعرفة، أو الاعتقاد الديني واستناده إلى العقل كقدرة طبيعية للمعرفة وعلى أساس معرفتنا الإنسانية النسبية والمحدودة في آن واحد.

يحدث الاختلاف ويصبح إلى جانب التعدد حقا مشروعا عقليا ومعرفيا يستدعي بالضرورة التسامح فيما بين الأفراد والمجتمعات.

الأمر الذي يجعل **جون لوك** ينادي بالعلمانية كنظام تتعايش فيه المجتمعات والعلمانية حسبه ليست دعوة إلى الإلحاد بل دعوة لتحرير الإنسان من كل ألوان القهر السياسي والاجتماعي والفكري باسم الدين وتحريره من اضطهاد **أهل الحمية**" * بادعائهم الوحي الإلهي.

كما يرى **لوك** أن التسامح هو العلاقة الرئيسية المميزة للكنيسة الصادقة، لأن العقيدة الدينية هي في المقام الأول علاقة بين كل فرد من الناس وبين الله، والدين خالي من المحبة والإحسان هو دين زائف، * والذين يضطهدون الآخرين باسم المسيح يتنكرون لتعاليم المسيح ولا ينشدون إلا المظهر الخارجي، لا السلامة ولا القداسة حسب لوك فالإيمان لا يمكن أن يفرض بالقوة، كما لا يمكن إرغام العقل على اعتقاد شيء لا يعتقده بنفسه.[2]

---

[1]–المرجع نفسه، ص 55.

*أهل الحمية من وجهة نظر لوك، هم مصدر الإنشقاق والهرطقة في العقيدة ويدعون الوحي أو الحقيقة المطلقة دون دليل أو برهان و الحمية إستبعاد للعقل و إدعاء للوحي و إستسلام للخيال.

*صدرت رسالة جون لوك المرسومة بـــ "رسالة في التسامح" في العام 1689 وذلك تعبيرا عن الثقافة البديلة للتعصب والعنف، والتطرف الديني التي كانت سائدة والتي دفعت أوروبا بسببها ويلات ورحوب.

[2]– **بدوي عبد الرحمن**، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ج2، ط1، ص 380.

الناس المخلصون الأمناء يختلفون في أمور العقائد الدينية، ولهذا فإن التسامح وحده هو الذي يمكن أن يحقق السلام بين الناس، والنصارى والمسلمون واليهود الوثنيون كلهم يؤمنون بسلامة أديانهم، لهذا لا بد من التسامح الشامل، ما دام الخلاف بين الناس في الأديان والمذاهب قائما.[1]

ففي هذا الإطار نجد أن **جون لوك** قد بسط في رسالته الخطوط العريضة لتصوره عن التسامح، وهو تصور يقوم إجمالا على فكرة أن التسامح ضروري لحاجتين أول هذه الحاجات أخلاقية تتمثل في أن الدين اعتقاد حر واقتناع فردي لا إكراه فيه، ومن ثم وجب ضمان حرية المعتقد للجميع والتسامح مع كل الملل، فلا حق لا للدولة ولا للكنيسة في إجبار أحد أتباع عقيدة بعينها، فالحرية مكفولة للجميع بغض النظر عن ملتهم أو معتقدهم، وثاني هذه الحاجات معرفية مؤداه أن المعرفة محدودة ونسبية واحتمال الخطأ فيها وارد، ومن ثم وجب التسامح مع مختلف المعتقدات والملل، وذلك في خضم الظروف السياسية الحرجة التي كانت انجلترا تعيشها في القرن السابع عشر الميلادي والتي كان لها انعكاس مباشر على جون لوك نفسه كما يرى **شافت سبري Shaftesbury** الذي طلب من لوك تأليف رسالته تلك، الذي بسط فيها الخطوط العريضة لتصوره عن التسامح، وهو تصور يقوم إجمالا على فكرة أن التسامح ضروري لحاجتين أولهما أخلاقية تتمثل في أن التدين اعتقاد حر واقتناع فردي لا إكراه فيه، ومن ثم وجب ضمان حرية المعتقد للجميع والتسامح مع كل الملل، إذ لا حق لا للدولة ولا **للكنيسة** في إجبار أحد على إتباع عقيدة بعينها فالحرية مكفولة للجميع بغض النظر عن ملتهم أو معتقداتهم كما أن الحرية في نظر جون لوك هي ألا يتعرض المرء للتقييد و العنف من الآخرين، فمن دون حرية لا وجود للتسامح و غياب التسامح يعني العنف ، وثانيهما معرفية مؤداها أن المعرفة محدودة ونسبية واحتمال الخطأ فيها وارد، ومن ثم وجب التسامح مع مختلف المعتقدات ،هذا إذا ما أردنا حقيقة بلوغ التسامح الذي يريده المجتمع و تصان فيه الحريات. [2]

[1]– المرجع السابق، ص 380.

[2]- المرجع نفسه ص382

التسامح في نظر فولتير: التسامح وفق فولتير **voltaire هو** خاصية إنسانية وضرورة طبيعية ومن لا يحمل هذه الصفة لا يكاد يكون إنسانا، بل هو أقرب إلى التوحش والعنف، أي أن الإنسان معرض باستمرار للخطأ، لذا يتعين أن يكون لديه استعداد دائم للصفح عن الأخطاء والتسامح مع الأخر المخطئ ما دام أنه معرض هو الآخر لنفس الخطيئة، إذ يصبح بذلك بحاجة إلى الصفح والتسامح، ولعل هذه ترجمة شديدة الصدق لما نادى به **فولتير** من صورة التمسك بالجانب الأخلاقي الذي يعير اهتماما بالإنسان بغض النظر عن انتمائه وملته ولا حتى معتقده ومذهبه هذا ما إذا أردنا إدراك بحق القيمة الحقيقية للآخر، ومفارقات التسامح لدى **فولتير** هو أن يولد دائما في رحم **التعصب**، ويكون استحضاره غالبا في فترات العنف والإرهاب، وكأنه لا بد من تعميده بالدم أولا حتى تكتب له الحياة، فقد أصدر الإمبراطور "**قسطنطين**" في أوائل القرن الرابع الميلادي مراسيم التسامح والعفو عن المسيحيين بعد أن عانوا أشد أنواع الاضطهاد الديني ثم اعتنق هو نفسه **المسيحية** فيما بعد[1].

غير أن مراسيم التسامح هذه فقدت مبناها ومعناها بمجرد أن تمكنت السلطة الدينية من فرض هيمنتها بالكامل في نهاية القرن الرابع الميلادي، فقد قام أحد الباباوات وهو القديس **saint grégoire** في عام **385** بتحويل **المعابد الفرعونية** بالإ**سكندرية** إلى **كنائس** وأديره، مما يدل على عدم تسامحه مع الديانات الأخرى، وهذا يخالف دعوة المسيح إلى المحبة والتسامح والصفح، وهناك عدة أمثلة على ذلك في الكتاب المقدس.[2]

كما أن **فولتير(1694-1778)** كرس حياته لمحاربة **التعصب** بجميع أشكاله خاصة الديني منه، لهذا فهو رمز يستنجد به الناس في كل مكان خاصة عندما يصبح المتطرفون هم أسياد الموقف في الأرض الأمر الذي جعل فولتير يكتب مؤلفاته مدافعا عن **البروتستانت**، وهو الكاثوليكي أب عن جد، وقد خاطر بحياته في عدة مناسبات تم رفضه فيها للتعصب والتضييق على الآخر، كما أنه فهم إذا ما سكت عن الجرائم التي يرتكبها المتعصبون الكاثوليك باسم الدين، فإنه سوف يتخلى عن أهم ما يملكه المثقف والمفكر بصفة عامة،

[1] -**voltaire** – traite sur la tolérance : chap XI : abors de l'intolérance p27 sur 82 athena- pierre peroud.
[2] - Ibid P 28

وما يمكنه تقديمه لمجتمعه، وهو الدفاع عن قضايا الحق والعدل والحرية، ففي ذلك كتب رسالته الشهيرة"مقالة في التسامح".[1]

وقد جاء فولتير ومعه **عصر التنوير** برمته كردة فعل على مسألة التعصب الديني والحروب المذهبية التي مزقت أوروبا طيلة قرنين من الزمن، وقد ظهر مفهوم التسامح لحل هذه المشكلة: أي مشكلة التعايش بين المذهبين للمسيحية الأوروبية، وهما المذهب الكاثوليكي والمذهب البروتستانتي، والتنوير وفق نظرية **فولتير** ظهر لتلبية الحاجة إلى حرية المعتقد والضمير، ثم حق الاختلاف في تأويل النصوص المقدسة، والتسامح لم يكن له معنى بالنسبة **للأصوليين**، فهو يمثل ما يسمى"باللامفكر فية" أو المستحيل التفكير فيه، ولم يكن أي مسيحي آنذاك قادرا على فهم مطلب الفلاسفة في التسامح **وفولتير** واحد منهم، إذ كيف يمكن أن نتسامح مع شخص يرفض الحقيقة الإلهية؟ وهل يحق لهذا الشخص أن يكون له وجودا[2].

ولم يكن **الأصوليين** يقصدون بذلك الفلاسفة والملحدين فقط، وإنما كانوا يقصدون أيضا المذهب المضاد أو أتباع الديانات الأخرى غير المسيحية فأتباع المذهب الكاثوليكي في فرنسا كانوا يعتبرون الأقلية **البروتستانتية** بمثابة الكافرة وبالتالي فلا يمكن التسامح معها، رغم أن **البروتستانت** كانوا يؤمنون بالمسيح مثل **الكاثوليك**، ولم يكن لهم كتاب آخر غير الإنجيل وكانوا يختلفون في فروع الدين كما حدث في العديد من الأديان وليس في أصوله مما يؤكد أن الأصولي شخص لا يستطيع تحمل أي إختلاف فيما يتعلق بشؤون الدين والعقيدة التي في مخيلته، ويدعى أنه يمتلك الحقيقة المطلقة التي لا حقيقة بعدها، ومن هنا فهو يتصدى لكل إنسان لا يعترف بهذه الحقيقة، ويعتبر ذلك جريمة لا تحتمل، ويستحق مرتكبها الموت، لذلك وقف فولتير وآخرون ضد هذا النوع من التفكير المتعصب واعتبروه نوعا من الإنحراف الفكري الذي لا يجب أن يمثل قاعدة للتعايش بين أفراد الشعب الواحد على اختلاف مذاهبهم وفي هذا يقول فولتير: إذا كان حق إنساني أن

[1] – Ibid P28.

[2] – **voltaire** – traite sur la tolérance : chap XI : abor de l'intolérance p 29 sur 82 Athéna- pierre peroud.

يتصرف الإنسان كما يشاء، فإنه سيكون من حق الياباني أن يمقت الصيني، إن قانون اللاتسامح يبدو عبثي غير معقول ووحشي.[1]

هذه هي الأفكار الأصولية التي دفعت **فولتير**، وقبله البعض أمثال **جون لوك** كما أشرنا إليه سابقا ومن بعده كثيرون للبحث في مسألة التسامح التي لا تعترف بامتلاك أي إنسان للحقيقة الإلهية المطلقة فالحقيقة في نظره ملك لله وحده، ويعتبر أن التعصب واقعة خاصة بالمسيحية، فلا بلدان الشرق، ولا الرومان ولا حتى اليهود عرفوا حسب رأيه التعصب الديني مثل الذي شهدته أوروبا المسيحية فالنصرانية ديانة تطمح دائما للسيطرة على المستوى الزمني والروحي، وفي ذلك يقول أيضا: اذهبوا إلى بلاد الفرس إلى أرض **التتار**، سترون نفس التسامح ونفس الهدوء.[2]

لقد كان **فولتير** العدو اللذوذ للتعصب والمتعصبين، وخصما للكنيسة إذ لعب فكره دورا مهما في إنضاج الأوضاع لقيام الثورة الفرنسية، فقد أصدر في مقالته الشهيرة عن التسامح،[*] في خضم المعركة التي كانت دائرة في **فرنسا** بين المتعصبين المتطرفين من جهة والفلاسفة من جهة أخرى، حول حرية اللإعتقاد والضمير، وحول الأقلية البروتستانتية وحول عائلة كالاس **Callas** البروتستانتية في مدينة تولوز **Toulouse** وما أصابها من ويلات على أيدي المتطرفين الكاثوليك [3] إذ تتمثل هذه القضية أنه في الثالث من أكتوبر **1761**م شنق الإبن الأكبر للعائلة نفسه، ولم تعلم **أسرة كالاس** السلطان بالظروف الدقيقة التي حقت بوفاة إبنها، وإدعت أنها وجدته مخنوقا لأنها لم ترغب في إعتباره منتحرا مما يؤدي إلى عدم القيام بجنازة لائقة به، وبعد الشائعات التي أحاطت بالقضية في اعتقاد أن الابن المنتحر كان يرغب في الالتحاق ب **الكاثوليكية**، لذلك أمرت الشرطة بمساءلة الوالد الذي اعترف تحت الضغط والتعذيب بأنه الجاني لكن وبالرغم من تراجعه إلا أن الحكم الذي صدر في حقه من طرف المحكمة والقاضي بإعدامه نفذ إذا

---

[1] – **voltaire** – traite sur la tolérance : chap XI : abor de l'intolérance p 29 sur 82 athena- pierre peroud.

[2] – **voltaire** – traite sur la tolérance : chap IV: si la tolérance et dangereuse et chez quels people elle est remise ?p 9sur 82 Athéna- pierre pernod.

[*] – **callas** عائلة بروتستاتينية مضطهدة في جنوب فرنسا منطقة تولوز.

[3] –ibid. p14.

كان ذلك في **مارس 1762م** الأمر الذي جعل **فولتير** يعتقد أن الاتهام الموجه جاء كالآتي:كان اتهاما عادلا وذلك نزولا عند عاطفة العامة من أهل البلدة لكن وبعد مدة قصيرة ونتيجة للضغط الذي عايشته عائلة كالاس بعد إعدام عائلها، فضلت عليه هذه الواقعة البشعة الذي كان يعتقد أنها منصفة وعادلة، فرأى في ذلك فاجعة لا تغتفر ومن منفاه، أطلق صيحته المعروفة : " **اسحقوا العار** " وعلى الرغم من أنه ينتمي من حيث أصله العائلي، إلى الأغلبية الكاثوليكية إلا أنه وقف بحزم لصالح هذه العائلة المضطهدة، ودافع عن حق **البروتستانتيين** في الوجود وممارسة معتقداتهم وشعائرهم وقد عبر **فولتير** عن تضامنه مع هذه العائلة بالقول: إن جريمة **قتل كالاس Callas** التي اقترفت في **تولوز** تحت سيف العدالة في التاسع من **مارس 1762**، كانت واحدة من الأحداث النادرة التي تثير الانتباه سواء من جيلنا أو من الأجيال اللاحقة.*

فالنصرانية ديانة تطمح دائما للسيطرة على المستوى الزمني والروحي.هذا ورغم كل ما تعرض له فولتير من تضييق ومراقبة إلا أنه أصبح مضرب مثل على انخراط المثقف في القضايا العامة غير مبالي لما يعترضه من عراقيل، إذ خاطر بنفسه وطمأنينته في أحيان كثيرة لا لشيء إلا لأجل نصرة القضايا العادلة، وما كان لحركة الإصلاح الديني الأوروبي أن تؤصل التسامح والحرية الدينية في المجتمع دون ذلك الإسهام لأصوات مثل:فولتير: (**voltaire** 1632–1778)، فيكتور: هيغو **Victor Hugo**، وإميل زولا: **Imil Zola** في القرن التاسع عشر وسارتر: **Sarter**، وميشيل فوكو: **Michel Foco** في القرن العشرين وبالتالي فقد أصبح **فولتير** *يمثل الضمير الحي لكل أمة عندما توضع مسألة الحقيقة والعدالة والتسامح على المحك. إذ أشار في أكثر من موضع إلى أن الدين

---

*–**فرانسوا ماري أورويو François Marie Anrouet المعروف باسم فولتير** بالفرنسية voltaire من مواليد 21 نوفمبر 1694 ووفيات 30 مايو 1778م، فولتير هو اسمه المستعار، كاتب فرنسي عاش في عصر التنوير وهو أيضا كاتب وفيلسوف واشتهر بدفاعه عن الحريات وخاصة حرية العقيدة.

* كان موقف فولتير في البداية ضد التسامح وقد كتب في العام 1741 كتابا ينم عن التعصب الديني، لا يسما إزاء الإسلام والمسلمين وهو بعنوان" التعصب أو النبي محمد" فإذا كان المرة الأولى على شكل مأساة ففي الثانية كان أقرب إلى الملهاة. –**نبيل محمد توفيق** الدين والبناء الإجتماعي –ج2 دار الشروق للنشر والتوزيع جدة السعودية ط 1– 1981ص39.

مظهر فطري للمجتمع الإنساني وعن طريقه يحقق السلام و الوفاق بين مختلف الأفراد والجماعات، وإذا ما حاد عن وظيفته صار معول هدم وأساسا من أسس الصراع. [1]

يعتبر فولتير تلميذا للفيلسوف الانجليزي "**جون لوك**" الذي نشر كتاب بعنوان "رسالة في التسامح" كما أشرنا إلى ذلك سابقا وكان ذلك **سنة 1689** وبعده نشر فولتير كتابه "مقالة في التسامح" وهذا يعني أن الأوروبيين بصفة عامة كانوا منشغلين آنذاك بمسألة التعصب الديني ويحاولون أن يجدوا لها حلولا، أو علاجا وكان مفكري أوروبا لا يتبنون المواقف الديماغوجية المتواطئة مع العصبيات الشعوبية، بل ينخرطون في مناقشة ما كان مشكلات حقيقية متحملين المسؤولية ومعرضين أنفسهم للعقوبات والتعذيب، وعلى هذا النحو استطاعوا أن ينهضوا بشعوبهم ويسيروا بها على درب الحرية والعدالة والمساواة المؤدية إلى التسامح الذي يحترم فيه الآخر ويقبل فيه الإختلاف، وبالنتيجة فإن التسامح يعبر عن صيغة إحترام مشاعر ومعتقدات الآخرين، أي معاملة الآخرين كبشر بصرف النظر عن ألوانهم وانتماءاتهم الدينية والعرقية والمذهبية أو خلفياتهم الاجتماعية.

عليه نقول أن فولتير كرس جانبا كبيرا من حياته للدفاع عن حرية المعتقد وحرية التعبير بإعتباره من وجوه التسامح الأساسية، وفي هذا يقول قولته المشهورة " **إنني مستعد أن أموت من أجل أن أتركك تتكلم بحرية مع مخالفتي الكلمة لما تقول** "ولا شك في أن هذا الموقف يتأسس على أرضية الإيمان بأن التسامح يقتضي حتما تحرير العقول والألسنة وإطلاقها. ومن هذا المنطلق سعى فولتير إلى ترسيخ الإرتباط الوثيق بين التسامح والحرية، وفي هذا تعتبر رسالته حول التسامح أهم كتاباته التي خلدت نضاله العملي في مجال الدفاع عن التسامح والحرية الدينية.هذا والواقع يثبت حسب العديد من المفكرين أن خطاب التسامح ليس مجرد سلاح دعائي إلتجأت إليه إيديولوجي ا القوى الغربية لحسم الصراعات الحضارية لصالح أطروحاتها النظرية، [2] بل هو خطاب لنموذج فعلي نموذج

[1] – voltaire – traite sur la tolérance : p3 sur 82 chap 1 : histoire abrégée de la mort de jean calas : athrona : pierre perroud.

[2] – عبد القادر بوعرفة ، بوزيد بومدين ، (العدالة والإنسان) دار الرضوان ، منشورات مخبر الإبعاد القيمية في الجزائر،ط1،2008 .

الإنسان المعاصر الملازم لتطورات التقنية والمنشغل بالمجالات الإقتصادية والسياسية، وقد أشار كذلك إلى أن الدين مظهر فطري للمجتمع الإنساني، وعن طريقه يتحقق السلام بين مختلف الأفراد والجماعات، وإذا ما حاد عن وظيفته صار معول هدم وأساسا من أسس الصراع والظلم.[1]

لقد كانت فلسفة فولتير في أغلب مواقعها تصب في اتجاه الدعوة للسلام والمساواة بين الأفراد داخل الدولة باعتبارها تنظيم اجتماعي ،فقد كان فولتير داعية للسلام، يدين الحروب في جميع صورها، لا يفرق في ذلك بين الحروب العدوانية والحروب الدفاعية. هكذا وبأفكاره الثورية التي لم يسبقه إليها أحد خاطر **فولتير** بحياته في أكثر من مناسبة وبرهن أنه واحد ممن قدموا خدمات جليلة للإنسانية وواحد ممن يعود لهم الفضل في الارتقاء بالإنسانية نحو بناء مستقبل أفضل في ظل التعايش السلمي والتسامح .

في الأخير نقول أن مفهوم التسامح تطور في العصر الحديث و المعاصر في الغرب متأثرا بالحداثة والفلسفات النقدية وهي كثيرة على أساس أن فكرة التسامح لا تؤمن بوجود حقيقة مطلقة،هذا الذي أدى بهم إلى تحقيق الحرية و إدراك حق الإختلاف في الرأي و في الحياة وسط مجتمعاتهم التي تجاوزت المجتمعات الأخرى، خاصة المجتمعات العربية والإسلامية التي مازالت في نظرهم حبيسة التأويلات المنشدة إلى الماضي للإحتماء به وجعله ملاذا أمنا لرفض كل ما هو جديد ،غير مبالية بما يحدث من حولها. ووفق ما تعرضنا إليه من خلال جون لوك وفولتير كنموذجين في الفكر الغربي الحديث والمعاصر توصلنا إلى أن حلمهما ركز أكثر على حرية الإنسان في العيش الحر مهما كان أصله،لكن للأسف حقيقة التاريخ تتنافى مع ذلك تماما و خير دليل على ما نقول المسار الديني المتمثل في حكم الكنيسة و ما حدث للبروتستانت على يد الكاثوليك الذين وقفوا للتسامح بشدة خوفا على مستقبل من كانوا يديرون شؤون المجتمعات بإسم الدين.

---

[1]– نبيل محمد توفيق السمالوطي –الدين والبناء الإجتماعي، ج2، دار الشروق للنشر و التوزيع جدة السعودية، ط 1، 1981، ص39.

2– سواريت بن عومر ، عمل جماعي ،التسامح الفعل والمعنى ،مخبر الأبعاد القيمية الجزائر ،ط1 2010 ص205

الفصل الثاني

مفهوم التسامح في الإسلام

المبحث الأول: التسامح مع ظهور الإسلام

أولا :التسامح و المجتمع

ثانيا :التسامح وفق المنظور الإسلامي

ثالثا : الأخر في نظر الإسلام

رابعا: التسامح كما أشارت له النصوص

المبحث الثاني: الحركة الإصلاحية ومسألة التسامح

أولا: التسامح في فكر محمد عبده

ثانيا: التسامح في فكر الطاهر بن عاشور

ثالثا: التسامح في فكر عبد الحميد ابن باديس

المبحث الأول: التسامح مع ظهور الإسلام

أولا: التسامح والمجتمع

ثانيا: التسامح وفق المنظور الإسلامي

ثالثا: الأخر في نظر الإسلام

رابعا: التسامح كما أشارت إليه النصوص

المبحث الأول:

التسامح مع ظهور الإسلام: الإسلام لسماحته لم يقف من الأديان السماوية السابقة له وقفة تحد أو عدم إعتراف أو جحود، وبهذا يعد الإسلام من أبرز نماذج الحضارة تسامحا في الدين والفكر، إذ يعتبر أول دين في تاريخ الإنسانية الذي أعطى للإنسان الحق في اعتناق ديانات سماوية أخرى غير متفقة مع الديانة الإسلامية، وقد جعل لأصحاب هذه الديانات ممارسة شعائرهم الدينية في إطار الحكم الإسلامي، إذ تعايشت في ظل الحضارة الإسلامية أقوام وشعوب وقوميات وأجناس وثقافات مختلفة والفاتحين العرب كانوا أكثر الفاتحين تسامحا في التاريخ.

وبلغ من سماحة الإسلام وتسامحه أنه أخذ بقلوب كبار العلماء والمفكرين في العالم الذين دهشوا لما تميز به الإسلام من قيم التسامح والمساواة والعدل، و في ذلك يقول المؤرخ الشهير **غوستاف لوبون** في كتابه "**تاريخ العرب**" مقولته الشهيرة وهي ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب في تعاملهم.[1]

ويقول **أرنولد توينبي** في كتابه **الدعوة إلى الإسلام**، لقد كانت هذه المعاملة الرحيمة سببا في اعتناق كثير من المسيحيين الإسلام. [2] إلى جانب ذلك ضمن الإسلام حرية الاعتقاد للمسلمين فمنع الإكراه في الدين، وأقر التسامح الديني الذي لم يعرف له التاريخ مثيلا، حيث أن الإسلام لا يرغم أي كان على الدخول في دين الإسلام، وفي ذلك يؤكد الله في إحدى آياته قائلا:" **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** "[3] ويقول ابن كثير في هذا السياق أي "لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه يقين واضح".والتسامح من ثوابت الدين الأساسية والمبدئية، فالإسلام جاء ليرسي دعائم السلام في الأرض من خلال دعوة أتباعه إلى تثبيت الاتصال وتقويته بينهم وبين أهل الكتاب على قاعدة دينية

[1]- أبو خليل شوقي، التسامح في الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ص 125.
[2]- المرجع نفسه، ص 126.
[3]- **سورة البقرة**، الآية 256.

راسخة وهي الإيمان بالله وملائكته ورسله جميعا مصداقا لقوله تعالى:" **وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**"[1]

والإسلام كمنهج يقوم على التسامح والرأفة والرفق والرقة وينبذ العنف بأشكاله، يقول الله تعالى: "**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**"[2]

إن موضوع التسامح والإخاء الإنساني في الإسلام أمر واضح المعالم في تعاملات وسلوكات المسلمين مع غيرهم أي مع الآخر على مر العصور، فقد جاء الإسلام شريعة عادلة ونظم إنسانية رفيعة، ووضع أسس التسامح وذلك قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، لذا فالتسامح في الإسلام منهجا للسلوك الإنساني .

التسامح والمجتمع : التسامح سمة مميزة تطبع المجتمع الذي يدعو **الإسلام** إلى قيامه بصفته دين السماحة، الذي لا ضيق فيه ولا تعصب سواء مع الذات أو مع الآخر.

كما أنه يدعو إلى التعارف أي إلى التجمع والتعايش والتساكن وتبادل المنافع والمصالح في تأثر وتأثير دائمين بعيدا على آية عصبية جنسية أو عنصرية أو إقليمية أو نعرة ثقافية وهو بذلك لا يرى فضلا لأحد على آخر، إلا بالتقوى مصداقا لقوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** "[3]

فقد احترم الإسلام جميع الديانات التي اتصل بها لاسيما **اليهودية** و**المسيحية** وهي ديانات كتابية، وهناك أيضا التسامح العرقي فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى فالناس سواسية كأسنان المشط، والعمل الصالح هو الذي يفرق بينهم أمام الله إنه وحده معيار الحكم والتقويم.[4]كما أن المسلمون والعرب تميزوا عن الأخر كونهم تجردوا في المجال العلمي عن عقائدهم ومللهم لا لشيء إلا خدمة للصالح العام ،أي إلى الإنسانية جمعاء

---

[1]- **سورة العنكبوت**، الآية 46.

[2]- **سورة النحل**، الآية 125.

[3]- **سورة الحجرات** الآية 13.

[4]- **مرحبا محمد عبد الرحمن** ، (الجامع في تاريخ العلوم عند العرب) المؤسسة الوطنية للكتاب منشورات عويدات بيروت لبنان، ط3، 1989، ص 7.

حيث أنهم عند استلامهم قيادة العالم وانتقال زمام السلطة إليهم عاملوا الناس بالحسنة دون تفرقة. وعندما استتب لهم الأمر في تلك الإمبراطورية الواسعة الأرجاء فتحوا صدورهم للعلماء ووصلوهم بالهبات والهدايا إذ لا فرق عندهم بين عربي وأعجمي، ومسلم ويهودي ونصراني وغني وفقير وابن سبيل.

وبهذه الروح المنفتحة كان يرأس بيت الحكمة من عاصمة الإسلام رجل مسيحي يعقبه رجل مسيحي أخر، كحنين بن اسحاق مثلا وهو أحد الرجال الذين أسند إليهم الحكم بإعتباره نموذجا من بين الكثيرين الذين تقلدوا المسؤوليات وهم أهل حمية.

هذا وكان يعمل في بيت الحكمة **عرب ويهود وفرس ومسلمون ونصارى** [1] وغيرهم من الطوائف والفرق والملل الأخرى.

التسامح وفق المنظور الإسلامي: يعتبر التسامح في **الإسلام** فضيلة أخلاقية وضرورة مجتمعية وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها، و ذلك باعتبار الإسلام دين عالمي توجه برسالته للبشرية جمعاء، الرسالة التي تأمر بالعدل وتنهي عن الظلم وتنشر دعائم السلام في الأرض، وتدعوا إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعا، في جو من الإخاء والتسامح بين كل الناس بلا استثناء، فالجميع ينحدرون من نفس واحدة كما جاء في قوله تعالى:" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء** "[2] هذا وقرر القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرا من القيم التي كانت على الدوام دليل المسلم في الحياة ،هذا فضلا على أن الإسلام متفتح في هذا المجال تفتحا لا حدود له [3] فهو ينظر إلى الأخلاق الحميدة سواء كانت منتمية إلى هذا الموروث أو ذاك على أنها تقع بصورة أو بأخرى داخل دائرة الإسلام، الإسلام بصفته دين إبراهيم الذي يعترف بالديانات الأخرى، وبما تبقى منها من مكارم الأخلاق، هذا وقد دعا الإسلام المسلم إلى أخذ الحكمة أين وجدها ومتى ما وجدها.

---

[1] – **مرحبا محمد عبد الرحمن**، (الجامع في تاريخ العلوم عند العرب)، المرجع السابق، ص8 .

[2] – **سورة النساء**، الآية 1.

[3] – الجابري محمد عابد –العقل الأخلاقي العربي –دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية –مركز دراسات الوحدة العربيةط4 بيروت لبنان ص 535.

التسامح كما أشارت إليه النصوص:

لقد تضمنت النصوص المتمثلة في القرآن والسنة العديد من الآيات والأحاديث التي تشير للتسامح إذ دعا الإسلام أتباعه إلى التسامح بين أفراد المجتمع الإسلامي وأطيافه من جهة وإلى قبول الاختلاف والتعدد في الرؤى مع غيرهم من الديانات من جهة أخرى.

هذه الرؤية الإسلامية للتسامح سنكتشفها من خلال محطات عديدة بدءا باعتراف الإسلام بالتعددية والحق في الاختلاف والإقرار، بالحرية ورفضه لجميع الممارسات المتعارضة مع التسامح كالعنف والتعصب والعدوان.[1]

كما دعا الإسلام أيضا إلى الحوار وسعى إلى تحقيق السلم والتعايش والسلام بين بني البشر كمفاهيم مركزية في ثقافة التسامح، إلا أنه أكد على أن الوحدة إلا تلك المتمثلة في وجود الله ،ليبقى كل ما عداه قابل للتعدد والتنوع والاختلاف، هذه الرؤية جعلت من التعددية في كل الظواهر المخلوقة سنة من سنن الله تعالى [2] وما السور والآيات إلا دليل على أن الاختلاف والتعدد سلوكا لا بد منه حيث أن الإيمان لا يكتمل إلا بالاعتراف بجميع الرسل والأنبياء وبكل الكتب السماوية. وبهذا يظهر أن الإسلام يعترف بالآخر أو الغير المخالف ويدعو إلى الاعتراف به فردا كان أو جماعة.[3]

وفي الحالتين قد يكون مؤمنا وقد يكون كتابيا، وقد يكون كافرا، هذا والآخر المؤمن هو للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، والآخر الكتابي في المجتمع الإسلامي هو في ذمة المسلم، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " **من أذى ذميا فقد أذاني**" [4]، أما الآخر الكافر فالعلاقة معه مبنية على التعايش والمعاشرة القائمة على القاعدة المتمثلة في لكم مالكم وعليكم ما عليكم مصداقا لقوله تعالى:" **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**" [5].

---

[1]- **عمارة محمد –التعددية في الرؤية الإسلامية**، دار النهضة للطباعة والنشر القاهرة، 1997، ص4.

[2]- المرجع السابق، ص 5

[3]- **المستاري جيلالي**، "قيم التسامح في السياق الإسلامي" رسالة دكتوراه، ج وهران ص 147.

[4]- رواه أبو داود.

[5]- **سورة الكافرون**، الآية 6.

كما أقر الإسلام الحرية الفردية بجميع أشكالها، ما لم تتعارض مع المصلحة العامة وتضر بحرية الآخرين وتعتدي عليها، وفي المجال الديني نجد أن الإسلام قد نهى عن كل ما يتعارض مع الحرية الدينية بمثل استخدام أساليب الضغط والإكراه والعنف والإرغام على الاعتقاد وهو ما يقره المبدأ القرآني في القول" **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**" [1].

إن تحقيق ما سبق ذكره من أساليب يستدعي تجنب كل أنواع العنف والكراهية والتعصب مهما كان شكله، وتجاوز جميع أساليب الحرمان والإقصاء والتجني والتهميش.

التسامح في القرآن الكريم: لفضة التسامح لم ترد في **القرآن الكريم** لكن الإجتهادات الإسلامية ذهبت إلى ما يفيد معناه، وقد جاءت بما يقاربه أو يدل عليه ،كما أن في القرآن الكريم أكثر من آية تدعو إلى السلم ونبذ العنف. والإسلام الذي جاء به رسول الإنسانية محمد رضوان الله عليه وقدمه ذلك التقدم الملحوظ حمل بين طياته قوانين عدة عملت على نشره في شتى أرجاء الكون. ومن أبرز هذه القوانين قانون اللين واللاعنف والتسامح الذي أكدت عليه الآيات المباركة، التي حثت وتحث الإنسان على تجنب كل ما من شأنه يؤلب العلاقة مع الأخر. فالمؤمن الذي نتحدث عنه وفق مبادئ الإسلام لا كراهية لديه لكل الديانات والرسل.

إن رفض الإسلام لكل الأساليب العنيفة يعني منطقيا أن فكرة السلام فكرة أصيلة فيه، هذه الفكرة التي ترجع إليها نظمه جميعا وتلتقي عندها تشريعاته، وهو ما يفسر أن هذه اللفظة ذكرت في مرات عديدة وبمعاني مختلفة، مما يوضح أن في الاختلاف رحمة، هذا الاختلاف الذي ينبذ التنازع والاقتتال والعنف، ويشجع على أسلوب الحوار باعتباره وسيلة مثلى للإقناع، ترفض الإكراه والإرغام في شتى مناحي الحياة الإنسانية، مادية كانت أو معنوية وحتى روحية.[2] كما أن التسامح مرغوب ومطلوب في الإسلام وذلك مصداقا لقوله تعالى:"**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**"[3]

---

[1]- **سورة البقرة** الآية 286.

[2]- **عمر هاشم أحمد، الإسلام دين** التسامح، دار الفاروق القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص 17.

- **يلاحظ أن القرآن الكريم** كرر ذكر الرحمة الرأفة و العفو و الصفح والمغفرة و الصبر أكثر من تسعمائة مرة .كما أن الإسلام يتميز بالوسطية والإعتدال والبعد عن الغلو والتطرف والتشدد والإسراف .

[3]- **سورة المائدة**، الآية 28.

ووفق هذا الأساس فإن الحوار القائم على المحبة والآلفة والتآخي والمعاشرة والإحترام هو قيمة من قيم الحضارة الإنسانية المستندة أساسا إلى مبادئ الشريعة الإسلامية المبنية على تعاليم الدين الحنيف إذ يعتبر موقف فكري وحالة وجدانية تنادي وتطمح دائما إلى تحقيق السلم والسلام المؤدي إلى التسامح ،هذا التسامح الذي أصبح اليوم حاجة تفرضها الظروف التي أصبحت تعيشها المجتمعات والمتمثلة في العنف في الدين والتعصب للرأي والسعي وراء التكسب الغير المشروع مهما كلف ذلك، حتى ولو على حساب الآخر[1].

هذا الآخر الذي أعزه الإسلام وكرمه بغض النظر على ديانته.

قال تعالى في كتابه الكريم:" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** "الحجرات **18**.

فالإسلام هنا عمليا يعترف بالأخر ويقر له بشروط متساوية في الخلق منذ النشأة، دون أن يحدد هوية الأخر ،أو نمط تفكيره أو إنتمائه. بل إنه لا يحدد معيارا للتقويم والخطأ والصواب، وحتى الحساب والثواب، إلا بمدى التزام الفرد والجماعة بمنهج قياسي واحد يمكن أن ينطبق على الجميع بشكل عادل. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل كتاب الوحي ،وناقل الرسالة الخاتمة للبشرية عندما قال في هذا السياق "**الناس سواسية كأسنان المشط** "و إنه "**لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى** " هذا الحديث الذي يريد من ورائه أن يكون المجتمع متسامحا مع نفسه ومع الآخرين، وله إلى جانب هذه الإرادة دواع وأسباب كثيرة يمكن إجمالها في دواعي ثلاثة هي:

أولا: أن الإسلام في أساسه يدين التعصب كيف ما كان، جنسيا أو دينيا، ويرفع الإنسان من حيث هو إنسان و يجعله في مرحلة التكريم . يقول تعالى:"**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**"[2].

[1]- **عمر هاشم أحمد** –الإسلام دين التسامح ،دار الفاروق، القاهرة، مصر، ط1 ، 2006 ،ص18

[2]- سورة **الإسراء**، الآية 70.

ثانيا: أنه يدعو إلى التعارف، أي إلى التجمع والتعايش وتبادل المنافع والمصالح في أخذ وعطاء، وفي تأثر وتأثير بعيدا عن أيّة عصبية جنسية أو عنصرية إقليمية أو نعرة ثقافية، وهو بذلك لا يرى فضلا لأحد على الأخر إلا بالتقوى.

ثالثا :ينطلق الإسلام من أن الإختلاف كامن في طبيعة الكون [1] مصداقا لقوله تعالى : **"وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ"** هود **118** .

أي أن سنة الله في الأرض تقوم على تباين البشر، سواء كان هذا التباين يتعلق بالجنس أم اللغة أم الدين أم أي مكون من مكونات الحضارة والثقافة.

والإسلام بذلك يرى الأمر خاضعا لإرادة الله والسر الكامن فيها، و يؤكد هذه الإرادة وما يترتب عنها من عدم إكراه الناس على الإيمان فيقول **:"وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ** "يونس الآية **99** .من خلال الآية الكريمة نجد أن الإسلام لا يضطر أحدا إلى اعتناق الدين و لا يكرهه عليه و في هذا يقول سبحانه وتعالى: " **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** " البقرة الآية **255**. كل هذه القواعد و الأصول و الأدلة تقرر أن دين الإسلام دين تواصل و تسامح مع غيره من أهل الديانات الأخرى.إن وجود الأمة الإسلامية في مثل عالم اليوم الذي يموج بمختلف أنواع التطرف ،يحتم علينا أكثر من أي وقت مضى أن نبشر بوسطية الإسلام و بتسامحه وعدالته وإعتداله [2]. وأن ندعو أمم الأرض جميعا إلى فهم حكمة الإسلام لأنها مظهر من مظاهر تكريم الله للإنسان فعلى الإنسان أن يقدر تكريم الله له.

التسامح في السنة النبوية : أما التسامح في السنة النبوية فهو التساهل والمساهلة واللين والحكمة والصفح في كل جوانب الحياة ،و السيرة في هذا المجال جاءت لتكمل القران الكريم لأنها بيان له ،حيث لا نجد في السنة أمرا إلا والقران دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية. فالرسول الأكرم نجده قد وظف هذا المبدأ الإسلامي في أروع صوره وبمختلف أشكاله وكافة مجالاته الإجتماعية. فمحمد كان راية في السلم والسلام لأنه يحمل

[1]– عمر هاشم أحمد الإسلام دين التسامح،دار الفاروق القاهرة مصر ط1 2006 ص18

[2]– مفهوم التسامح في البناء الحضاري، جامعة الصحوة الإسلامية، الدورة الثالثة 1995 الدار البيضاء المغرب ص83

للبشرية النور والهداية والرشاد والحكمة والرأفة والخير، فيقول صلى الله عليه وسلم:" **إنما أنا رحمة مهداة** "[1] ويتحدث القرآن الكريم عن رسالته فيقول:" **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**"[2]. ولنا في نبي الأمة ورسول البشرية محمد صلى الله عليه وأله وسلم أسوة حسنة لمن يريد أن يتسم بهده الخصلة و الميزة الحسنة كانت النزعة الشريفة من صفاته ومبدأ أخلاقه العظيمة، فقد قبل جميع من أساء إليه بالعفو والإحسان، ومن بعض مواقفه العظيمة ما شهده من مشريكي قريش الذين أذوه وسخروا منه و أخرجوه من دياره وألبوا عليه جميع قوى الشرك ،لكن و بالرغم من ما عاناه لم يفكر قط في الإنتقام من أهله يوم فتح مكة ودخلها منتصرا، فإقترب منهم بلطف وقال: ما تضنون أني فاعل بكم ؟ فردوا بلسان واحد قائلين أخ كريم ابن أخ كريم، فقال صلى الله على أله وسلم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، إلى غيرها من القصص مع اليهود و العديد من مشركي مكة.

عليه نجد أن التسامح في الإسلام بصفة عامة يعني التساكن والتعايش من غير إخلال بمقومات هذا التساكن أو تجاهل لقيم الإسلام الثابتة.

فالمسلم مؤتمن على عقيدته يحميها بقوة الدفاع عنها بالكلمة الطيبة التي تقرب وتشجع وتفتح أبواب الأمل والبعد الإنساني في الرؤية الإنسانية، واضح كل الوضوح في الأحكام الشرعية التي تحترم إنسانية الإنسان وتعترف بكل حقوقه الإنسانية دون تفريط في العقيدة لأن التسامح قد يفيد معنى التفريط، والمسلم في هذا مؤتمن على عقيدته ودينه لأن تسامح التفريط تسامح مذموم يرفضه الإسلام ولا يرضى به المسلم [3].فالإسلام يفضل التسامح الذي يتمثل في احترام حق الآخر في ممارسة حقوقه الإنسانية المدنية والأخلاقية والعقائدية. كما أنه لم ينفي الاختلاف والحق في الحرية و رفضه للممارسات المتعارضة مع التسامح الذي يجعله طبيعة في الإنسان وهو جبلة الخلق مصداقا لقوله تعالى: " **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**"[4].

---

[1]– رواه أبي هريرة.

[2]–سورة **الأنبياء**، الآية 107.

[3]– مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإسلامي، جامعة الصحوة الإسلامية المرجع السابق ، ص85.

[4]– سورة **يونس** الآية 99.

والإسلام لا يرغم أحدا على إعتناق الدين، ولا يكرهه عليه وفي هذا يقول سبحانه وتعالى:"**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين**"[1]كما سلف و ذكرنا، والذي يعني بها أن الإنسان حر في عقيدته وفي اختياره وسلوكه، لأنه دين يقوم على التفكير والتدبر، علما بأن الحرية الدينية في منظور **الإسلام**، تنطلق من أن الدين عقيدة وإيمان أي شعور داخلي للإنسان يقوم على الاقتناع والميل لأنه إستسلام وإنقياد لله.

و**الإسلام** يعترف في كل أنظمته وتشريعاته بالحقوق الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع، ولا يجيز أي ممارسة تؤدي إلى انتهاك هذه الحقوق. إن المنظومة الخلقية والسلوكية التي شرّعها الدين الإسلامي من قبيل الرفق والعفو، والإحسان والأمانة، وحث المؤمنين على الإلتزام بها وجعلها سمة شخصيتهم الخاصة والعامة كلها تقتضي الالتزام بمضمون مبدأ التسامح[2]، ومن خلال هذه المنظومة نرى أن المطلوب من الإنسان المسلم دائما، وفي كل أحواله أن يلتزم بمقتضيات التسامح ومتطلبات العدالة والإنصاف والسهر على حقوق الغير.

وفي الإسلام الأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية المحبة والمودة والإخاء والتعايش والتآلف حتى ولو تباينت الميول والرغبات والمواقف بل هذا التباين والاختلاف هو الذي يقوي العلاقة ويرسخ أسس ومبادئ التسامح الذي ينشده الإسلام، باعتبار التسامح هو امتزاج بين الفكر والأخلاق وتعبير عن موقف فكري من جهة وموقف أخلاقي يحد طريقة التعامل مع المفاهيم والأفكار المغايرة[3].

هذا **الإسلام** الذي لم يكن في يوم من الأيام متعصبا كما يفتري عليه خصومه بل على العكس من ذلك فقد كان أكبر عون لحرية الإنسانية وحضارتها المثالية والمضمون الصادق للحرية والعدل والمساواة. كما علّم الإنسان عظمة الإخاء والتسامح وتجسد كل هذا في تعاليم القرآن الكريم.*

---

[1]- سورة **البقرة** الآية 256.

[2]- **مرحبا محمد عبد الرحمن** ، (الجامع في تاريخ العلوم عند العرب) المؤسسة الوطنية للكتاب منشورات عويدات بيروت لبنان، ط3، 1989، ص7.

[3]- **زكي الميلاد**، الإسلام والإصلاح الثقافي، دار أطياف للنشر والتوزيع، القطيف السعودية، ص 2007، ص 88.

*- ما هو الإسلام؟ الإسلام هو دين الله الذي أوصى بتعاليمه في أصوله وشرائعه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكلفه بتبليغه للناس كافة، ودعوتهم إليه.

لهذا فإن الأصل في **الإسلام** هو التسامح لأنه كان رسالة عالمية منفتحة على الإنسانية جمعاء لا فرق فيها بين البشر مصداقا لقوله تعالى:" **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**"[1] مما يدل على السلم والمسالمة والصلح والرحمة.

إن هذه المنطلقات الفكرية التي وردت في القرآن الكريم أعطت زادا فكريا لممارسات إسلامية متقدمة خصوصا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والمتمثلة في الاتفاقيات والمواثيق السياسية السلمية، كما أنها شكلت نقيضا لممارسات أخرى تتسم بالتسامح باعتبارها خروجا وتعارضا مع النصوص المقدسة (القرآن الكريم) و**السنة النبوية** الشريفة.

الأخر في نظر الإسلام:

أكدت المصادر التي تؤرخ للحقب الزمنية التي مرت بها الحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامي بالخصوص في الأمر المتعلق بالتعامل مع الآخر حيث تجسد ذلك تقريبا في جل المراحل بدءا بالعصر العباسي الذي اتسم بالروح التسامحية والمتمثلة في التعاملات الخاصة بالحكام والملوك.[2]

فهارون الرشيد كان قمة في التسامح والتساهل مع النصارى حتى أنه سمح للإمبراطور **شارلمان** بترميم **الكنائس** وبناء كنيسة **مريم العذراء.**[3]

ولعل المرحلة الأكثر والأغنى مسامحة وألفة ومرونة ما عاشته **بلاد الأندلس** والذي يعد بحق شاهدا على سيرة الدولة الإسلامية في تعاملها مع تلك الأقطار التي أصبحت فيما بعد جزءا من **بلاد الإسلام.**

إلى جانب ذلك كله حرص مفكرو الإسلام على إعطاء صورة عن قبول الاختلاف واحترام الآخر في منجزاتهم وإبداعاتهم الفكرية التي إتسمت بالروح التسامحية، والنماذج كثيرة ومتنوعة.[4]

---

[1]– سورة **الأنبياء** الآية 107.

[2]– **محمد شلتون** –الإسلام عقيدة وشريعة ،دار الشروق ط 1968 القاهرة مصرص81

[3]– **المستاري جيلالي** –قيم التسامح في السياق الإسلامي، مرجع سابق ص148

[4]– مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإسلامي، مرجع سابق ص98

وما يزيد في الأمر تأكيدا أن الإيمان لا يكتمل إلا بالاعتراف بجميع الرسل والأنبياء، وبكل الكتب السماوية، وهكذا يظهر أن الإسلام يعترف بالغير المخالف ويدعو إلى الاعتراف بالأخر الذي قد يكون فردا أو جماعة.

كما يحقق سبل التواصل بين الناس مع إختلاف أفكارهم، وتباين إتجاهاتهم ورغباتهم، وفي ذلك قال تعالى: "**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**"[1].

ليس هناك أدنى شك في أن الإسلام دين الحوار والتسامح، إذ بالحوار والتسامح تتحقق الفضيلة الأخلاقية وتعم السعادة و يحل السلم ،و في ذلك قال صلى الله عليه وسلم **:(إنما بعثت بالحنفية السمحة** [2] **)**.كما أن للتسامح قيمة كبرى في الإسلام :فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية و مساواة في غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري ،لقد حثنا ديننا الحنيف على الإيمان بجميع الديانات السماوية السابقة، وفي هذا قال تعالى: "**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ،"[3] والتسامح ليس هو التنازل أو التفريط أو الحياد تجاه الأخر، بل هو الإعتراف بالأخر، أي الإحترام المتبادل والإعتراف بالحقوق والحريات للآخرين. والتسامح يعتبر قوة عندما يكون عن قصد ونية وإعتراف بالأخر، كما أن التسامح في الإسلام مبدأ راسخ في البناء الحضاري،إذ هو لا يعني الضعف ولا التساهل في أمر الدين، ولا إغماض العين على السلوك الذي ويسيء للأخلاق، ولا الهروب من المسؤولية[4].

وفي هذا نقول: إذا كانت الحنفية سمحة، فالمسلم متسامح، لان دينه دين السماحة والوسطية، هذا ما جاء به في قوله تعالى: "**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**"[5]، والإسلام لا يرى أن مجرد المخالفة في الدين تبيح العداوة والبغضاء، وتمنع المسالمة والتعاون على شؤون

---

[1]– سورة **العنكبوت** الآية 46.

[2]– رواه الطبري.

[3]– سورة **البقرة** الآية 285.

[4]– عبد الكبير المدغري –مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإسلامي جامعة الصحوة الإسلامية ،1995 الدار البيضاء المغرب، ص132.

[5] – سورة **البقرة**، الآية 143.

الحياة العامة، لذلك يقول الله تعالى " **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** "[1] أي أن الإسلام يعترف بوجود الإختلاف بين الأفراد والمجتمعات ويقر بشرعية ما للغير من وجهة نظر ذاتية في الإعتقاد والتصور، ويكفي أن نعلم أن القرآن الكريم قد سمّى الشرك دينا رغم وضوح بطلانه، لا لشيء إلا لأنه في وجدان معتنقيه دين، وذلك واضح في السورة المذكورة (الكافرون).كما أن الإسلام في تشريعاته يقر بالحقوق الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع، فالأصل في العلاقات الإجتماعية والإنسانية أن تكون علاقات قائمة على المحبة والتألف والود. لذا يجب أن يكون الهدف من الحوار هو التواصل والإتصال وترسيخ قيمة التسامح بين الناس.

قيمة التسامح الإسلامي : شغلت قيمة التسامح مساحة واسعة في الفكر الديني عموما والإسلامي بصفة خاصة ،فقد جاء في القران الكريم عدد كبير من الآيات الكريمات التي تؤكد بشكل واضح حرص الدين الإسلامي على ممارسة التسامح كقيمة أخلاقية مع الأخر. هذا ما ورد في النص في قوله تعالى: **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**[2]. وقوله جلى شأنه:" فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ "[3] . كما يتضح من السنة المطهرة أن الإسلام وقف موقفا حازما ضد التعصب، والعصبية بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية ،لأن الإسلام دين سلم وسلام ومحبة، وإنه دين التسامح والسماحة ودين اليسر لا العسر ،وفي ذلك إتجهت الدعوة الإسلامية إلى ضرورة مطالبة المسلمين أن يجادلوا غيرهم بالتي هي أحسن .قال تعالى: وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم وقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " إلى جانب ذلك سوّى الإسلام بين الناس على إختلاف مللهم ، إذ سوى بين الأبيض والأسود والبدوي والمتحضر، والحاكم والمحكوم، كما سوى اليهود والنصارى بالمسلمين .كما تتمثل قيمة

[1]– سورة **الكافرون**.
[2]– سورة **فصلت** الآية 34.
[3]– سورة **الزخرف** الآية 86

التسامح في كونه يقر بالإختلاف ويقبل بالتنوع ويعترف بالتغاير، ويحترم ما يميز الأفراد من معطيات نفسية ووجدانية وعقلية، كما يقدّر ما يختص به كل شعب من مكونات ثقافية. كما يعقد مع أصحاب الديانات الأخرى ما شاء من أنواع المعاهدات التي لا تمس أصلا من أصول الدين [1] كما يبيح له أن يرتبط بأهل الكتاب (اليهود والنصارى) عن طريق المصاهرة بإعتبارهم من معتنقي الديانات التوحيدية. والتسامح مع غير المسلم ليس معناه موالاة غير المسلم ضد المسلمين.في الأخير نقول أن التسامح قيمة كبرى، فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية ومساواة وعدل في غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري، وفي هذا حث الإسلام على الإعتقاد بجميع الديانات، هذا ما دلت عليه الآية الكريمة قال تعالى: "**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**"[2] ولا يقصد هنا الإسلام بالتسامح السلبية أو ترك الحقوق أو التساهل في المعتقد، وإنما الإحترام المتبادل والإعتراف بالحريات الأساسية للآخرين في سلم وسلام، والعمل على تحقيق العيش المشترك بين بني البشر جميعا. هذا إلى جانب أن التسامح مبدأ سارت عليه الديانات السماوية كلها وأكدته الشريعة الإسلامية، وحسب التصور القرآني ما بعث الأنبياء وأرسل الرسل إلا ليرسوا دعائم العدل والرحمة بين بني البشر [3] وفي ذلك يقول تعالى:" **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**"[4].في الأخير يمكن القول أن التسامح لا يعني أبدا التساهل والتمييع للهوية الإسلامية والتنازل عن قيمه وتصوراته، بل يمد سبل التعاون الفعال مع الأخرين والتواصل معهم معبرا بذلك عن صدق مبادئه وواقعيتها وشمول نظامها وإحتوائه لكل العقائد والملل. يتضح مما سبق أن التسامح في الإسلام له قيم على أساسها يبنى وفي خضمها تتحقق غايته الإنسانية. وهناك أيضاً الكثير من الأحاديث التي وردت في السنة النبوية المطهرة، التي تدعو للتسامح.

---

[1]- **شلتون محمد** –الإسلام عقيدة و شريعة .دار الشروق ،القاهرة ط4 1968 مصر ص60.

[2]- سورة **البقرة** الآية 285

[3]- بن إبراهيم عبد اللطيف، تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر ،دار ابن الجوزي ط 1 1999السعودية ص27

[4]- **سورة الحديد**، الآية 25.

المبحث الثاني: الحركة الإصلاحية ومسألة التسامح

أولا: التسامح في فكر محمد عبده

ثانيا: التسامح في فكر الطاهر بن عاشور

ثالثا: التسامح في فكر عبد الحميد ابن باديس

المبحث الثاني :الحركة الإصلاحية ومسألة التسامح

مدخل: ما يهمنا في الحركة الإصلاحية هو موقف روادها من التسامح كمفهوم حديث له سياقه التاريخي الأوروبي بعد الحروب الدينية ، والنقاش حول ضرورة احترام حرية المعتقد. كيف قرؤوا المفهوم؟ وكيف أولوه؟ كيف تعاملوا مع الجانب المقلق بالنسبة لهم بخصوص ما يمكن أن يترتب عن القول بالتسامح من إطلاق لحرية المعتقد، التي تعني حرية الفرد في تغيير دينه، والانسلاخ من الإسلام مما يعرف فقهيا بالردة التي يقترن حكمها عند أغلبهم بالقتل؟ وما هي الكلمة التي اقترحوها لترجمة "**توليرانس**" (**Tolérance**)، والمفهوم الذي وضعوه كمقابل لها؟ علما أن كلمة "التسامح" هي كلمة مولدة لا نجدها في قواميس اللغة العربية الكلاسيكية، ففي لسان العرب مثلا نجد "سمح، السماح، السماحة، المسامحة، والتسميح[1] وتعني لغة: الجود ويقال سمح (بالفتح) وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء واسمح وتسامح وافقني على المطلوب والمسامحة المساهلة، ويقال سمح (بتشديد الميم) البعير بعد صعوبته [2]... إلخ. فالجدر اللغوي للفظة التسامح (المستحدثة (لا يحيل على المعاني الحديثة للتسامح ما دامت تعني الكرم والسخاء والجود والمساهلة...إلخ، وقاصرة عن استيعابها لأنها تلغي مبدأ المساواة الذي يعتبر شرطا في الدلالة الحديثة للتسامح (في الكرم والسخاء والجود والمساهلة . نجد علاقة اللامساواة بين المتكرم والمتكرم عليه ما يمكن استنتاجه من هذا التحليل اللغوي القاموسي هو أن كلمة " التسامح " العربية التي تعبر عن مفهوم التسامح = توليرانس الأوربي لا تعبر عنه بدقة، فهل يعني هذا أن المفهوم كان غائبا في الثقافة العربية الكلاسيكية ما دامت اللغة تعكس ثقافة المجتمع وفكره؟ وهل يعني هذا بعبارة أخرى أن مسألة التسامح في أبعادها الحديثة تندرج ضمن أنواع اللامفكر فيه l'impensable العديدة في الفكر العربي الإسلامي الذي يدور في فلك الفضاء الذهني الوسطوي على حد تعبير محمد أركون؟

---

[1]- أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ،دار الفكر بيروت لبنان ص314.

[2]- إبن منظور –لسان العرب ،مج2دار صادر بيروت لبنان 1995ص489.

لندع الإجابة عن هذا التساؤل إلى حين استعراضنا لمواقف مفكري النهضة ورواد الإصلاح من التسامح. **فجمال الدين الأفغاني (1838_ 1897)** مثلا لم يرى في التسامح إلا جانبه السلبي باعتباره دعوة لإطلاق الحرية الدينية والفردية في معناها الليبرالي، فشعار التسامح والحرية الذي رفعه الغرب الأوربي حسب الأفغاني "يخفي قصدا معينا هو النيل من وحدة الأمة"، وكرد فعل اتجاه الضغط الاستعماري الأوربي على البلدان الإسلامية الذي عايش الأفغاني أخطاره وناضل من أجل التصدي له، لن يرى في شعار التسامح المقترن بالحرية إلا غطاءا لإخفاء الأطماع الغربية للسيطرة والاستعمار، وذلك بهدم الوحدة الدينية التي تعتبر عنده أساسا للوحدة السياسية وعنصرا فاعلا في مقاومة التهديد الأجنبي، لهذا رفع الأفغاني من موقف دفاعي شعار العصبية أو التضامن الديني وبالتالي هاجم اللذين يروجون للتسامح [1].أما تلميذه **محمد عبده (1849-1905)** فقد التزم بنفس الموقف الدفاعي لأستاذه، ولكنه سلك فيه مسلكا مخالفا وخص موضوع التسامح بكتابه "**الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية**" دافع فيه بأسلوب سجالي عن أهمية ومكانة التسامح في الإسلام، رد فيه على بعض المستشرقين أمثال إرنست رينان وهانوتو، مؤكدا في ردوده عليهم، تسامح المسلمين مع غيرهم من أهل الديانات الأخرى، وأعطى أمثلة على ذلك بالمكانة والمناصب التي احتلها غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية سواء في المجال السياسي أو العلمي، كما استدل بالتعايش الذي كان بين المسلمين وغيرهم من اليهود والمسيحيين بالأندلس ومعاملة المسلمين للمسيحيين الخاضعين لهم في إطار من التسامح والقبول بممارستهم لشعائرهم الدينية أكثر مما كان عليه الوضع في معاملة النصارى للمسلمين حين أصبحوا مسيطرين.[2]

كما ناقش موضوع التسامح في مناظرته مع المفكر والصحفي اللبناني فرح أنطوان ذو التوجه العلماني،والذي أبان فيه عبده عن مواقف محافظة من مسألة الفصل بين الدين والسياسة كما حدث في أوروبا.

---

[1]- عبده محمد –الإسلام بين العلم والمدنية، ج1مكتبة الأسرة للنشر القاهرة مصر 1998 ص12.

[2]- عبده محمد –المرجع نفسه ص14.

3- عبده محمد ، الإسلام بين العلم والمدنية ، المرجع السابق ص16

وحاول من موقف الدفاع عن الإسلام أن يبين أنه أفضل من المسيحية في مجال التسامح وقدم كمثال على ذلك كيف أن المسيحيين البروتستانت ومؤسس البروتستانتية لوثر كان "ينكر من ينظر في كتب أرسطو وفلسفته وكان يلقب هدا الفيلسوف بالخنزير الدنس الكذاب، بينما كان علماء المسلمين يلقبون هدا الفيلسوف بالمعلم الأول فتأمل الفرق[1].

وهكذا نلمس عند محمد عبده أن اهتمامه بالتسامح جاء في أطار الدفاع عن الإسلام ومحاولة إثبات أنه لا يتعارض مع المدنية ، ويقبل بالتعايش مع أفكار ومعتقدات غير المسلمين، وكانت لديه رغبة قوية لإثبات التسامح في الإسلام كتقليد وكممارسة سواء في مجال الاعتقادات الدينية أو مجال الفلسفة والعلم، وسواء بين المسلمين أنفسهم أو بين غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى ممن عرفوا بأهل الذمة، وكان محمد عبده وهو يفكر في الموضوع يستعمل أحيانا كلمة "التسامح" وأحيانا كلمة "التساهل" دون أن يهتم كثيرا بالإشكال اللغوي، بقدر اهتمامه بالوقائع التاريخية الفعلية من أجل إسناد أطروحته التي تتضمن القول بوجود أسبقية زمنية ومفهومية للمسلمين في ممارسة التسامح، وحرية الاعتقاد، ويندرج هذا القول ضمن رؤيته للحداثة ولبعض مفاهيم الليبرالية التي لا تتناقض أو تتعارض عنده مع الإسلام .[2] وهذه الرؤية يشترك فيها أغلب السلفيين والإص لاحيين، فهم لم يندفعوا في اتجاه القطيعة مع الغرب وحداثته وإنما نلمس التنويريين من جيل محمد عبده الذين رغم حرصهم على الهوية الإسلامية وضرورة الدفاع عنها، لديهم رغبة في مد الجسور بين المرجعيتين التراثية العربية الإسلامية والليبرالية والحداثة الأوربية .

وهذا يصح أيضا على ما قام به قبله **رفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873)** أحد رواد التنوير في عصر النهضة بمصر والأزهري الذي كان ضمن بعثة **محمد علي باشا** إلى فرنسا وباريس والذي كتب عنها رحلته المعروفة " **تلخيص الإبريز في أخبار باريس** " هذا الأزهري المتنور وجد أصول التسامح في مفهوم الاجتهاد الإسلامي كحرية للتفكير في المجال الديني وعمل على تجسيد فكرة التسامح بانفتاحه وتواصله.[3] فهو الأزهري والفقيه

[1]- عبده محمد ، الإسلام بين العلم و المدنية ،المرجع السابق ض17

[2]- عبده محمد ،المرجع نفسه ص21

[3]- التوبة غازي،الفكر الإسلامي المعاصر،دراسة وتقويم ،دار القلم ط1 1977،بيروت لبنان ص16

التقليدي المتفتح على الفكر الأوربي وعلى اللغات الأجنبية ، إذ أسس بذلك ما عرف بدار الألسن، وكان في سلوكه يمارس التسامح والاعتراف بالأخر وثقافته ويدعو للأخذ عنه والاقتباس منه من منطق أنه لا تعارض بين الفكر الإسلامي والفكر الليبرالي، حيث يقول مثلا: أن ما نسميه بالعدل والإحسان يعبرون عنه بالحرية، والتسوية (يقصد المساواة)، وما يسمى عندنا بأصول الفقه يشبه ما يسمى عندهم بالحقوق الطبيعية.

أما الاتجاه العلماني أو الليبرالي داخل الفكر العربي في عصر النهضة، كما عبر عنه **فرح أنطوان (1874 -1922)** صاحب مجلة الجامعة، والذي كان له على صفحاتها مع **محمد عبده** سجال، إثر إصدار فرح أنطوان لدراسته عن فلسفة **ابن رشد** وحياته، فكان يميل بوضوح وصراحة إلى القول بفصل الدين عن الدنيا، لأن العصر عنده كما قال: "هو زمان العلم والفلسفة الذي يقضي بأن يحترم كل فريق رأي غيره ومعتقده"، وكان فرح أنطوان مقتنعا أن الأديان عموما لا تقبل بالتسامح، لأنها كما قال "تعتقد أن الحقيقة في يدها وأن قواعدها وتعاليمها هي الحق الأبدي الذي لا يدخله أقل شك، وما عداه ضلال وكفر"وكان يرى أن من" حق الإنسان أن يرى أنه إذا كان من حق الإنسان أن يؤمن بدين ما فإن من حقه أيضا عدم الإيمان بأي دين أخر "وهنا يظهر لدى هذا التيار العلماني الذي كان أكثر انتشارا لدى المسيحيين العرب[1].كيف أن التسامح كاحترام رأي الغير ومعتقده لن يتحقق إلا بوضع الدين جانبا وفصله عن شؤون الدنيا والسياسة، أي بتحقيق تجربة العلمنة كما عرفتها أوربا لأن هذا هو السبيل الوحيد للخروج من التأخر واللحاق بأوربا، أو ما أسماه بالتمدن الأوربي، وقد عمل هؤلاء من هذا المنطلق كما هو الشأن مع فرح أنطوان على الدعوة إلى إلغاء التعارض بين الأديان والقول بوحدتها. يقول فرح أنطوان: "إذا تفحصنا مجموعة الشرائع ووجدنا أن غايتها الوحيدة إنما هي حث الناس على الفضيلة"، وبعبارة أخرى فإن جميع الأديان -عند فرح أنطوان- إنما هي دين واحد [2] والدافع إلى القول بالعلمنة ووحدة الأديان عند **فرح أنطوان** هو الوضعية الاجتماعية والسياسية في لبنان التي تتميز بتعددية الأديان والطوائف ولم يكن من مخرج إلا بناء دولة وطنية

[1]- التوبة غازي ،الفكر الإسلامي المعاصر ، المرجع السابق ص18

2-التوبة غازي الفكر الإسلامي المعاصر المرجع نفسه ص20

علمانية حديثة، لا دينية في لبنان يتعايش فيها الجميع مسلمين ومسيحيين وحتى اللادينيين على السواء، وهذه الدعوة ستبرز مجددا بعد تجربة الحرب الأهلية المريرة ليس فقط عند دعاة العلمانية ولكن أيضا لدى دعاة الإسلام السياسي في أوساط الشيعة كمحمد مهدي شمس الدين الذي قال: "نحن نريد دولة لا دين لها" فالحل عنده هو دولة غير دينية، أما **محمد حسين فضل** الله فقد أكد هو الآخر في نفس السياق أنه: "ليست هنالك نصوص تمنع العلمانية من أن تطبق في المجتمع". [1] هذا دون أن يعني أن هؤلاء يتبنون نفس الموقف الذي يتبناه العلمانيين من الدين.وعموما فالمثقفون العرب من ذوي التيار السلفي في عصر النهضة من جيل **محمد عبده والكواكبي والطاهر حداد**... الخ ممن اجتهدوا وتأثروا قليلا أو كثيرا بالمنظومة الليبرالية، أو على الأقل ببعض مفاهيمها يتميزون بخاصيتين:

أولهما: هي كونهم لا يهتمون بالأصول الفلسفية لهذه المفاهيم، فهم مثلا لم يبحثوا عن الأصل الفلسفي للتسامح أو الحرية أو الديمقراطية، بل اكتفوا بالقول بأن الإسلام لا يتعارض معها وهو في روحه دعوة للحرية والتسامح، مع تجنبهم الربط بين التسامح وحرية الاعتقاد بالنسبة للمسلم ومدى حريته في تغيير دينه مما يعني أن التسامح عندهم محدود بحدود الدين [2] وأن الحرية حين تتعلق بالانسلاخ عن الإسلام تصبح مرفوضة .

ثانيهما: هي سعيهم الدائب إلى التأصيل، أي تأصيل تلك المفاهيم داخل المرجعية التراثية والثقافية الإسلامية مما يدفعهم إلى التنقيب في النص الديني (القرءان والحديث) وسيرة النبي وممارسات المسلمين الأوائل –السلف– عما يفيد معنى التسامح وغيره من المفاهيم الحداثية الأخرى في سعي منهم لإثبات عدم قصور الإسلام وأن الحرية والتسامح والعقلانية وغيرها ليست مقصورة على أوربا وثقافتها ولا مشروطة بسياقها التاريخي.[3]

أولا: محمد عبده وفكرة التسامح: خص **محمد عبده 1849–1905** موضوع التسامح في كتابه "**الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية**" حيث دافع فيه بأسلوب سجالي عن أهمية ومكانة التسامح في الإسلام، رد فيه على بعض المستشرقين أمثال إرنست رينان

[1]– عبده محمد ،الإسلام بين العلم والمدنية،مرجع سابق ص25
[2]– عبده محمد المرجع نفسه ض29
[3]– التوبة غازيالفكر الإسلامي المعاصر ،المرجع السابق ص23

وهانوتو، مؤكدا في ردوده عليهم، تسامح المسلمين مع غيرهم من أهل الديانات الأخرى، وأعطى أمثلة على ذلك بالمكانة والمناصب التي احتلها غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية سواء في المجال السياسي أو العلمي [1]، كما استدل بالتعايش الذي كان بين المسلمين وغيرهم من اليهود والمسيحيين بالأندلس ومعاملة المسلمين للمسيحيين الخاضعين لهم في إطار من التسامح والقبول بممارستهم لشعائرهم الدينية أكثر مما كان عليه الوضع في معاملة النصارى للمسلمين حين أصبحوا مسيطرين. كما ناقش موضوع التسامح في مناظرته مع المفكر والصحفي اللبناني **فرح أنطوان** ذو التوجه العلماني، أبان فيه عبده عن مواقف محافظة من مسألة الفصل بين الدين والسياسة كما حدث في أوروبا.[2] وحاول من موقف الدفاع عن الإسلام أن يبين أنه أفضل من المسيحية في مجال التسامح وقدم كمثال على ذلك كيف أن المسيحيين البروتستانت ومؤسس البروتستانتية **مارتن لوثر** كان "ينكر من ينظر في كتب أرسطو وفلسفته ، وكان يلقب ه ذا الفيلسوف بالخنزير الدنس الكذاب، بينما إحتل عند المسلمين مكانة المعلم الأول ، وهكذا نلمس عند محمد عبده أن اهتمامه بالتسامح جاء في إطار الدفاع عن الإسلام ومحاولة إثبات أنه لا يتعارض مع المدنية ويقبل بالتعايش مع أفكار ومعتقدات غير المسلمين، وكانت لديه رغبة قوية لإثبات التسامح في الإسلام كتقليد وكممارسة سواء في مجال الاعتقادات الدينية أو مجال الفلسفة والعلم ،[3] وسواء بين المسلمين أنفسهم أو بين غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى ممن عرفوا بأهل الذمة، وكان **محمد عبده** وهو يفكر في الموضوع يستعمل أحيانا كلمة "التسامح" وأحيانا كلمة "التساهل" دون أن يهتم كثيرا بالإشكال اللغوي بقدر اهتمامه بالوقائع التاريخية الفعلية من أجل إسناد أطروحته التي تتضمن القول بوجود أسبقية زمنية ومفهومية للمسلمين في ممارسة التسامح، وحرية الاعتقاد، ويندرج هذا القول ضمن رؤيته للحداثة ولبعض مفاهيم الليبرالية التي لا تتناقض أو تتعارض عنده مع الإسلام،[4] وهذه الرؤية يشترك فيها أغلب السلفيين والإصلاحيين، فهم لم يندفعوا في اتجاه

[1]– عبده محمد ،الإسلام بين العلم والمدنية، المرجع السابق ص36

[2]– التوبة غازي ،الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم ،دار القلم بيروت لبنان ط1 1977 ص17

[3]– التوبة غازي المرجع نفسه ص22.

[4]– عبده محمد ،الإسلام بين العلم والمدنية المرجع السابق ص41

القطيعة مع الغرب وحداثته ، وإنما نلمس التنويريين من جيل **محمد عبده** الذين رغم حرصهم على الهوية الإسلامية وضرورة الدفاع عنها ؟ كانت لديهم رغبة "في مد الجسور بين المرجعيتين التراثية العربية الإسلامية والليبرالية والحداثة الأوربية ."آمن محمد عبده بتقريب الأديان وجعلها سببا في نشر الوئام، والمحبة بين الناس وظهر ذلك خلال نشاطاته الفكرية، إذ أقبل على إنشاء جمعية سياسية دينية سرية بعد تعطيل **مجلة جمعية العروة الوثقى** التي أنشأها مع السيد **جمال الدين الأفغاني**، وكان يهدف بهذه الجمعية التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة ومحاولة إزالة الشقاق بين أهلها، وإحلال التعاون، بدل الفرقة والخصام والعمل على التعايش والتسامح فيما بينهما [1] هذه الجمعية التي أراد بها **محمد عبده** التقريب بين الأديان، حيث ضمت الانجليز واليهود إلى جانب المسلمين، حيث دعا أعضاء الجمعية إلى نشر فكرتهم في الصحف، فقد نشر المفتش الانجليزي (جي دبليو لينتر) بجريدة (الديلي تلغراف) اللندية مقالا تحت عنوان " **الإسلام والمدارس المحمدية** " صحح فيه نظرته للمفاهيم المشبوهة التي يحملها أبناء جنسه عن المكاتب الإسلامية بأنها (**مغارات للإثم**) وأوضح كذلك جانبا من حقوق المرأة والمساواة والعدل والحرية في الإسلام والذي قاربها مع تلك المتواجدة في انجلترا، إذ قال في النهاية أن المسلمين يشفقون حتى على البهائم التي ترجع أيضا إلى الخالق وينفقون في سبيل الخير، وبذلك يقول ما أحسن عمل مبشرينا لو جاهدوا في التوفيق بين الإسلام والمسيحية توفيقا يرجعهم إلى جذورهم الأصلية المتمثلة في المنبت الواحدة مصداقا لما جاءت به الكتب المقدسة والتي تدعوا كلها إلى الأخوة والمساواة [2] ثم قال أن الحرية الدينية ينبغي أن يكون معناها عدم العصبية في الدين الذي يجعل الشرقيين يهدوا حصة من خراج أرضهم لأفضل المصالح عندهم وهو الدين [3].

وإن كنا نريد إلصاق المسلمين بانجلترا فلا بد أن نهب لهم الدين والدنيا ونشجعهم على ذلك ونؤمن كما أمن أكبر شاه هندي، بأن الملك والدين متلازمان، فالدولة التي تخمد

[1]– التوبة غازي "الفكر الإسلامي المعاصر" دراسة وتقويم، دار القلم بيروت، ط 1977، لبنان، ص 18..
[2]– المرجع نفسه، ص 19..
[3]– المرجع نفسه، ص 20.

الأفكار الدينية بين رعايها لا يمكن لها أن تدوم فالشيء الذي أصر على توكيده فهو الاتحاد بين الإسلام والمسيحية ليس من جهة الدين فقط بل من جهة السياسة أيضا الأهم لدى الشعوب[1] ففي الماضي كان المسلم ينظر إلى الانجليزي وكأنه المخلص والناصر الطبيعي للعالم الإسلامي وذلك لمودته وتعامله القديم للعثمانيين الذين يعد سلطانهم خليفة للمحمديين السنيين وأكثر أبناء وطننا من جنسهم، هذه المودة يجب توطيدها.

ومن المساعي التي يجب العمل بها إدخال الشباب في المدارس الحربية [2] إدخالهم لقصد استخدامهم واستغلال طاقاتهم هنا نجد أن الرجل كان يضع نصب عينيه خدمة دولته الانجليزية خلال وجوده في الجمعية، فهو يصور لها حالة المسلمين كما فهمها، ويرشدها إلى ألطف المداخل وأدقها حتى تتمكن من غرسها في المسلمين وينصحها في ذلك بالمزاوجة بين الدين والدنيا في حكمها إذا ما أرادت أن توظف هذه الطاقات البشرية لصالحها.[3]هذا النموذج المذكور دليل على أن أهداف هذه الجمعية كان مخطط له والتي أوهمت محمد عبده و جعلته يثق بالتزاماتها ودعواتها وعهودها في التوحيد والتعايش.

لن نحاسب **محمد عبده (1849-1905)** بحقيقة عصرنا التي كشفت كذب هذه الدعوات في التوحيد، وأظهرت حقيقتها في التحايل والزيف على مر السنين ورفعت الستائر عن هدفها في التلاعب بمفاهيم الإسلام، هذا الإسلام الذي بدأت بمدْحهِ وللأسف وصلت إلى إزالة نقاوة وصفاء أفكاره.[4]هذه السلوكات التي راودت أعداء الإسلام في العديد من المناسبات و جعلتهم يأملون أن يسودا بين المسيحية واليهودية والإسلام التي طالتهما الأيدي وعاثت فيهما فسادا، لكن كيف يتمكنون من ذلك والله القائل:" **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**"،لن نحاسب محمد عبده بحقيقة عصرنا، لكننا سنحاسبه بحقيقة الإسلام الناصعة التي يقر بها ويدعو لها الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاور يهود المدينة سنينا طوال، قبل أن يخرجهم منها، جادلوه وقاطعوه وخاصموه، إذ دعاهم إلى كلمة الإيمان والإسلام ولم يدعوهم للتوفيق بين الإسلام واليهودية أو إلى التقريب بينهما، ولو علم خير

[1]- المرجع نفسه ، ص 20.
[2]- التوبة غازي "الفكر الإسلامي المعاصر" دراسة وتقويم، دار القلم بيروت، ط 1977، لبنان، ص 21.
[3] - المرجع نفسه ص284.
[4]- أمين أحمد -زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص282

أو بعض خير لفعل قال تعالى:" **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** "[1] عليه نقول أنه كان من العرف أن يدعوا محمد عبده أهل الكتاب إلى ذلك امتثالا لأمر ربه واقتداء بنبيه وكان من الأولى للأوروبيين حاملي هذا المشروع دعوة قومهم إلى نبذ العنف والاستبداد والتعصب وإيقاف بلدانهم عن استغلال المسلمين وغيرهم من الشعوب والديانات المستضعفة[2] إذ يقول **محمد عبده** "إن خير وسيلة يجب أن يلجأ إليها المسلمون حتى يحملوا العالم العربي على احترامهم هي أن يكونوا أقوياء" [3] وهكذا نلمس عند محمد عبده أن اهتمامه بالتسامح جاء في إطار الدفاع عن الإسلام ومحاولة إثبات أنه لا يتعارض مع المدنية ويرضى بالتعايش مع أفكار ومعتقدات غير المسلمين شريطة أي لا تمس **بالمبادئ الإسلامية** أي التعايش في إطار الاحترام المتبادل للمعتقدات والتقاليد، فهذا ما ذهب إليه أغلب الإصلاحيين التنويريين من أمثال **محمد عبده** الذين لم يندفعوا في اتجاه القطيعة مع الغرب الليبرالي بالرغم من حرصهم على الهوية الإسلامية، وبعدهم عن التعصب هذا السلوك الذي يتنافى والأعراف الإسلامية حيث أنك إذا ما وجدت في التاريخ الإسلامي صور للتعصب واللاتسامح فمردها في نظره إلى سببين اثنين، إما جهل بعض المسلمين لتعاليم دينهم وضعف فهمهم لأصوله الأولى أو لتأثرهم بتعصب من جاورهم من الجماعات والأديان المتعصبة وخاصة الديانة المسيحية أو الطمع السياسي عند الحكام وفساد طبائهم[4]. في الأخير أقول أن قضية الإختلاف والتفتح على الأخر أثارت إهتماما كبيرا في فكر محمد عبده .حيث أيقضت فيه إدراك الحياة والعصر، وأخرجته من العزلة والسلبية إلى الفاعلية ،كما أن هذه القضية عكست رؤيته للدين وعلاقته بالحياة والعصر والعالم. الرؤية التي ظلت تتطور عنده وتزداد وضوحا كلما تقدمت معارفه وتراكمت تجاربه، وتواصلت إنفتحاته على الأخر.لإثبات التسامح في الإسلام كتقليد وكممارسة.

---

[1]- سورة **آل عمران** الآية 64.

[2]- غازي التوبة، المرجع السابق، ص 54.

[3]-الأفغاني جمال الدين وعبده محمد، العروة الوثقى تر: صلاح الدين السبتاني دار العرب ، القاهرة ط3 1993 مصر. ص3.

[4]- الأفغاني جمال الدين وعبده محمد ، العروة الوثقى ، المرجع نفسه ص12

ثانيا: الطاهر بن عاشور ومسألة التسامح: تنبه الطاهر بن عاشور لمفهوم التسامح وتطرق له في كتابين يعدان من أهم مؤلفاته التجديدية والإصلاحية هما كتاب **مقاصد الشريعة الإسلامية** وكتاب **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.** من المواضيع الهامة عند المصلحين العرب المسلمين في أوائل القرن العشرين إذ كان يعد أصلا من أصول النظام الاجتماعي في الإسلام الأمر الذي جعل **محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973)** يخصه بفصل طويل في كتابه "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام" إلى جانب ذلك تعرض في فصل آخر إلى مصطلح السماحة الذي يدل كذلك دلالة واضحة على التسامح [1] هذا السلوك المستحدث التي تنوعت مقاصده عند الآخر وإن كان عند المصلحين العرب المسلمين من أمثال **ابن عاشور** يدل على مكارم الأخلاق إزاء المخالفين بالدين ، إذ عرّفه بقوله: هو لفظ اصطلح عليه الباحثون عن الأديان من المتأخرين من أوائل القرن التاسع عشر مستندا على الحديث النبوي القائل: "**بعثت بالحنفية السمحة** " أي أن التسامح في نظره يشير إلى مصدر سامحه وأصل السماحة السهولة في المعاشرة، [2] والتسامح بهذا المعنى هو علاقة ذات طبيعة متناقضة لما حدث تاريخيا من علاقات بين أصحاب الأديان والعقائد على اختلافها لكن بالرغم من ذلك يلاحظ أن ما لقيه المسلمون في بعض العصور من أهل الملل الأخرى من شر لا ينبغي أن يصرفهم عن التسامح والتخلق به واكتساب فضائله الأخلاقية والإنسانية [3]، من هنا يطرح الشيخ ابن عاشور سلوك التسامح المضاد والرافض للتعصب باعتباره سلوكا أخلاقيا رافضا لهذه الحالة النفسية الخارجة على الملة. ومن النماذج المحبذة لها المسلم الذي شغل المصلحين من أمثال **الطاهر بن عاشور*** الذي يعمل على أن تكون النشأة على مكارم الأخلاق في معايشتها للأخر المختلف في الدين، وتلقى هذه المخالفة بنفس مطمئنة وصدر رحب ولسان متسامح طلق،

---

[1]- الطويلي أحمد- التسامح والإصلاح في فكر المصلحين التونسيين- الشركة التونسية للنشر ، ط1، 2005، ص 14.

[2]- الطويلي أحمد، المرجع نفسه، ص 15.

[3]- ابن عاشور محمد الطاهر- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام- دار السلام تونس، بدون طبعة، سنة 2006، ص 13.

*- **ابن عاشور هو** : العلامة المفسر محمد الطاهر بن عاشور من مواليد تونس 1879، من أسرة عريقة برزفي عدة علوم، ألف عشرات الكتب في التفسير والحديث والأصول وغيرها من العلوم، من أشهر كتبه " **التحرير والتنوير** " **مقاصد الشريعة** " **أصول النظام الإجتماعي في الإسلام** "تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس والقضاء والإفتاء، توفي سنة1394الموافق ل1973م.

للتمكن من إقامة الحجة والهدي إلى المحبة دون تعصب وإكراه، مخالفين في ذلك المتعصبين من أهل الملل الأخرى، والتسامح بهذا السلوك هو علاقة ذات طبيعة مناقضة لما ساد تاريخيا من علاقات بين أصحاب الأديان والعقائد المختلفة، الأمر الذي اعتبره موقفا أخلاقيا يقوم على قبول واقع الاختلاف، وعلى ضرورة التعايش بين المختلفين عقائديا وفكريا وجعل الحوار الفكري منهجا في التعامل والقبول بالاختلاف الذي يؤسس له هذا الموقف التسامحي الأخلاقي، أي يتضمن القبول بالتعددية وحرية الاختيار ويقصد هنا التعدد الديني والفكري المؤدي إلى التسامح والتعايش[1].

كما يرتبط مفهوم التسامح عند إبن عاشور من حيث هو مدلول يفيد العلاقة الإيجابية بين المتخالفين عقائديا وفكريا بالنهضة العربية الإسلامية الحديثة وبالواقع المتسم بالمفارقة المتركبة من وجهين أساسيين، فهي في وجهها الأول مفارقة بين وضع تخلف العرب المسلمين، ووضع تقدم الغربيين المسيحيين، وفي وجهها الثاني مفارقة بين امتلاك المسلمين لعوامل النهوض المتضمنة في الدين الإسلامي وافتقاد المسيحية لمثل هذه العوامل [2] هذا مع العلم أن المصلح العربي يدرك إدراكا لا مجال للشك فيه أن من بين الأمم الأوروبية أمة تعرف كيف تدير وتحكم من ليس على دينها وتعرف كيف تجعل الآخر يعيش في أمن وآمان متمسكا بتقاليده وعاداته، وخير هذه النماذج النموذج الانجليزي التي تأثرت بأحكامه وحكمه الكثير من شعوب العالم التواقة إلى العدل والحرية كالمجتمعات العربية الإسلامية ، وذلك بالرغم من ما يمتلكه الدين الإسلامي من العوامل السالفة الذكر التي افتقدتها المجتمعات التي نادت بالتسامح عندما وجدت نفسها غير مصانة بالأحكام الأخلاقية التي جردت من المسيحية والتي أدت بالمجتمعات الأوروبية إلى الاقتتال والعنف الذي أدى إلى التعصب والاختلاف الذي استدعى المطالبة بالتسامح كسبيل للنجاة من الحروب التي طال أمدها والتي عرضت المجتمعات الأوروبية إلى الفقر والحرمان والتراجع وصعوبة مواكبة الأمم في نهضتها وتطورها، أي أن الأوروبيون قد

[1]– ابن عاشور محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار سحنون، تونس، بدون طبعة، 2006، ص 215.

[2]– عبده محمد، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، بيروت، دار الحداثة، 1988، ص 198.

ذاقوا ويلات التعصب الديني ودفعوا ضريبة غالية للوصول إلى مرحلة الاقتناع بأن الحل الوحيد يكمن في التسامح مع الاختلافات الفكرية والعقائدية والسياسية، وبهذا ندرك بأن مفهوم tolérance هو وليد حركة الإصلاح الديني الأوروبي، وقد نشأ ليعبر عن تغير في الذهنية التي تشبثت بالرأي وذلك بعصبية استمرت تتصارع طوال القرن السادس عشر أي باب الحروب الأوروبية الدينية[1] من هنا نجد أن ابن عاشور قد أدرك أن الخصلة التي تتسم بها المجتمعات الغربية المسيحية ما هي إلا أصل من أصول الإسلام الذي يعترف بضرورة الاختلاف في حياة البشرية و إختلاف المدارك وتفاوت العقول في الاستقامة والتفاعل، هذا السلوك الذي تجلى في الإسلام وأوائل المسلمين تجاه من عايشوهم من الديانات والملل الأخرى.[2]

التسامح والأخلاق : التسامح في الإسلام حسب **ابن عاشور** هو وليد إصلاح التفكير ومكارم الأخلاق اللذين هما من أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، بل إن التسامح عنده وعند زملائه من المصلحين هو من خصائص دين الإسلام وهو أشهر مميزاته، ونعمة من النعم التي أنعم بها على أعدائه وأدل برهان على ذلك ما تضمنته رحمة الرسالة الإسلامية المقررة في قوله تعالى :" **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** "[3] والرحمة هنا دلالة على أن الإسلام يوصي بحسن معاملة المخالفين في الدين لتهذيب الإحسان لكي لا يكون المسلم عدوا وبغيضا لأهل الأديان الأخرى، وفي ذلك يذكر أيضا ما كان عليه المسلمون من معاشرة لغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى فيقول: لقد مازج المسلمون أمما مختلفة دخلوا تحت إمارتهم من نصارى العرب ومجوس وفرس ويهود، فكانوا مع الجميع على أحسن ما يعامل به العشير عشيره، فتعلموا منهم وعلموهم وترجموا كتب علومهم وجعلوا منها نماذج يؤخذ بها في العلم والتعلم، أي الصالح منها والمفيد [4] وفي هذا يرجع ابن عاشور ويفسر كلمة السماحة بأنها سهولة المعاملة فيما إعتاد الناس فيه المشادة وفي هذا

---

[1]- أومليل علي، الإصلاحية العربية والدولية الوطنية- ط3، بيروت، دار التنوير، 1985، ص 13.

[2]- المرجع نفسه ص15

[3]- سورة **الأنبياء** الآية 107.

[4]- الطويلي أحمد- التسامح والإصلاح في فكر المصلحين التونسيين- الشركة التونسية للنشر ، ط 1، 2005، تونس، ص 16.

يلاحظ أن السماحة من أكبر صفات الإسلام الكائنة وسطا بين إفراط وتفريط، وفي نظره أيضا أن السماحة أكمل وصف لإطمئنان النفس على قبول الهدى والإرشاد، هكذا يعد محمد الطاهر **ابن عاشور** التسامح والسماحة من أصول الأخلاق في نظام سياسة الأمة المبني على مكارم الأخلاق والوفاء والحق والعدالة، وفي هذا يقول **الخضر حسين** أحد المصلحين التونسيين: المسلمون أصفى البشر ضميرا وأفسحهم صدورا في مرافقة من تجمعهم به رابطة الإنسانية أي أن الإسلام يشمل الجميع في رحمته، والمسلمون في عهد عزتهم كانوا لا يرهبون سلطة أجنبية ويعرفون بمزية غير المسلم ويشركونه في إدارة شؤونهم ويبذلون كل ما في وسعهم لأجل الدفاع عنه وينطقون في رثائه أبلغ القصائد كما فعل **الشريف الرضي** وهو من آل بيت النبوة عند موت **أبي اسحاق**[1].

لقد وقع الارتقاء بقبول مبدأ الاختلاف إلى درجة الموقف الأخلاقي فهو مكارم الأخلاق التي تجعل المؤمن يتدرب على تلقي مخالفات المخالفين بنفس مطمئنة وصدر رحب.

التسامح والحرية : الصلة بين التسامح والحرية لدى **محمد الطاهر بن عاشور** مسألة جوهرية تستدعي السماحة للمخالف للإسلام بالدين أي أن التسامح في رأيه مرتبط دائما بحرية الآخر غير المسلم في عقيدته ،والأمر لا يتعلق بترك الحرية للمسلم في ما يعتقده هذا ما أكد عليه **الطاهر بن عاشور** في كتابه: " **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام** " حيث قسم الحرية فيه إلى أربعة مستويات: حرية العقيدة، حرية التفكير، وحرية القول، وحرية الفعل وهذه الحريات ليست مطلقة في نظره على ما هي عليه في التصور الغربي بل مقيدة بضوابط شرعية واجتماعية أي أن هذه الحريات محدودة في النظام الاجتماعي الإسلامي، هذا وقد أولى لحرية الاعتقاد مكانة هامة ظهرت من خلال اعتبارها أوسع الحريات مجالا، وأولى صاحب " **التحرير والتنوير** " أن يقارب حرية الاعتقاد من جانبين جانب حظ المسلم فيها وحظ غير المسلم الذي يقاسم المسلم العيش تحت الإمارة أو الحكم.[2].

---

[1]– الطويلي أحمد– التسامح والإصلاح في فكر المصلحين التونسيين– الشركة التونسية للنشر ، ط 1، 2005، تونس، ص 17.

[2]– ابن عاشور محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط 1،القاهرة، دار السلام، 2005، ص 212، ص213.

أما فيما يتعلق بحرية الاعتقاد لدى المسلم فهو وضع هذه الحرية إن تعلقت بالانسلاخ عن الدين الإسلامي بحجة الحديث "من بدّل دينه أي ارتدى فاقتلوه" وهذا الموقف مخالف بلا شك للمفهوم الغربي لحرية الاعتقاد، لأن ما يحكم فكر الوهلة بن عاشور هو في المقام الأول الإسلام، لذلك يصرح منذ الوهلة الأولى بأن حرية اعتقاد المسلم محدودة له وذلك بما جاء به الدين الإسلامي، ومما تتكون على أثره الهوية الإسلامية.[1]

إن التسامح مع مبدأ الاختلاف وحرية الاعتقاد في تصوره لا يمكن أن يشمل الحق في الخروج عن الدين باعتبار الدخول في الإسلام بمثابة العهد الأبدي الذي يجرّم مخالفته، أماما دون ذلك فإنه مباح للمسلم، كالفرق والجماعات والمذاهب وما يماثلها.

وضمن هذا المباح يسمح للمسلم باعتناق ما شاء من مذاهب كأن يكون سنيا سلفيا أو شعريا وأن يكون معتزليا أو خارجيا أو زيديا أو إماميا بالرغم من أن هذه الفرق تسببت في الكثير من الأحيان في الفتن الداخلية للمجتمعات العربية الإسلامية وأصبحت في الكثير من الأحيان تحل محل المذاهب المتفق على نشاطها وأحكامها، هذا وقد عمد كثير من الباحثين إلى نقد الموقف المحافظ من الردة لتعارضه مع مبدأ حرية الاعتقاد في الدين فضلا عن غياب نص قرآني يعارض هذا الموقف، وهذا ما جعل هؤلاء الباحثين ينتقدون الأسانيد التي اعتمد عليها المدافعون عن قتل المريد[2].

أي أن تنفيذ هذه الأحكام بالاعتماد على الأسانيد الشرعية، يتنافى وحرية الاعتقاد التي ينادي بها الدين الإسلامي، مصداقا لقوله تعالى: "**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**"[3].

يرى الشيخ **الطاهر بن عاشور** أن السماحة هي سهولة المعاملة في إعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل، وهي راجعة إلى معنى الإعتدال والعدل والتوسط، أو هي عبارة عن السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه، ومع كونها محمودة أنها لا تفضي إلى ضرر[4].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 161.

[2]- ابن عاشور محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط1،القاهرة، دار السلام، 2005، ص 162.

[3]- سورة **البقرة**، الآية 256.

[4]- ابن عاشور محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 156.

في الأخير نجد أن المصلح الطاهر بن عاشور جعل من موقف التسامح موقفا أخلاقيا رفيعا ، يقوم على قبول واقع الإختلاف، وعلى ضرورة التعايش السلمي بين المختلفين دينيا وفكريا وجعل المحاججة الفكرية سبيلا للتعامل والقبول بالإختلاف الذي يؤسس له هذا الموقف التسامحي الأخلاقي .

ثالثا: عبد الحميد بن باديس وفكرة التسامح كمفهوم إنساني: يعد الإمام عبد الحميد بن باديس **(1889-1940)** من رجالات الإصلاح في الوطن العربي الذي وبالرغم من الظروف الاستعمارية القاهرة، إلا أن ذلك لم يحد من عزيمته كرجل صاحب رسالة إنسانية، معتبرا في ذلك أن الإسلام هو دين البشرية الذي يدعوا إلى الأخوة بين جميع المسلمين، وبين البشر أجمعين ويسوى في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان والملل[1] مصداقا لقوله تعالى:" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** "[2]، إلى جانب ذلك يترك هذا الدين لكل ملة دينها تفهمه كيف تشاء وتطبقه متى شاءت ومن الأقوال المأثورة للإمام عبد الحميد بن باديس، قوله: "احذر من التعصب الجنسي أي العرقي الممقوت فإنه أكبر علامة من علامات الهمجية والانحطاط، كن أخا إنسانيا لكل جنس من الأجناس البشرية وخاصة ابن ملتك المتجنس بجنسية أخرى، وكن محسنا مع الآخر لأن دينك يأمرك بالإحسان الذي هو دليل التسامح" [3] وليس من العسير أن يتصف الإنسان العربي المسلم بهذه الصفات في نظر **عبد الحميد بن باديس** بل إن عقيدته الإسلامية هي التي تلزمه بواجب احترام الإنسانية بمللها وأجناسها، وأن يتسامح معها دون أن يعني ذلك التخلي والتراجع عن مبادئه ومعتقداته أو أن يتخذ الأخر عن مبادئه، بل إن سمه التساوي واحترام الغير هي السمة التي تجعل الفرد يتميز. [4] وفي ذلك يقول **ابن باديس:** الإسلام لا ينفرد بالدين فالإسلام يعترف بالأديان الأخرى ويعمل على احترامها وتسليم أمر التصرف لأهلها هذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى:" **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**"[5].

---

[1]- إبن عاشور محمد الطاهر المرجع نفسه ص157

[2]- سورة **الحجرات**، الآية 13

[3]- **اسماعيل زروخي** – معنى التسامح في احد فصول كتابه المعنون بـــ حوارات إنسانية في الثقافة العربية 2004 .

[4]- **إسماعيل زروخي** المرجع نفسه

[5]- **سورة البقرة** الآية 256.

وفي هذا السياق يقول **ابن باديس** في أحد أشعاره وهو يدعوا إلى التسامح ما يلي:

وسَامِحْ أخَاكَ إن ظَفرْتَ بِنُقصِهِ وَسلْ رحمة تُرْحَمْ ولا تكسبْ إثماً

وبالتالي نجد أنه ألزم نفسه على أن يزرع التسامح بين الناس جميعا دون استثناء على أساس العدل والإنصاف والاحترام.

هذا هو المنهج الذي سلكه مع المستعمر ويقصد في ذلك الشعب الفرنسي لا الحكومة الفرنسية الاستعمارية، حيث أكد: "أن شعبين متباينين ربطت أوضاع الحياة الجارية بينهما، لا أحسن لهما من أن يتفاهما ويتكارما ويتناصفا ويتآلفا، هذا ما نقوله نحن الذين نريد الوئام والسلام". [1] وفي المجال نفسه يقول **محمد عمارة** أن موقف الإسلام من أهل الكتاب يتعدى التسليم بحقهم في حرية العقيدة والضمير النابعة من طبيعة" **الإيمان**" باعتباره تصديقا قلبيا ويقينا داخليا لا يمكن تحصيله بغير الاقتناع الحر، ويستحيل الحصول عليه بالإكراه، إذ يتعدى الإسلام هذا الموقف ويرتقي فوقه إلى حيث يقرر وحدة الدين الإلهي [2] هذا ما سنكتشفه من خلال قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: "**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى**"[3].

وبالرجوع إلى هذا الحديث يريد **عبد الحميد بن باديس** القول أن الله عز وجل لا ينظر إلى وجوه الناس، بل إلى أفعالهم وأعمالهم، وقد أكد هذه الخاصية في الدين الإسلامي، وتميزه بها عن الديانات الأخرى.[4]

كما يسعى الإسلام دائما إلى وحدة الأمة والجماعة كما يهدف إلى وحدة الأجناس والشعوب والعمل على تجنب الخلافات وإراقة الدماء بينها في الماضي كما في الحاضر، والإسلام كما عاهدته الإنسانية لا يدعوا إلى الحروب الدينية ولا يتعصب لها ولا يشجع على القيام بها.

---

[1]- **محمد الطاهر فضلاء**، قال الشيخ الرئيس، الإمام عبد الحميد بن باديس دار البعث، قسنطينة، الجزائر 1968، ص 163.

[2]- **عمارة محمد**، العرب والتحدي، عالم المعرفة، مجلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة دار الفنون، 1982، ص80.

[3]- **مسند الإمام أحمد**، ج5، ص 411.

[4]- **اسماعيل زروخي**، حوارات إنسانية في الثقافة العربية، دار الهدى بدون طبعة 2004، الجزائر، ص 66.

قال صلى الله عليه وسلم : "ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية" (رواه أبو داود)، فالإسلام يدعوا دائما إلى العدل والمساواة والأخوة والتسامح.

يبدو أن ابن باديس قد ألزم نفسه على أن يزرع التسامح والمحبة بين الناس جميعا، من دون تمييز أو استثناء على أساس الدين أو المذهب أو الملّة وإنما كما يقول على أساس العدل والإنصاف والاحترام المتبادل[1].

التسامح والاختلاف في نظر ابن باديس: يؤمن **ابن باديس** باحترام الرأي الآخر والاعتراف بحق الاختلاف[2] والذي أصبح اليوم من قيم الديمقراطية المعاصرة، ومما يؤكد ذلك ما تعرض إليه في مجلة الشهاب: "إذ يقول عاش النصارى واليهود والمجوس في الشرق والغرب في أحضان المسلمين أي تحت سلطاتهم قرونا طوال (**بلاد الأندلس**)" فما أكرهوا على إسلام ولا نصب لهم ديوان كما حدث في الديانات الأخرى ولا أرهقوا بالالتزامات المادية (الضرائب) ولا قيدوا للموت في سبيل الإسلام ولا انتزعت أراضهم بأساليب الاحتيال، ولا منعوا من قراءة دينهم ولغتهم بوجوه المنع، ولا أخذت أموالهم وكنائسهم، ولا تعرضوا للطعن والتشهير بأديانهم وأعراضهم وعظامهم بالزور والبهتان، ولا خصوا بأحكام استثنائية في القانون بل بالعكس كان لهم ما للمسلمين في أبواب العدل والإحسان[3]، وحتى في مجال الحق والواجب مع الحفاظ على الخصوصية التي يتميزون بها عن المسلمين، فالعلاقة حسب **ابن باديس** تتم دائما بين أطراف مختلفة ولعل أهم قيمة يضيفها لهذا التصور هو إقراره بمبدأ الاختلاف قاعدة ونظاما للتعامل مع الآخر إذ خصه بمقال كامل جاء تحت عنوان: نظر المسلمين إلى غير المسلمين ونظر غيرهم إليهم) يقول فيه "لأجل أن يقتلع الإسلام جذور الحقد الديني والتعصب على المخالف من قلوب أتباعه ويزرع فيها سلوك التسامح وتقبل الأخر، وعرفهم أن اختلاف الأمم ما كان ليكون لولى مشيئة الله وحكمته.

---

[1]- المرجع السابق، ص 68.

[2]- **عبد الحميد بن باديس**، مجلة الشهاب، ج2، 1920، ص 127.

[3]- **عبد الحميد بن باديس**، مجلة الشهاب، ج2، 1920، ص 128.

وفي هذا قال تعالى: "**ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة** " ثم يستطرد مستخلصا الحكمة في التعدد والاختلاف والتباين قائلا: وعرفهم بوجه الحكمة في الاختلاف وهي أن تباين أعمالهم مرتبط بتباين مداركهم ومتاربهم مما هو ضروري لنمو العمران وتقدم الإنسان [1] والدليل أن القرآن قد أقر للمخالفين أدينا وقام بتسميتها، كما أقر معابدهم وأكد على وجوب احترامهم ليلخص إلى موقف أساسي وهو أن الإسلام قد أبقى على كيان ديني وطالب بضرورة احترامه، بذلك نقول أن مفهوم التسامح والاختلاف وغيرها من المفاهيم القيمية نصادفها دائما من خلال مجمل الأعمال التي توصل إليها الشيخ عبد الحميد بن باديس وخاصة خطاباته ونصوصه وفي لغته وطرق دعوته القائمة على الحجة والبيان باعتماده على النص (القرآن) والسنة النبوية الشريفة.[2]

قال تعالى: "**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** "[3].

هي دعوة للتخاطب والحوار.

الحرية سبيل للتسامح في نظر ابن باديس : حق الإنسان في الحرية كحقه في الحياة أي مقدار الحياة متوقف بمقدار الحرية.[4]

هذه الحرية التي قبل أن يتم ممارستها ومعايشتها والاحتكام إليها يجب معرفة أنها تقوم بين الأنا والأخر، وأنها علاقة بين أطراف مختلفة لذلك الحرية في نظر ابن باديس هي التمتع بحقوق التي تملكها في حدود من النظام لا تتجاوزها أو تتعداها لحقوق غيرك، فالحرية المسؤولة هي إذن اكتساب الحقوق المستحقة نتيجة التزام الفرد بالواجب واحترام القيم المتفق عليها في القانون بأنواعه السماوي، الأخلاقي أو الوضعي، والحرية هي صفة لازمة للإنسان وهي مصدر الوجود وروح الحياة، فالحرية هي طبيعة في الوجود وحق شرعي لكل إنسان والإنسان في نظر ابن باديس هو إنسان ما دام يتمتع بالحرية بمعنى

---

[1]- **طالبي عمار**، ابن باديس حياته وأثاره، دار اليقفة العربية، ط1، 1968، ج1، مج1، مج2، ص 242.

[2]- **طالبي عمار**، ابن باديس حياته وأثاره، ج 1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ص 223.

[3]- سورة النحل الآية 125.

[4]- المصدر نفسه، ص 478.

آخر الحرية فطرة في الإنسان يصل إليها بطبعه لأنه مرتبط بوجودها باعتبارها ضمان لحياته، وكما أسلفنا فحق كل إنسان في الحرية كما أشار إليها ابن باديس كحقه في الحياة. ومفهوم الحرية بالمعنى العام نجده مجسدا في نوعية الخطاب الباديسي وفي لغته وطرق دعوته القائمة على الحجة والحكمة والبيان مستلهما في ذلك القرآن، قال تعالى: " **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** " [1] أي أن التسامح وفق الأحكام القرآنية ليس التعصب للرأي بل الحرية في إبدائه أي ترك الآخر يعبر بحرية عن معتقداته وقناعاته وأفكاره ممن دون شرط مسبق أن تكون موافقة لأفكارنا وقناعاتنا ومعتقداتنا، وبشكل أخص التمكين له من العيش في أمن وسلام ووئام وفقا لمبادئه التي لا نقاسمها، من هنا تظهر ضرورة التعايش في مجتمع متعدد، الذي يضمن عدم التخلي عن القناعات والتعبير الحر عن الأفكار دون اللجوء إلى التعصب والعنف وعدم تقبل الأخر، والعمل على التضييق عليه في شتى مجالات الحياة وخاصة تلك المتعلقة بالعقيدة [2] وفي هذا قال **ابن باديس** : نحن كمسلمين لا يضيق صدرنا بأن نرى أهل كل دين يحتفلون بطقوس دينهم ويظهرون تمسكهم بعقيدتهم ويدعون إليه بكل اعتزاز وذلك ليقع التعاون على نشر أصول الخير والإحسان التي تتفق عليها جميع الملل وعلى مقاومة الشر والظلم والإلحاد المحرمة عند الجميع وذلك عكس ما تقوم به الشعوب الاستعمارية.[3]

ليس التسامح خاتما سحريا، ولا هو مفتاح لكل مستغلق، ولكنه يشكل في اعتقادنا، بداية وخطوة أولى نحو مجتمع السلم والتعايش. وأنه إذا كان صحيحا القول إن للتسامح مضامين مختلفة ومعالم غير محددة، فإنه من الصحيح كذلك أن قيما أساسية وثقافة معينة هي أساس التسامح، ومنها النظرة العقلية النقدية، والحرية، واحترام الاختلاف، وهي من القيم الجوهرية للتسامح.[4] وهو بهذا المعنى يعتبر خط السير ووجهة السلوك التي تقتضي في ما تقتضي ترك الآخر يعبر بحرية عن معتقداته وقناعته وأفكاره من دون شرط مسبق أن تكون موافقة أو مساندة لأفكارنا وقناعتنا ومعتقداتنا وبشكل أخص التمكين له من

---

[1]- سورة النحل الآية 125.

[2]- **عمار الطالبي**، ابن باديس، حياته وأثاره، ، دار اليقظة العربية، ط1، 1968، ج1، مجلة2 ، ص 421، ص 422.

[3]- **محمد الطاهر فضلاء**، من أقوال الشيخ الرئيس، المرجع السابق، ص 292.

[4]-**عمار الطالبي** المرجع السابق ص426

العيش في أمن وسلام ووئام ووفقا لمبادئه التي لا نقاسمها. ومن هنا أيضا تظهر ضرورة الإجماع في مجتمع متعدد، أي ذلك المجتمع الذي يضمن عدم التخلي عن القناعان والتعبير الحر عن الأفكار من دون اللجوء إلى العنف أو وسائله بل يفرض ويحتم إدانة العنف الكلامي والفيزيائي وجميع الأشكال التي يعبر عنها سواء بأيديولوجيات وثوقية دوغمائية أو عنصرية متطرفة.

لقد بينت لنا التجربة الإنسانية الحديثة، أن البشرية قد ناضلت من أجل نشر ثقافة التسامح، وما حقوق الإنسان والديمقراطية إلا نتيجة من النتائج المباشرة لفكرة التسامح. وإذا كنا قد بينا الفارق بين التاريخ الغربي والعربي الإسلامي ، فلأننا نعتقد أن ما قدمه ابن باديس تصورا وممارسة، يعتبر مساهمة أساسية في إرساء ثقافة التسامح التي من دونها لا يمكن الحديث عن السلام والسلم الاجتماعيين.[1]

إن ترسيخ قيمة التسامح يقتضي في كل مكان توافر شرطين أساسيين: الأول هو إرادة الفرد في التسامح، والثاني ارتباط هذه الإرادة الفردية بالإرادة السياسية على مستوى الدولة، وضرورة إقامة دولة الحق والقانون التي تضمن الحصانة المتساوية لحرية التعبير لكل المواطنين على اختلاف آرائهم ومواقع الفكرية والعقائدية من دون استثناء، أي لكل الأديان والفلسفات والمذاهب.[2]

والعمل على قيام مجتمع مدني متماسك ومتقدم قادر على أن يؤدي دوره السياسي والأخلاقي والإجتماعي، و التسامح موقف حضاري ومدني فعّال، وليس موقفا عفويا، فالإنسان يميل بطبعه وطبيعته إلى رفض مخالفه ومغايره في اللون واللسان والعقيدة. لذا يتطلب التسامح تربية وتكوينا على العيش مع الذي يخالفنا ويكرهنا ويختلف معنا، من هنا ضرورة تعليم التسامح وقيمه في المنظومة التربوية، ولقد كان ابن باديس أولا وقبل كل شيء معلما لقيم التسامح.[3]

---

[1]- **عمار الطالبي** المرجع نفسه ص427

[2]- **عمار الطالبي** ، إبن باديس حياته و أثاره ، المرجع السابق ص428

[3]- **محمد الطاهر فضلاء** –من أقوال الشيخ الرئيس، مرجع سابق ص.296.

إذ في ذلك يقول أن التسامح ليس قيمة وموقفا بل منظور متكاملا عبر عنه ابن بأديس، مثل ما عبر عنه غيره من الفلاسفة والمصلحين، ويجد قاعدته النظرية في مفهوم الإسلام الذاتي وقيمه الداعية إلى الأخذ بالعقل والتقدم والحرية والاختلاف والإنسانية، ومسلك عبر عنه صاحبه في العديد من المواقف سواء مع من يماثله في الدين والجنس واللغة أو من يغايره، لذلك فإن التسامح هو أولا وقبل كل شيء ثقافة واقتناع ومسلك.[1]

إن العيش في مجتمع متسامح هو العيش في مجتمع يقبل النقد ويوفر الاحترام والتقدير، بحيث يحق لكل فرد أن يعبر بحرية عن فكره دون أن يفرضه على الآخرين، كما أن التسامح يفترض الحذر والفكر النقدي، إذ لا يمكن التسامح مع العنصرية والتعصب والعنف، فمنطق التسامح هو المساواة والحق في الحرية والأمن والاستقرار والسلم والاعتراف المتبادل بين أفراد المجتمع.[2]

في التاريخ العربي والإسلامي الحديث برز العلامة الجزائري عبد الحميد بن بأديس، رائد الحركة العلمية والإصلاحية في القرن العشرين، وكان خير من تكلم عن فكرة التسامح في الإسلام، فهو ميز أولا بين شكلين للإسلام، إسلام وراثي وإسلام ذاتي. فالإسلام الوراثي هو إسلام "تقليد، لا نظر فيه و لا تفكير، إسلام العوام، حفظ للأمم الضعيفة شخصيتها ولغتها، لكنه لا ينهض بالأمم، لان الأمم تنهض بالتفكير والنظر، انه إسلام الزوايا كما يسميه ابن بأديس لا يستطيع القيام بالنهضة. ولكن الذي يقوم بهذا هو الإسلام الذاتي، الإسلام القائم على فهم القواعد والمؤسس على الفكر والنظر، إسلام مشروط بالتعلم والعلم. وهو دين إنساني يحب الإنسانية.[3] وهو إسلام للاختلاف وللحضور الايجابي في عالم يتسم بالاضطراب والصراع تحكمه علاقات الغالب والمغلوب، إسلام لا يدعو فقط إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين وإنما يدعو إلى الأخوة الإنسانية بين البشر أجمعين ويساوي في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان ويمجد العقل[4].

---

[1]- المرجع نفسه، ص298.

[2]- **محمد الطاهر فضلاء**، مرجع سابق ص.297.

[3]- عبد الحميد بن باديس مجلة الشهاب ،المرجع السابق ص130

[4]- المرجع نفسه، ص299.

وهنا يثار السؤال الأول، هل نحن بالفعل اليوم نعمل بهذا الإسلام الذاتي الذي أشار إليه ابن بأديس ونأخذ به، وهل نؤمن حقيقة بإسلام العقل والفكر أم ننضوي إلى زوايا ضيقة قادتنا إلى الصراع والاقتتال فيما بيننا؟

لعل أهم نتيجة تترتب على الإسلام الذاتي القائم على العقل هي العيش وفق مستلزمات العصر، ويشير هنا ابن باديس بقوله : حافظ على حياتك ولا حياة لك إلا بحياة قومك ووطنك ودينك ولغتك وجميل عاداتك وإذا أردت الحياة لهذا كله فكن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه... الخ" ولكي يكون المسلم معاصراً فان الشرط الأول لذلك هو ضرورة الإقرار والعيش بحرية التي يصفها بقوله "**حق كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة**...الخ" ولعل أهم قيمة يضيفها ابن بأديس إلى هذا التصور هي إقرار بمبدأ الاختلاف قاعدة وقانوناً للتعامل والممارسة، ويستند بذلك إلى أن القران الكريم قد اقر للمخالفين أديانا مع إطلاق أسماء عليها كما اقر معابدهم وأكد على وجوب احترامها. وعليه، فان الإسلام ربى المسلمين على التسامح، إذ لا ينظرون إلى ذلك الاختلاف إلا كأمر قضاه الله واقتضته حكمته لعمارة الديار وظهور اثأر عدله وإحسانه ورحمته[1].

كما يثار السؤال الثاني، هل نحن متسامحون فيما بيننا على وفق ما أشار إليه ابن بأديس فيحترم احدنا الأخر ويقر له بمذهبه أو دينه أو طائفته، أما ترانا نتناحر ونتخاصم ويأكل بعضنا البعض؟

ويتابع ابن بأديس بقوله إذا كان حق الحرية والاختلاف يمارس داخل مجتمعات وبلدان وأوطان، فانه من الضروري أن نتعرف على مفهوم الوطن الذي هو سكن الإنسان ومكانه وفضاؤه والذي يحقق الإنسان فيه علاقاته الاجتماعية السلمية القائمة على التسامح والحرية والاختلاف، ولكن ذلك متوقف – كما يرى ابن بأديس– على نوعية مفهوم الوطن الذي نحمله ونؤمن به .وهنا يثار السؤال الثالث أيضا هل نحن فعلاً اليوم نؤمن بمفهوم الوطن الذي ذكره ابن بأديس وطن قائم على احترام مكوناته فيقدر احدها الأخر وطن تقوم فيه العلاقات الاجتماعية ما بين أبنائه على التسامح والحرية والاختلاف، لان

[1]– **محمد الطاهر فضلاء**، مرجع سابق ص.298.

الاختلاف يكون عنصر قوة للمجتمع ودفعه للتقدم وليس عنصر ضعف وتخلف وتنافر ما بين مكونات المجتمع الواحد[1].

إن مفهوم الإسلام الذاتي بالحرية والاختلاف والتقدم والوطن التي أشار إليها ابن بأديس يعبر عنه بخطاب قائم على الحجة والحكمة والبيان مستلهما في ذلك الآية القرآنية "**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** "[2]، مستخلصاً منها قواعد أخلاقية للتعامل والتخاطب والدعوة.

هكذا تظل الأسئلة التي أثرناها على ما جاء به ابن بأديس قائمة، إلى يومنا هذا، وقد أجاب عنها ابن بأديس بعقلية الرجل الإصلاحي والمتنور، وهي أسئلة تثير الكثير من الجدل والخلاف ولكننا للأسف لم نستطع أن نستلهم من تلك الأفكار المستنيرة طريقاً لإصلاح أسوأ أحوالنا التي لا تخفى اليوم على أحد[3]. وفي ذلك يرى إبن باديس أن الحرب والعنف والتعصب والتطرف واللاتسامح يبدأ أولا لفظا وخطابا ولغة وحديثا، ثم ينتقل إلى الفعل، ومن هدا المنطلق ينبغي تربية وتنشئة الأجيال العربية الإسلامية في الحاضر والمستقبل على التعامل بلغة مسالمة ومتسامحة ويستبعدون من قاموسهم وحواراتهم وأحاديثهم اللغوية المتشنجة والأساليب الدغمائية المتطرفة والخطابات المحرضة.[4] لذا نرى أن المدنية المعاصرة تهتم بلغتها وتعبيراتها وأحاديثها ،ذلك أن العيش في مجتمع متسامح هو العيش في مجتمع يقبل النقد ويوفر الاحترام للرأي الأخر، فمنطق التسامح هو المساواة والحق في الحرية والأمن والاستقرار وهي من حقوق الإنسان، هذا إذا ما أراد المجتمع العربي الإسلامي أن يساير الواقع ويدرك حقيقة التسامح كسلوك يفرض احترام الأخر. من هنا نرى انه من الواجب إستغلال ما توصل إليه إبن باديس في معالجته للمصطلحات التنويرية كالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والتسامح والتي

[1]– محمد الطاهر فضلاء، المرجع نفسه ص291

[2]– **سورة النحل** الآية 125

[3]– محمد الطاهر فضلاء، قال الشيخ الرئيس، المرجع السابق ص492

[4]–عبد الحميد إبن باديس، مجلة الشهاب المرجع السابق ص132

أصبحت ضرورة إستدعتها الظروف الراهنة، أي أنه ليس بمقدور المجتمعات الإستغناء عنها ولو أرادت.

كما نرى أيضا ونحن نشاطر أراء وأفكار العديد من المهتمين بفكر إبن باديس على أنه يمكن توظيف ما توصل إليه كأليات مستحدثة للقرن الواحد والعشرين وذلك بإدراج فكره وما حققه من إنتاج معرفي في المناهج الدراسية لمختلف مراحل التدريس وذلك لمسايرة الواقع خاصة في المجالات المعرفية والعلمية بعيدا عن لغة العنف والتطرف ورفض الأخر، وأن توظف بعض مفاهمه المستحدثة في مناهج التعليم كمفهوم المواطنة والعدالة والتسامح، وإحترام الرأي والرأي الأخر وحق الحوار والإختلاف، وأن تكون هذه المفاهيم الوسيلة التي بواسطتها تتغير سلوكات وأحوال وطبائع أجيال المجتمعات العربية الإسلامية إنطلاقا من النموذج الجزائري بإعتباره صورة حية لا يختلف فيها عن باقي المجتمعات العربية حتى نتمكن من بناء مجتمع إنساني يؤمن بالتسامح، ويوظفه للتقرب من الأخر الذي لا يستطيع العيش عن منئ عنه.في الأخير ومن خلال فكر إبن باديس نتوصل إلى حقيقة مفادها أن التسامح في نظره لا يخرج عن كونه قيمة أخلاقية وسياسية وموقف إنساني لا يفهم إلا في مقابل التعصب. والتسامح في نظره أيضا لا يقبل إلا بالحوار وبحق الإختلاف.

عليه نقول أنه كان على الفكر الإصلاحي العربي الحديث أن يقوم بتأويل الأفكار الغربية الحديثة التي وصلته أو التي أصبح مرغما بتعاطيها ، و ذلك بإعتبار الظرفية الإستعمارية بعدا أساسيا في تحليل الوضع .

في الأخير يبقى السؤال مطروحا بعدما تعرضنا إلى هذه النماذج النهضوية الإصلاحية التي كانت في نظرنا أقرب إلى تحديد مفهوم التسامح و كيفية التعامل معه كونه مصطلح اوروبي حديث لايخرج عن كونه مرتبط بالحريات و خاصة الحرية الدينية و تحديدا حرية العقيدة والتعايش بين مختلف المذاهب والإيديولوجيات .

هل تفيد هذه الأفكار والمرجعيات النهضوية الإصلاحية في التأسيس و التأصيل لمفهوم التسامح داخل الفكر العربي الإسلامي ؟ هذا ما سنصل إلى إكتشافه في مراحل الدراسة لاحقا.

الفصل الثالث التسامح وإشكالية الأنا والآخر في الفكر العربي المعاصر

المبحث الأول: في تحديد معنى الأنا ومعنى الأخر

المبحث الثاني: التسامح في نظر محمد أركون

المبحث الثالث: التسامح وشرعية الاختلاف في فكر علي أومليل

المبحث الأول: في تحديد معنى الأنا ومعنى الأخر

أولا:مفهوم الأنا

ثانيا:مفهوم الأخر

ثالثا: الأنا والأخر في الفكر العربي الإسلامي المعاصر

رابعا: التسامح والحوار مع الأخر

خامسا : مفهوم الأنا و الأخر في الفلسفة.

المبحث الأول: في تحديد معنى الأنا والآخر

إذا عرفنا بداهة من هي الذات، فمن نقصد يا ترى بمصطلح الأخر هل هو المختلف عنا أو الغريب أو البعيد كل البعد في اللغة والعرق أو في الوطن أو في العقيدة والشريعة والحضارة والمدنية... هل هو من تجمعنا به علاقة القهر والتسلط، أو الصراع والاقتتال؟ هل الآخر هو المجتمع الذي يحترم الحريات ويضحي من أجل العدل وإحقاق السلم والسلام، أم صاحب المشروع الاستيطاني القائم على الاغتصاب؟ هل الآخر هو الياباني المنعزل الذي فاجئنا بكل أصناف العلوم والتكنولوجيا؟و هل الآخر هو البوذي الذي كنا نظن فيه الرذيلة وهو القادر على صنع الحكمة والأخلاق ومتفتح على الأخر؟[1]

وهل الأخر هو القريب منا الذي نقاسمه الهوية والمصير؟ لهذا فإنه ينبغي في البداية تحديد من هو الأنا ومن هو الآخر وما هي حدود كل طرف وإمكاناته الحضارية والتاريخية، إذ على ضوء هذا يتم تصور العلاقة التي ينبغي أن تسود بين الطرفين أي الأنا والآخر، وذلك من أجل مواجهة الخيارات المعروضة تجاه هذه العلاقة، حوار، صدام، تعايش، قبول، تسامح، عنف، توفيقية وما أشبهها من سلوكات تفرضها الحياة اليومية للمجتمعات والأمم، وذلك في شتى المجالات، فإننا نرى أن الأنا كما الآخر، ليس رقعة جغرافية، وإنما ننظر إلى الأنا باعتبارها مجموعة القيم الأصيلة والمبادئ،التي نسعى إلى تقييمها. فحينما نستخدم مصطلح الأنا أو الذات فإن المقصود من ذلك هو القيم المعيارية المتعالية على الزمان والمكان، والتي تبنى عليها العلاقات الإنسانية المؤدية إلى تحقيق التعايش بين المجتمعات [2].

كما أن الأخر ليس عنوانا مبهما وإنما يعني مجموع القيم والمبادئ التي جاء بها الغرب الحضاري حسب اعتقادنا له، إضافة إلى التجربة التاريخية التي قامت بها شعوب العالم الغربي بصفة عامة،[3] وعلى هذا يمكننا النظر إلى إشكالية الأنا والأخر في الفكر العربي الإسلامي المعاصر من خلال منظورين أساسيين:

---

[1]– **حرب علي**، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2001، الدار البيضاء، المغرب، ص 41.
[2]– **محمد محفوظ**، الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، الدار البيضاء، المغرب، ص 13.
[3]– المرجع نفسه ص15.

1 منظور القيم والتطورات.

2 منظور التطورات وعلاقاتها فيما بينها.

3 ومنظور الإنسان وعلاقته بالأخر.

وما يهمنا في ذلك هو الجانب الأخلاقي المبني على فضائل العدل، الحق، الاعتراف، المساواة، الحرية، التسامح، والذي ينبذ العنف، واللاتسامح، والتعصب وعدم احترام الآخر، ويعمل على إقامة علاقة عادلة بين هذا وذاك.إن مفهوم الأنا والآخر هو علاقة تربط بين الذات والغير أو بالمعنى الأوضح، العالم الداخلي والعالم الخارجي.[1]

مفهوم الأنا: غني عن البيان القول إن لفظ "الأنا" في اللغة العربية المعاصرة إنما هو ترجمة لأداء معنى **Le même** بالفرنسية و**ego** بالإنجليزية والألمانية. وكلمة**ego** لاتينية تدل على ما تدل عليه كلمة "ذات" في اللغة العربية حينما يقصد بها الشخص المتكلم.

ومن هذه الكلمة اشتقت مصطلحات أخرى مثل **égocentrisme** وهو ما نترجمه اليوم بـــ "التمركز حول الذات".[2] ومنها أيضا **égoïsme** بمعنى "الأنانية" في الاستعمال اللغوي العام، أما في الاصطلاح الفلسفي فالكلمة تدل على المذهب الفلسفي الذي يعتبر وجود الكائنات الأخرى، غير "الأنا"، وجودا وهميا، أو موضوع شك على الأقل.

أي أن المذاهب الفلسفية المثالية **Idéalismes** لا تعترف بأي وجود آخر غير تمثلات الأنا، فالعالم في نظر المثالي هو ما يمثله ويتصوره وليس هناك وجود أخر غير ما يتصوره هو.[3]

من هنا يتضح أن مفهوم الأنا مبني على السيطرة، أي سيطرة الذات على ما تتخذه موضوعا لها.و الأنا قد يجسد الفرد كما قد يجسد الجماعة ،

---

[1]– **محمد محفوظ**،الإسلام الغرب وحوار المستقبل المرجع السابقص16

[2]– **محمد محفوظ**، المرجع نفسه ص18

[3]– **إبراهيم مصطفى وآخرون** ،المعجم الوسيط ،ط2 دار الدعوة اسطنبول 1989ص7–8.

مفهوم الأخر:

المعنى اللغوي للأخر: يقصد بالأخر في معاجم اللغة العربية احد الشيئين من جنس واحد [1] هو ما يدل على فرق، أو تمييز بين شخص أو شيء مقصود أو أشخاص وأشياء من الفئة ذاتها والجنس نفسه [2]. والآخر في مفهومه اللغوي يتسع مدلوله لكل ما هو غير الذات، وغير الذات هو كل ما له وجود في الكون بدءا بالإنسان الذي يخالف الذات مرورا بسائر المخلوقات كالحيوان وسائر الأحياء والجمادات، لكن التوظيف السائد للفظ الأخر يحصر في الأخر البشري الذي يتميز على المخلوقات الأخرى بالعقل هذه الخاصية التي ونظرا لأهميتها يصبح من الواجب الإلتزام بها لإدراك ما يميز الإنسان عن بقية المخلوقات .

والأخر كلمة مشتقة بالغموض مثقلة بالمعاني، فالأخر في أكثر تجلياته النفسية حضورا يأخذ شكل كينونة إنسانية جامعة لمعاني التحدي والخوف والخطر، فالأخر كيان إنساني يشكل مصدر للخوف والقلق إنه يناهض رغبات الأنا و يعارض طموحاتها.[3]

الأنا والآخر في الفكر العربي الإسلامي المعاصر: لا نستطيع أن نعثر على مفهوم دقيق للأنا والأخر في الفكر العربي الإسلامي نظرا لاتساع دائرة كل منهما وغموض دلالتهما فالأنا قد تعني بلاد الإسلام كما قد تعني الشرق بصفة عامة أو الشرق المنحصر في مناطق جغرافية معينة وفق عوامل تاريخية وسياسية وعقائدية، علما أن هذا الشرق كان محصورا في حوض بلاد ما بين النهرين ومصر وسوريا وتركيا، أو الإسلام أو العروبة المنتمية إلى البلاد النامية والمتخلفة.[4]

وإذا أردنا أن نختزل مجال الأنا فإننا لا نستطيع أن نجد لها تحديد إلا في الاستخدام الشائع المتمثل في الشرق في مقابل الغرب هذا الغرب الذي أطلق عليه مصطلح الآخر والذي يعتبر أن الشرق مجال جغرافي واسع وهو نقيض الغرب وليس له حدود، أي يجوز أن يشمل كل العالم باستثناء دائرة الغرب، أو الذي لا يدخل في دائرة الغرب.[5]

---

[1]– **إبراهيم مصطفى وأخرون** ،المعجم الوسيط ، المرجع نفسه ص7–8.

[2]– المرجع نفسه، ص12.

[3]– **الجابري محمد عابد** ،الإسلام و الغرب ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر،ط 1بيوت لبنان ص21.

[4]– **الجابري محمد عابد**، المرجع نفسه ص23.

[5]– **الجابري محمد عابد**، الإسلام والغرب المرجع السابق، ص25

الإسلام والغرب(الانا و الأخر): الغرب في الاصطلاح الجغرافي نسبي ومتحرك، فالشيء الواحد يكون غربا بالنسبة إلى شيء معين، ويكون شرقا بالنسبة إلى شيء بالنسبة إلى عدة دول وعدة قوميات، فهناك أمريكا الشمالية والدول الأوروبية وهناك أمريكا اللاتينية وروسيا واليابان، فهل تدخل هذه الأخيرة كلها في مفهوم مصطلح "الغرب" وبأي دلالة أو معنى.[1]

والشيء نفسه يقال بالنسبة إلى الإسلام، فسواء قصدنا من لفظ "إسلام" الممارسة الدينية وحدها، أم قصدنا به المسلمين، فالتعدد يفرض نفسه، وذلك انطلاقا من المذاهب والفرق وغيرها من التقسيمات، هناك إذا وحدة إيديولوجية أو بالأحرى تعميم إيديولوجي يخفي التعدد بهدف إظهار علاقة التقابل بين "الغرب والإسلام".

بالنسبة إلى المرجعية العربية الإسلامية، يمكن أن نلاحظ في البداية أن عبارة الغرب والإسلام عبارة طارئة نقلت إليها بالترجمة الحرفية من اللغات الأوروبية.[2]

أما اصطلاح "الشرق والغرب" أو الأنا والأخر الذي ظهر في الخطاب السياسي الأوروبي في القرن الماضي وهذا القرن فهو في المرجعية العربية الإسلامية، محكوم بالنسبية والتعدد إلى حد كبير، ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى: "**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**"[3] والمشرق هنا هو الشرق عموما بما فيه الأقطار الأوروبية و في هذا يقول الله تعالى: " **فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ** "[4]. وفي زمن **ابن سينا** كان المشرق والمشرقيون هم فارس وأهلها شرقا، بينما كان المغرب والمغربيون هو بغداد وأهلها وما يليها غربا هكذا تعددت الاتجاهات وتم التمييز بين الشرق والغرب في نظر الأنا والأخر.

إن عبارة الإسلام والغرب عبارة غير أصيلة في العقل الثقافي العربي وإنها منقولة إليه من اللغات الأوروبية، وتستعمل في هذه اللغات في السياق نفسه الذي تستعمل فيه هذه

---

[1]- **محمد عابد الجابري**، الإسلام والغرب (الأنا والآخر)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، المرجع السابق، ص 12.
[2]- المرجع نفسه، ص 12.
[3]- **سورة البقرة**، الآية 177.
[4]- **سورة المعارج**، الآية 40.

اللغات نفسها عبارة "الأنا والأخر" بمعنى أنها هي الأخرى تدين بوجودها في الخطاب العربي المعاصر، إذ هي غير مألوفة، ولا موجودة في الخطاب العربي القديم وحتى الحديث.[1] ويتم تعيين الأخر بصفات متعددة ومختلفة في المعنى والدلالة لدى كل تيار من تيارات الوعي العربي، فهو الغرب الذي يقابل الشرق، وهو عنوان السيطرة والهيمنة والنطش والاستعلاء والتفوق.[2]

الحوار مع الآخر: إن مبدأ الحوار والجدال يفترض وجود الأخر، لأنه يتم عادة بين طرفين. والحوار في معناه الحقيقي لا يقوم ولا يؤدي إلى الهدى المنشود إلا إذا كان هناك احترام متبادل بين أطراف الحوار، واحترام كل جانب لوجهة نظر الجانب الآخر، وبهذا المعنى فإن الحوار يعني التسامح واحترام حرية الآخرين، واحترام الرأي الآخر لا يعني بالضرورة القبول به، وليس الهدف من الحوار مجرد فض الاشتباك بين الآراء المختلفة، أو عزل طرف عن الطرف الآخر، وإنما الهدف الأكبر هو إثراء الفكر وتجسيد قيمة التسامح بين الناس، وتمهيد الطريق للتعاون المثمر فيما يعود على جميع الأطراف بالخير، وذلك بالبحث عن القواسم المشتركة التي تشكل الأساس الصلب للتعاون بين الأمم والشعوب.

والحوار بهذا المعنى يعد قيمة حضارية ينبغي الحرص عليها والتمسك بها وإشاعتها على جميع المستويات، والوعي بذلك كله أمر ضروري يجب أن تعلمه الأجيال، عن طريق القدوة وليس عن طريق التلقين، ولا جدال في أن الحوار قد أصبح ضرورة في عصرنا الحاضر أكثر إلحاحا من أي وقت مضى ما دام أن بلوغ التعايش و التسامح وحق الإختلاف لا يتم إلا بالعمل على تطبيقه كوسيلة مثلى ، بل أصبح ضرورة من ضرورات العصر، ليس فقط على مستوى الأفراد والجماعات، وإنما على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب، فليس هناك سبيل إلى حل المشكلات وتجنب النزاعات إلا من خلال الحوار، ومن منطلق الأهمية البالغة للتعارف بين الأمم والشعوب والحضارات والأديان، كانت

---

[1]- المرجع السابق الإسلام والغرب، ص 13.

[2]- **بلقزيز عبد الإله** ، العرب والحداثة، دراسة في مقالات الحداثيين، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2008، بيروت،ص48.

دعوة الإسلام إلى الحوار بين الأديان: قال تعالى:" **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** "[1] وذلك لما للأديان من تأثير عميق في النفوس.

ويعد الإسلام أول دين يوجه هذه الدعوة واضحة صريحة في قوله تعالى:" **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**"[2].

إن تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة فئات أو أفراد يضفي مع مرور الزمن إلى تقلص شقة الخلاف بينهم وذلك لدخول هذه الأطراف في استفادة بعضها من بعض، حيث أن هذا الطرف أو ذاك قد يأخذ في الانصراف عن رأيه متى تبين له، عند مقارعة الحجة بالحجة والرأي بالرأي الأخر، ضعف أدلته عليه ثم يتجه تدريجيا إلى القول برأي من يخالفه أو يأخذ على العكس من ذلك [3] والأصل في الحوار هو الاختلاف أي أننا لا ندخل في الحوار إلا ونحن مختلفان، بل إننا لا نتحاور إلا ونحن ضدان لأن الضدين هما المختلفان، والحوار لا يكون إلا بين مختلفين[4]

والأصل في الكلام هو الحوار أي لا نتكلم إلا ونحن اثنان والطرفان هنا يقصد بهما الأنا المحاور والأخر المتحاور معه أي أن الحوار الذي نقصده هو دائما ذلك الذي نقصد به الطرف الأخر أو من نريد محاروته، علما أن الحوار لا يتم إلا بتقبل مبدأ الاختلاف باعتباره السبيل الوحيد لتأسيس تقاليد الحوار.[5] هذا السلوك يؤدي حتما إلى تعايش الأفكار واحترام الأخر هذا الذي كنا نعتقد أنه المتعصب واللامتسامح، إذ حكمنا عليه دون محاولة التقرب إليه ومحاورته والإستفادة من أرائه، خاصة عندما ندرك أنه لا سبيل إلى التسامح دون المرور على حتمية الوقوف عند مقصد الغير، أي معرفة وجهة نظره في الحياة وما يقصد تحقيقه حتى نتمكن من الإستفادة من تجاربه في الحياة التي تعود علينا إذا ما أولينا الإهتمال بالجانب التحاوري مع الأخر.

---

[1]- سورة **الحجرات**، الآية 13.

[2]- سورة **آل عمران**، الآية 64.

[3]- **عبد الرحمن طه**، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2007، ص 20.

[4]- **طه عبد الرحمن**، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط2،2009، ص28.

[5]- **يوسف بن عدى**، أسئلة التنوير والعقلانية في الفكر العربي المعاصر، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2010، ص 23.

التسامح والحوار مع الأخر:

الحوار(dialogue) **لغة:** هو مراجعة الكلام بين طرفين، وأصل الكلمة من" الحور" وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والمحاورة هي مراجعة المنطق و الكلام في المخاطبة. [1]

إن العيش في ظل عالم يتسم بالتعدد والتنوع يحتاج إلى وجود قدر وافر من التسامح بين الفئات الاجتماعية المختلفة،أي من القدرة على الحوار والتفاهم وقبول الآخر، برغم اختلافه، بالإضافة إلى التحلي بقدر كبير من العدالة والموضوعية عندما يتعلق الأمر بفرد أو جماعة يختلفون في اللون أو العرق أو الثقافة أو الدين [2]، لكن التسامح والقبول في حد ذاتهما قد لا يكونا كافيين لتحقيق الغرض المطلوب، فالواحد منا قد يتسامح مع من أخطأ في حقه، باعتبار ذلك نوعا من السمو والأخلاقي والتعالي على صغائر الأمور، والانشغال بها، لكن الآخر العرقي أو الديني ليس شخصا ناقص الأهلية أو النضج، لكي نتسامح معه كما نتسامح مع المخطئين [3] ولا يحظى أن مثل هذا النوع من التسامح يقوم على إدعاء ضمني بالتفوق على الآخر، فهو بالتالي نوع من التسامح لا يخلو من عنصرية كامنة يمكن لها أن تتفجر وتطفو إلى السطح في أي لحظة، خاصة إذا ساعدت على ذلك الظروف الملائمة[4]، أما التسامح وقبول الآخر الذي يمكنه أن يكون أساسا متينا للتعايش في سلام، والتعاون بين الشعوب والجماعات، فإنه التسامح القائم على أساس من الاحترام أي احترام خصوصية الآخر، ودينه وثقافته وحضارته، وهو يقوم على الإيمان بأن التنوع إنما هو أمر طبيعي، وبأن القضاء عليه هو مطلب مناقض لطبيعة الكون والبشر، وأن كل شعب أو جماعة بشرية قد طورت ثقافتها في ظل ظروف معينة ساهمت في تشكيل هذه الحضارة أو تلك وأنها بالتالي تستحق الاحترام، فالمهم في التسامح وقبول الآخر على أساس من الاحترام هو الإيمان العميق بمبدأ المساواة بين كل الشعوب والجماعات

---

[1]– **سعيد ملا عقيل** ، الحوار قيمة حضارية –دار النفائس ط1 2010–عمان الأردن ص19.

[2]– **حايفي مسعود**، حوار الأديان، دار الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، 2012، دمشق، سوريا، ص 35.

[3]– المرجع نفسه، ص36.

[4]–**عبد الجواد جمال**،– التسامح، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام القاهؤة، 2000،ص52.

والثقافات والأديان، بحيث لا يصبح من حق أي شعب أو أبناء آية ثقافة إدعاء الأفضلية والتفوق وأن ينعكس هذا الإيمان في السلوك تجاه الآخر المختلف.

هذا و يشهد عصرنا الحاضر نزاعات عنيفة في مناطق عديدة من العالم، ولعل ما شهدته البشرية في القرن الماضي وهذا القرن من نزاعات مسلحة يعد أشد ما عرفه الإنسان عنفا ودموية على مدى تاريخه، وتلك مفارقة غريبة، فالمفروض أن الإنسان كلما ارتقى في سلم التقدم والرقي الحضاري كان أكثر ميلا إلى السلم والسلام والتسامح والاستقرار وأكثر بعدا عن العنف والإرهاب، لكن ما حدث ويحدث في عالم اليوم هو في اتجاه مخالف تماما في مثل هذا يقول **روجي غارودي** في حوار الحضارات:" إن حوار حضارات حقيقيا ليس بجائز إلا إذا اعتبرت الإنسان الأخر وإعترفت له بوجوده و كيانه، فالثقافة الأخرى جزءا من ذاتي يعمر كياني ويكشف لي عما يؤلمني وما يعوزني"[1]

عليه نقول أنه ليس هناك أدنى شك في أن الإسلام دين الحوار والتسامح، إذ بالحوار والتسامح تتحقق الفضيلة الأخلاقية وتعم السعادة ويحل السلم، وفي هذا قال صلّى الله عليه وسلّم" بعثت بالحنفية السمحة" كما أن للتسامح قيمة كبرى في الإسلام، فهو نابع من الجماعة بكل ما تعنيه من حرية ومساواة في غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري، لقد حثنا ديننا الحنيف على الإيمان بجميع الديانات السماوية السابقة [2] حيث قال الله تعالى في سورة البقرة:" **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** "[3].

والتسامح ليس هو التفريط والتنازل أو الحياد تجاه الآخر، بل هو الإعتراف بالآخر، أي الاحترام المتبادل والاعتراف بالحقوق والحريات، والتسامح كذلك يعتبر قوة حيثما يكون صادرا أو بالأحرى نابعا من موقف قوة وعدل، حينئذ يكون تسامحا وعفوا عند المقدرة. [4] التسامح في الإسلام مبدأ راسخ في البناء الحضاري، وهو لا يعني الضعف ولا التساهل

---

[1]- **غارودي روجي**، حوار الحضارات، عويدات للنشر والطباعة، ط5، بيروت لبنان، ص 58.

[2]- **عبد الكريم المدعزي**، مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإسلامي.

[3]- سورة **البقرة**، الآية 284.

[4]- **عبد الكريم المدعزي**، المرجع السابق، ص 59

في أمر الدين، ولا إغماض العين على المبادئ والسلوك التي تسيء للأخلاق، ولا الهروب من المسؤولية.[1]

وإذا كانت الحنفية سمحة، فالمسلم متسامح لأن الدين السماحة والوسطية هذا ما جاء به في قوله تعالى:" **كَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**".[2]

مفهوم الأنا والأخر في الفلسفة: بالرجوع إلى الأعمال السابقة التي اهتمت بالمفهومين والتي تحيلنا إلى العصر اليوناني فقد شغلت الذات الإنسانية بما فيها من غموض وتنوع عددا من الفلاسفة والمفكرين اليونان [3] وحتى مفكري الشرق الأقصى (الصين والهند) في القرون الأولى.[4]

كما اهتمت الفلسفة العربية بالأنا **(le moi)** فبدت وكأنها تمفصل أنطولوجي وابستمولوجي [5] ومن هنا أصبح مصطلح النفس الأكثر تداولا وإشباعا وتوظيفا من مصطلح الأنا في الفلسفة العربية[6].

وفي العصر الحديث لقيت اهتماما واسعا في إطار الفلسفة بصفة عامة، ففي نظرية المعرفة ترجم مصطلح الذات بالماهية، وهي الخصائص الذاتية لموضوع معين وتقابل الوجود، ومنه التعبير الشائع: الوجود والماهية.

كما أسهمت الفلسفة الوجودية في مناقشة هذا المصطلح انطلاقا من قناعتها بأن السؤال عن الأنا هو سؤال عن الوجود، ويترتب عن ذلك القول بأن الوجود هو أولا وجودي أنا، وأنا الذات المنفردة[7]، أما ديكارت فقد حاول أن يجعل الأنا مجال المعرفة الجوهري، فربط بين الأنا فكرا، والأنا وجودا ليصل إلى نتيجة "أنا أفكر إذن **أنا موجود**".[8]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 60.
[2]- سورة **البقرة**، الآية 143.
[3]- **فوكو ميشال**، الاهتمام بالذات، ت. جورج أبو صالح، م. الإنماء العربي لبنان، د ط، 1992، ص 33.
[4]- المرجع نفسه، ص 34.
[5]- **بدوي عبد الرحمن**، موسوعة الفلسفة، مادة (أنا) ج1، م.العربية، مصر، ط1، 1984، ص 114.
[6]- **الحداد عباس يوسف**، الأنا في الشعر الصوفي، دار الحوار سوريا، ط1، 2005، ص199.
[7]- **بدوي عبد الرحمن**، دراسات في الفلسفة الوجودية، النهضة المصرية، مصر، ط2،1966، ص19.
[8]- **المعجم الفلسفي**، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، د ط،1983، ص 87.

فكل هذه المقولات عكست مفهوم الأنا من منظور معرفي وآخر وجودي، ومنه نستنتج أن الآخر يأتي بمعنى صفة كل ما هو غير أنا، وفكرة الآخر بمعنى غير أنا مقولة ابستمولوجية، والأنا أو الآخر قد يمثل الفرد كما قد يمثل الجماعة.

إن الحديث عن الأنا والأخر في الفكر العربي الإسلامي منذ علماء الكلام الذي ميز الفكر الإسلامي، وداخل المجتمع العربي الإسلامي حول السلطة الثقافية بين فقيه النص وفقيه العقل، لأن نشأة الفكر الإسلامي في حد ذاته أشر على صراع الأنا والآخر، أي بين المسلم وغير المسلم دفاعا عن العقيدة الإسلامية في مواجهتها للعقائد الأخرى إما كتابية أو غير كتابية.

كما يتم تعيين الآخر بصفات متعددة ومتباينة في المعنى والدلالة لدى كل تيار من تيارات الوعي العربي فهو الغرب الذي يقابل الشرق، وهو الصليبي الذي يقابل الإسلام، وهو الاستعمار الذي يستبيح ديار العرب والمسلمين وهو عالم الكفر الذي يتهدد عقيدة المسلمين بالهدم ونظام القيم لديهم بالمسخ والفتك، وهو عنوان السيطرة كالهيمنة والاستعلاء والتفوق[1].

يخطئ ذلك الذي يعتقد أن العلاقة بين الأنا والأخر هي علاقة تعارض إلى درجة النفي المطلق بينهما وحجتهم في ذلك إن ماهية الأنا وماهية الآخر لا يمكن أن تتحدد إلا على أساس الاختلاف بينهما، كما أن العمق الفلسفي الإنساني يقيم العلاقة الوجودية بين الأنا والآخر إلى ثنائية إنسجامية تكاملية رغم وجود حالة الاختلاف بينهما، حيث أن الأنا شرط معرفي ووجودي للآخر وأن الآخر شرط معرفي ووجودي للأنا.[2]

أي من خلال هذا التصور يتحدد موقع كل منهما وفي ذلك يقول **سارتر** :أنا في حاجة إلى توسط الأخر لأكون ما أنا عليه.

---

[1]- **بلقزيز عبد الإله** ، العرب والحداثة، دراسة في مقالات الحداثيين، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2008، بيروت، ص48.

[2]- **الأمين محمد حسن وآخرون**، الآخر شرط وجودي ومعرفي للأنا، ندوة مجلة قضايا إسلامية معاصرة بغداد، مركز دراسات فلسفة الدين، العدد 28.سنة 2004.

كما يعتبر التسامح الديني من أبرز سمات التنوير الخلاق، وهذا ما نجده عند **ابن رشد** في أعظم صورة، لأنه كان فيلسوفا بالمعنى الدقيق لما يجب أن يكون عليه الفيلسوف الحق لذلك نجد من بين تلاميذه المسلمين والمسيحيين واليهود، فقد كانت في فكره رحابة وسعة وتنوع يصلح لجميع الملل والنحل دون أن يتخلى عن جوهر عقيدته السمحة، مع احترام لفكر من يختلف معه ،سواء في الملة أو حتى في الاتجاه الفكري من أبناء عقيدته.[1]

تبدو عظمة **ابن رشد** في أنه في حالة خلافه مع غيره أي مع الأخر لا ينقص من قيمة وجوهات نظره بل يلتمس له العذر، وإذا كان موافقا لأرائه شكره عليها .[2] كما تبدو قواعد وأصول الحوار المثمر البناء عند ابن رشد في الاعتراف بالحق في الاختلاف وضرورة فهم الرأي الأخر في إطاره الخاص به، [3] والتعامل مع الخصم من منطق التفهم، والتزام الموضوعية والاعتقاد في نسبية الحقيقة، ويرى أيضا أن الأديان جميعا تهدف إلى تعميق الفضيلة، فهي للحكمة مصدر لا للصراع والتمرد، إذ تأمر بإعمال العقل وتدبر الوجود وغايتها واحدة وإن تشعبت طرقها ... ويرى أن الأديان لا تقاس بمقياس الجدل، وله تعبير شهير أخذه من أرسطو فهو يقول: **أيها الناس أنا لا أجزم أن ما تسمونه بالعلم الإلهي علم خاطئ ،بل أقول إنني عارف بالعلم الإنساني** أي أن ما يقوله الأخر في نظري له مكانته واحترامه. [4] هذا نموذج إسلامي من بين العديد من النماذج التي يمكن الأخذ بفكرها العقلاني الذي لم يخرج عن النص، فبهذا نرى وحسب الكثير من العارفين بالتراث العربي الإسلامي أن الأخر أو الغير في الإسلام له مكانة جد خاصة مقارنة بما يراه الأخر في التراث الإسلامي، أي إتصافه بالتعصب للرأي وعدم التسامح مع الغير في الفكر كما في الدين . في الأخير نقول أن الأخر ليس شرا مطلقا بالرغم من تباعد وجوهات النظر ،لكن لابد أن ندعو إلى بلورة الأطر المناسبة للإفادة المتبادلة عن طريق الحوار و التواصل و التفكر المشترك بين الأنا و الأخر لبوغ التسامح.

---

[1]- **عزمي زكريا ابو العز** –الفكر العربي الحديث و المعاصر –دار المسيرة للنشر والتوزيع و الطباعة ط 1 2012 ص91 عمان الأردن.

[2]- المرجع نفسه، ص91

[3]- المرجع السابق، ص92.

[4]- المرجع السابق، ص92.

المبحث الثاني: التسامح في نظر محمد أركون

أولا:المجتمعات الإسلامية وفكرة التسامح

ثانيا: معيقات التسامح في نظر محمد أركون

ثالثا : شروط ممارسة التسامح حسب محمد أركون .

المبحث الثاني: التسامح في نظر محمد أركون

حاول **محمد أركون 1928-2010** من خلال دراساته التي خاضت في الجوانب اللامفكر فيها في الإسلام ومنها قضية التسامح الذي حاول تحديد مفهومه في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، وذلك بإبراز الكيفية التي بواسطتها يستطيع الوصول إلى إدراك المعنى الحقيقي الإنساني والاجتماعي لمصطلح التسامح[1].

فانطلق من مبدأ أن التسامح لا يمكن إدراك معناه إلا بربطه بمفهوم اللاتسامح وما لا يمكن التسامح فيه l'intolérable أي أن التسامح وفق هذا المصطلح يعتبر واحدا من أنواع المحذورات أي اللامفكر فيه في الفكر الإسلامي، وفي ذلك يقول **محمد أركون** أن التسامح ليس فضيلة أساسية تمليها التعاليم الدينية والفلسفية، ولكنه يمثل استجابة للمتطلبات الاجتماعية والسياسية في أوقات الاضطرابات الأيديولوجية الحادة [2] أي أن عوائق التسامح في العالم العربي الإسلامي ترجع دائما لأسباب **ابستمولوجية ودغمائية** حالت دون إدراك قيمة التسامح باعتباره ضرورة أصبحت تستدعيها المجتمعات الإنسانية.

المجتمعات الإسلامية وفكرة التسامح:

التسامح كتطبيق فعلي كان غائبا في المجتمعات الإسلامية وذلك لعدم وجود شروط تعمل على تجسيده والمتمثلة في عدم وجود نظام متجسد في دولة تضمن عدم التعرض للعقاب والتضييق عند محاولة التعبير عن المواقف الفكرية والسياسية المخالفة، وفي ذلك لم يستثني أركون الفكر الوسطوي المسيحي، فهما عنده **ابستيمولوجيا** من إنتاج العقل الديني أو ما يسميه بالعقل **الأرتودكسي.**[3]

هذا العقل عنده لم يفكر في التسامح بمعناه الإيجابي الحديث الذي جاء لأجل الارتقاء بالفرد من وضعية العنف إلى اللاعنف أي تقبل الآخر والتعايش معه، لكن أقصى ما فكر

---

[1]- **أركون محمد**- من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي – ت. هاشم صالح دار السياق ، بيروت، لبنان، ص 124.

[2]- **أركون محمد** – الإسلام واختلاف النماذج، يونيو 1990م، ص 32.

[3]- **أركون محمد** – التسامح واللاتسامح في التراث الإسلامي- مقال ضمن المجلة العربية لحقوق الإنسان- عدد 2، 1995.

فيه هذا العقل هو نوع من التسامح السلبي، هذا ما ظهر وتجسد عند العرب في مفهوم الحلم الذي هو تعبير عن الشفقة التي يكنها القوي للضعيف أو المنتصر للمنهزم، الأمر الذي يتنافى مع التسامح المرغوب والمتمثل في الحق والحرية والمساواة باعتبارها قيم يتحقق بواسطتها التسامح، لا أن نسقط مفهوم التسامح في الحقل التراثي ومحاولة التنقيب فيه لإيجاد ما يماثل هذا المفهوم الحديث الذي لم يسبق للتراث معرفته، ففي نظر أركون يعتبر التسامح كمفهوم حديث وليد ظروف استوجبت البحث عن مثل هذه المصطلحات للخروج من الظروف التي حالت دون تطور الفكر ومسايرة الواقع.

وفي ذلك يرى **أركون** أنه وبالرغم من أهمية التأكيد على الهوية الإسلامية ورفض ذوبان الشخصية الإسلامية ونقد الاستغراب إلا أن رفض كل ما هو غربي مثل النظم البرلمانية والمجالس النيابية والاتجاهات الديمقراطية والحركات الليبرالية يجعل من الثورة الإسلامية تنتقل من الفعل إلى رد الفعل، أي من الاستعمار إلى معاداة كل ما هو غربي، في حين أن العقلانية والعلمية والديمقراطية والطبيعية والإنسانية والنقدية كلها اتجاهات إسلامية، إذ ما أعيد بناؤها وتوسيعها خارج النطاق المحلي منها الغرب في العصر الوسيط وفي عصور الإصلاح الديني وعصر النهضة والعصور الحديثة، [1] وبالتالي يمكن القول أنه وبالرجوع إلى النصوص الكبرى للفكر العربي الإسلامي نجد أنها احتوت على البذور الأولى لفكرة التسامح وتدل على الطريق المؤدي إلى التسامح بالمعنى الحديث للكلمة (ابن رشد والكندي)[2].

وفي ذلك يقول **أركون:** لا يمكننا أن نتجاهل كل هذه المعطيات عندما نريد أن نتصدى كمؤرخين نقديين، لدراسة مسألة التسامح في البيئة الإسلامية أو في الوسط الإسلامي، فإذا ما أردنا أن نتاحشى في الوقت ذاته المغالطات التاريخية السهلة والمبالغات التبجيلية التي

---

[1]- **أركون محمد**، تاريخية الفكر العربي الإسلامي – المركز الثقافي العربي ط 2، 1996، الدار البيضاء، المغرب، ص184.

[2]- **أركون محمد**، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ت.هاشم صالح، ط 3، دار السياق، بيروت، لبنان، ص113.

يوظفها المسلمون للرد على تلك التصورات الاتهامية والاحتقارية الغربية، كما ينبه أركون في هذا الشأن من كيفية التعامل مع مفهوم التسامح وطرق استخدامه.[1]

أي محاولة الوصول إلى معرفة بأي معنى نستخدم مصطلح التسامح عندما نحاول أن ندرس كيفية انبثاقه وآلية اشتغاله ضمن أوساط اجتماعية وثقافية وسياسية، والتركيز على الفرق بين الإسلام والوسط الإسلامي والفكر الإسلامي وفي ذلك يقول أركون أنه حتى الاختصاصيين المدعوين بعلماء الإسلام، يهملون التركيز على ضرورة إقامة هذا التمييز من أجل دراسة المعطيات الخاصة بهذه المستويات الثلاثة بشكل صحيح، إنهم يدعون أنفسهم بعلماء الإسلام في الوقت الذي لا نزال فيه بعيدين عن تكوين خطاب علمي عن الإسلام.[2]

هذه السلوكات الدوغمائية حالت دون الوصول إلى تحقيق التمايز بين هذه المستويات لإدراك حقيقة الإسلام المرغوبة، وفي ذلك يصرح أركون فيقول: يكون مجتمع ما أكثر دوغمائية كلما كان لا يميز بين العقائد والإيمانات، وكلما زادت درجة اعتماد اليقينيات الهامشية على اليقينيات المركزية. [3] وفي ذلك يرى أن عموم المجتمعات الإسلامية لم تعرف تاريخيا ولم تتعرف على مفهوم التسامح، وأن عددا قليلا منها كان له فرصة استكشاف هذا المفهوم والتعرف عليه ولكن في فترة زمانية لاحقة جدا عن عهود الإسلام الأولى، جاء نتيجة الاحتكاك والتواصل مع العالم الغربي في القرن التاسع عشر أي بعد مضي أكثر من ثلاثة قرون بدءا بجون **لوك وفولتير** معتبرا أن مجمل المجتمعات المجبولة بالظاهرة الإسلامية لم تكن تعرف التسامح بأبعاده الحديثة، ويرجع أركون غياب هذا المفهوم لسبب عدم حضوره في الكتب والقوانين الإسلامية التأسيسية وأن النقص الحاصل في هذه المسألة كان نتيجة أنها تدخل في دائرة اللامفكر فيه بالنسبة لعموم الفكر الإسلامي الكلاسيكي كما يضيف أركون أن الأطروحات الإسلامية المتعددة التي لم تتوقف

---

[1]- **أركون محمد**، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ت. وتعليق، هاشم صالح دار السياقي بيروت، لبنان، ط2، 1995، ص 110.

[2]- المرجع نفسه، ص 110.

[3]- **أركون محمد**- الفكر الإسلامي دراسة علمية- ت. هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، ط2، 1996، بيروت، ص6.

في ذكر الإسلام، كان يفرض التسامح ويُلح على تعليمه ونهجه حيث وجد، بأنها ليست أكثر من موقف تبجيلي لم يخرج عن كونه يلبي العواطف والميولات الجماهيرية، [1] وفي ذلك قال **أركون** أن هذا الموقف الشائع لن يكون موقفي، فأنا سأفضل طريق الحقيقة والصراحة حتى ولو كانت جارحة ومرفوضة، فالحق أحق أن يتبع.

وكفانا انصياعا لميولنا وعواطفنا الذاتية أو لأجل إرضاء الآخرين.[2]

كما أننا لا نتجاهل معطى تاريخي واضح والمتمثل في أن مجموعة قليلة من المجتمعات المجبولة بالظاهرة الإسلامية هي من كانت لها الفرصة في التعرف على مشكلة التسامح بأبعادها الحديثة أو مفهومها الحديث.

لكن لم يتح لها ذلك إلا في القرن التاسع عشر أي بعد أكثر من ثلاثة قرون من ظهوره إذا اعتدنا في ذلك جون لوك وفولتير إذن فالمسألة بالنسبة للمجتمعات العربية الإسلامية حديثة العهد مقارنة بالمجتمعات الأوروبية التي عملت على توظيفه وتجسيد أفكاره الداعية إلى نبذ العنف والاعتراف بالاختلاف وحرية الرأي والمعتقد، وأركون في حديثه عن المجتمعات الإسلامية وظف عبارة **المجتمعات المجبولة** وذلك ليوضح منذ البداية أن هناك عوامل أخرى تؤثر في هذه المجتمعات غير الدين، هدا بالرغم من أنه على قناعة أن النزعة الإنسانية في الثقافة العربية الإسلامية كانت سابقة على النزعة الإنسانية في الغرب في القرنيين السادس والسابع الميلاديين، دلك آن العالم العربي كان قد عرف تجربة الأنسنة بشكل واضح المعالم في القرن العاشر الميلادي، أي أن المجتمعات العربية المسلمة والإسلام كعقيدة ودين عرف السماحة والتسامح والرأفة والعفو والاختلاف في الرأي، حيث كان له السبق فيما كان يعتقد الأخر.[3]

أي أن الإسلام ليس وحده العامل المؤثر وإنما هناك عوامل أخرى كالعقائد القديمة السابقة عليه والتي تختلف من مجتمع إلى آخر، فمثلا أند ونسيل مجتمع "إسلامي" لكن ليس الإسلام وحده المؤثر في السلوكات الاجتماعية ، وإنما عقائد توارثها المجتمع وهي عقائد قديمة

---

[1]– **أركون محمد**، قضايا في نقد العقل الديني، دار الطليعة، بيروت، 1998، ص 225، ص 227.

[2]– المرجع نفسه، ص 229.

[3]– **مصطفى كيحل** –الانسنة والتأويل في فكر محمد أركون ، منشورات الإختلاف دار الأمان الرباط،ط1، 2011 ، ص62.

راسخة قبل مجيء الإسلام إليها، هذا النموذج الإندونيسي في نظر **أركون** يحيلنا إلى أن هناك اختلافات من مجتمع إلى آخر، وهي اختلافات راجعة إلى عوامل محلية عميقة الجذور أي أن المجتمع الإسلامي يختلف في تعاملاته وطرق عيشه أي في مصيره فلذا نتوهم أن المجتمع الإسلامي واحد [1] بل العكس من ذلك فهو مجتمعات متميزة ومختلفة حتى في عامل توظيف الدين نجده يختلف من منطقة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر حتى داخل المجتمع العربي الإسلامي فهناك فروقات ظاهرة يضاف إلى ذلك أن المجتمع لا يتأثر فقط بالدين، وإنما يتأثر بكافة المعطيات الديمغرافية والمناخية والاقتصادية واللغوية السائدة فيه، لذا فالعامل الديني هو عامل من بين عدة عوامل أخرى يمكنها أن تؤثر في المجتمعات خاصة إذا تعلق الأمر بالسلوك والتعامل مع الآخر المعاملة التسامحية المرغوبة[2].

معيقات التسامح في نظر محمد أركون:

بعدما تعرضنا للأفكار الأولية التي نهجها **أركون** في تناوله لمفهوم التسامح كظاهرة حديثة لم يسبق للمجتمعات العربية والإسلامية معرفتها ولم تنشر لها النصوص المقدسة كالقرآن والسنة ولا حتى التراث بصفة عامة ولا العارفين بالدين الذين انفردوا بالدين ولم يسمحوا بالاجتهاد فيه لأجل معرفة الأسباب التي حالت دون مسايرة الواقع. [3] الأمر الذي استدعى أركون القول أنه لا يمكننا خوض مجال التسامح دون توضيح بعض المصطلحات التي وظفت في تراثات العالم الآخر ويقصد المجتمعات الأوروبية هذه المجتمعات التي تأثر بها وطبق تلك المصطلحات في دراساته بمعانيها الأصلية أو بمعان مقاربة لها، والمتمثلة في[4]: أ-**الايديولوجية:** وهي مجموعة من التصورات الخارجة عن مراقبة العقل النقدي والتي تهدف إلى تجيش المتخيل الجماعي بشكل أفضل والتوصل إلى الخلاص النهائي.

---

[1]- المرجع السابق، ص 231.

[2]- المرجع السابق، ص 235.

[3]- المرجع السابق، ص 237.

[4]- **علي خليل حمد**، التسامح في فكر محمد أركون- مجلة التسامح، مجلة فكرية تعني بقضايا التسامح وحقوق الإنسان، مركز رام الله الدراسات العدد 37-2012، ص 218

ب-**المتخيل:** مصطلح عنى به واضعوه أي وجود عامل غير مادي، مؤثر في حركة التاريخ، وهو عبارة عن صور ورؤى تترسب في ذاكرة جماعية معينة، ترسخ وحدة تلك الجماعة، وعين مواقف لها تجاه غيرها يمكن أن تستغل سياسيا وايديولوجيا في اللحظات العصبية مثل مخيال السنة ضد الشيعة والعكس أو الغرب ضد الشرق.

ج -**الابستيمي:** épistémè وهو النظام الفكري الشامل الذي يتحكم في فترة معرفية ما ضمنيا أو اركيولوجيا، أو مجمل المسلمات الضمنية التي تتحكم بكل الإنتاج الفكري في فترة معينة دون أن تظهر إلى السطح.

د-**العقل الدغمائي أو الدغمائية** : يرتبط هذا العقل بشدة وصرامة بمجموعة من المبادئ العقائدية ويرفض ما عداها ويعتبرها لاغيه ولا معنى لها وتندرج ضمن دائرة اللامفكر فيه.

المسموح التفكير فيه والمستحيل التفكير فيه: المسموح التفكير هو النطاق الذي يؤذن للعقل بأن يشتغل داخله أو يفكر فيه، أي يمكن إيضاحه والتفكير فيه بمساعدة الجهاز العقلي المتوافر في تلك الفترة، وما عداه هو المستحيل التفكير فيه.

وتعود استحالة التفكير فيه، إما إلى محدودية النظام المعرفي ونمط العقلانية الخاص بالنظام الاجتماعي الثقافي الموجود.[1]

وأمثلة (الممنوع) التفكير فيه في الفكر الإسلامي: التفكير في جمع المصحف بعد عثمان بن عفان، والتفكير والبحث النقدي في الحديث النبوي الشريف بعد تدوين كتب صحاح الحديث، ونظرية خلق القرآن وفصل الدين عن السياسة (الدولة)[2].

الأرثوذكسية الإسلامية: في الفكر الإسلامي هي مبادئ عقلية **دوغمائية** ترتكز إلى السلطة وليس إلى الإقناع، وهي ثلاث **أرتوذكسيات** سنية، شيعية، وخارجية، ويغلب في الحديث عنها عند محمد أركون أن يكون عن الأرثوذكسية السنية، وهي تشكل عنده مثلثا مكونا

[1]- المرجع نفسه، ص 219.
[2]- المرجع السابق، ص 220.

من رجال الدين ورجال السلطة وجمهور العامة، وفي هذا يرى أركون في الأصوليات الحالية تعبيرات عن الأرثوذكسية القديمة القائمة في مواجهة الحداثة وهو يرفضها رفضا مطلقا لانتمائها إلى العقبة القروسطية.

القطيعة الابستمولوجية: وتعني عنده التخلي عن بنية لا واعية ومؤثرة في تاريخ الفكر، ويتحدث أركون عن مـــا يعانيه العرب الآن: الأولى عن الفترة التأسيسية المنتجة عند العرب في القرون الخمسة الأولى للهجرة والأخرى عن العقلانية الغربية والحداثة منذ القرن السادس عشر الميلادي حتى الآن.

التفكيك: يهدف عند أركون تفكيك خطاب ما إلى الكشف عن آليات الفكر المولد له، وعن الأجزاء المخفية أو المطموسة فيه، وذلك من أجل فهم أفضل الشروط إنتاج الثقافة ذات الصلة ووظائفها.

ما لا يطاق: أي في نظره ما لا يحتمل أي هو كل شيء يضعف من التفتح الأقصى للشخص البشري، أو يعرقل هذا التفتح أو يحرفه عن مجراه الصحيح أو يحذفه أو يلغيه بكل بساطة... كل شيء يقتل في الإنسان إنسانيته ونزعته نحو الإبداع والشيء الذي تنتفض الروح ضده فورا وترفضه بقوة، ولكنه على الرغم من ذلك يستمر في فرض نفسه على أرض الواقع وكأنه يريد أن يظهر العجز الجذري للإنسان على تجاوز تناقضه الذي يعانيه ولم يجد له مخرج.[1]

توظيف هذه المصطلحات أدى **بأركون** إلى تعريف التسامح بأنه الاعتراف للفرد المواطن بحقه في أن يعبر داخل الفضاء المدين عن كل الأفكار الدينية أو السياسية أو الفلسفية التي يريدها ويراها مناسبة ولا أحد يستطيع أي يحول بينه وبين التعبير عن آرائه اللهم إلا إذا أراد فرضها بالقوة أو بالعنف على الآخرين السلوك الذي لا يجنده أركون. بمعنى انه لا يوجد سجناء رأي في المجتمعات الحرة الديمقراطية التي تطبق التسامح بالمعنى

[1]- المرجع نفسه، ص 221.

الحديث للكلمة، وقد أدى هذا التعريف بأركون إلى رفض إدراج بعض أشكال السلوك التي لا تساعد في نظره على تجسيد التسامح الحق، هذه الأشكال التي تمثلت في:

العفو عن الإساءة: وهو تسامح الشعارات من أمثلته تسامح رجال الدين التبجليين الذين يمكن هدفهم في الدفاع عن **الأرثوذكسية** الدينية المتعصبة والذين يدأبون على القول إن دينهم يرفض التعصب، وإنه كله تسامح ولا يستثني في ذلك الأوروبيين أي أنه يقصد الفترة القروسطية، أي أن الدين في هذه الفترة كما يدعون كله تسامح، أما في واقع الحال فإن ما يحدث يعاكس ذلك بكثير، إلى جانب تسامح مع الشفقة والذي يرى فيه تسامحا نفعيا في جوهره، كما في حالة الحلم عند العرب ويكون في العادة من القوي إلى الضعيف أي أنه يفتقد لأوجه العدل والإنصاف والمساواة وكأنه تسامح من طرف واحد والذي يهدف دائما إلى الحط من قيمة الضعيف الذي لا حول ولا قوة له إلا القبول بسلوكات الآخر بالرغم من ما يترتب عليها من نتائج على الضعيف[1] أو المستضعف، أي أنه تسامح أحادي الاتجاه يتم من الأعلى إلى الأدنى وفي مقابل هذه السلوكات والأشكال المختلفة من التسامح الانتهازي والتكتيكي يضع أركون ما يسميه بالتسامح الإيجابي الفعال الذي يعود على الإنسانية بالنفع في الجوانب الأخلاقية المتعلقة بالتعاملات.[2]

فمن جهة يرى **محمد أركون** أن عموم المجتمعات الإسلامية لم تتعرف تاريخيا على مفهوم التسامح، وأن عددا قليلا منها كان لها فرصة استكشاف هذا المفهوم والتعرف عليه، ولكن في فترة زمانية لاحقة جدا عن عهود الإسلام الأولى، وأن هذا الاستكشاف والتعرف جاء نتيجة الاحتكاك والتواصل مع العالم الغربي في القرن التاسع عشر، معتبرا أن مجمل المجتمعات " المجبولة بالظاهرة الإسلامية" لم تكن تعرف التسامح بأبعاده الحديثة.[3] ويرجع أركون غياب هذا المفهوم لسبب عدم حضوره في الكتب والقوانين الإسلامية التأسيسية، وأن النقص الحاصل في هذه المسألة كان نتيجة أنها تدخل في دائرة اللامفكر فيه بالنسبة لعموم الفكر الإسلامي الكلاسيكي، ويضيف أن الأطروحات الإسلامية المتكررة التي لا

---

[1]- المرجع السابق، ص 222.

[2]- **أركون محمد**، قضايا في نقد العقل الديني مرجع سابق ص225-229.

[3]- **أركون محمد**، نقد العقل الديني :كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ت هاشم صالح . ط1 1998 بيروت لبنان ص231.

تفتأ تذكر أن الإسلام كان يفرض التسامح ويعلمه حيث وجد، بأنها ليست أكثر من موقف تبجيلي يلبي فقط العواطف الجماهيرية [1] وأن التعددية الدينية هي التي تجبر المجتمع على مشكلة التسامح، فإذا خلا منها لم تعد ملحة، اللهم إلا داخل الدين الواحد نفسه بفرق ومذاهب وجماعات.

إن الخصومات التاريخية القديمة والحديثة هي التي أدت إلى هذا العزل، وهي التي أقامت الحواجز بين تواثاث روحية وثقافية تنتمي إلى الأصل المشترك ذاته أي الأصل الإغريقي والوحي التوحيدي وبالتالي فقدان الأوان لكي نوسّع عقولنا ونفتح صفحة جديدة من العلاقات المتسامحة والمتفاعلة بين مختلف هذه التراثات التي ترعرعت على مختلف الضفاف، من أتينا إلى سوريا إلى فلسطين إلى شبه الجزيرة العربية إلى بغداد بالعراق إلى المغرب الكبير إلى بلدان أوروبا جنوبا، حان الوقت لأن يهتم الباحثون بالتراث حتى يتمكنون من معرفة الأسباب التي حالت دون تحقيق التواصل والحواريين الشعوب ويقصد في ذلك أركون شعوب حوض المتوسط وذلك لما يربط هذه المجتمعات مورد حضاري [2] فألح على القول بأن الإسلام جزء من التراث الإغريقي السامي وليس من أي تراث معرفي آخر، بهذا المعنى فإن الإسلام ينتمي إلى الغرب لا إلى الشرق على عكس ما ينوهم الكثيرون، فلا علاقة للدين الإسلامي بأديان الشرق كالهندوسية والبوذية في حين أن علاقته أكثر من واضحة بالأديان الكتابية أي اليهودية والمسيحية لما يربط هذه الأديان مع الإسلام من تاريخ طار في الزمن، إذ يكفي أن نلقى نظرة مقارنة على التراث والإنجيل والقرآن لكي نتأكد مما نقول[3].

شروط ممارسة التسامح الإيجابي في نظر أركون : يبرهن **أركون** بوضوح على أن ممارسة التسامح بشكل فعال وإيجابي يتطلب تحقيق شرطين أساسيين والمتمثلان في:

[1]- **أركون محمد**، نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، المرجع السابق، ص 237.

[2]- **أركون محمد**، قضايا نقد العقل الإسلامي، كيف نفهم الإسلام اليوم؟ دار الطليعة، بيروت، ط 1، 1998، ت، هاشم صالح، ص 268.

[3]- **أركون محمد**، المرجع نفسه، ص 269.

1 **وجود دولة حق وقانون:** تعمل على تحقيق حرية التعبير لكل المواقع الفكرية والعقائدية دون استثناء أي لكل الأديان والفلسفات والمذاهب والدولة التي ينطبق فيها القانون على الجميع، يقول أركون لا يمكن أن توجد ديمقراطية حقيقية دون أن تحصل في المجتمعات مناقشات مفتوحة (حرة، نقدية، خلافية)

2 **مجتمع مدني:** أي وجود مجتمع مدني متماسك مشبع بالثقافة الفلسفية والقانونية المتسامحة وفي الواقع تقوم علاقة جدلية بين المجتمع المدني ودولة القانون أي بهما حسب أركون يتحقق التسامح الإيجابي الفعال والعقلاني وذلك حين توفر دولة القانون الأطر القانونية الملائمة للمواطنة والمساواة بين أفراد المجتمع وفئاته المختلفة من خلال الأليات الديمقراطية والسياسية كالانتخابات تعبيرا عن الرأي وغيرها.[1] إلى جانب وجود عقل نقدي حديث يعمل على إزاحة الستار على العقل التقليدي القروسطي كما يراه أركون أو يحبذ تسميته أو ما أسماه بالعقل الأرثودكسي المتعصب والذي كان معه استحالة التفكير في التسامح لأنه يؤمن بالحقيقة المطلقة التي لا تحتمل الشك والتي يباح لأجلها استخدام العنف والقوة وكل ما من شأنه يساعد على بقائها [2] أما العقل الحديث المتفتح فيدرج التسامح ضمن دائرة المسموح التفكير فيه باعتباره يؤمن بنسبية الحقيقة وعقلانية الفكر أي الفكر الذي يفتح مجال الحوار والنقاش لأجل إدراك الحقائق عكس العقل المسيج والوثوقي الذي يكبح الحريات.

3 إلى جانب ذلك نجد من شروط التسامح حسب **محمد أركون وجود إرادة فردية** للتسامح أي إرادة الفرد في التسامح وارتباط هذه الإرادة بالإرادة الجماعية والسياسية على مستوى الدولة، لكن للأسف إذا ما بحثنا على هذه الإرادة نجد أنها منعدمة في المجتمعات الإسلامية حتى يومنا هذا، وذلك يرجع بالطبع إلى أسباب تاريخية واجتماعية وانثروبولوجية أكثر مما يعود إلى النقص في الفكر الإسلامي.

---

[1]– **أركون محمد**، قضايا في نقد العقل الإسلامي، كيف نفهم الإسلام اليوم؟ دار الطليعة، بيروت، ط 1، 1998، ت، هاشم صالح، ص 245.

[2]– المرجع نفسه، ص 246.

وفي ذلك يضرب أركون نماذج حية للمجتمعات الإسلامية كحالة تركيا الكمالية، واندونيسيا في ظل سوهارتو [1] إذ من المعروف أن النزعة النضالية التي اتبعها أتاتورك كانت فجة وعنيفة وغير متسامحة، والتي أدت في النهاية إلى عكس غايتها أي أدت إلى ظهور ما يسمى بالحركات الإسلامية المنغلقة والمتعصبة، والتي ترفض كل ما هو غير إسلامي، أما اندونيسيا فإن التسامح الديني الذي لا ينكر مصحوب بالصرامة والعنفوانية الايديولوجية للنظام الحاكم وذلك عكس ما يحث عليه النص أو بالأحرى الشرع،[2] ففي هذه الحالة نجد هذه المجتمعات بأنظمتها تتلاعب بفكرة التسامح أو تدعيها وتلوح بها، في الوقت الذي نجد فيه أن الثقافة الانتروبولوجية والفلسفية والتاريخية اللازمة لأي ممارسة حقيقية، وغير مشروطة للتسامح الفعال لا تزال معدومة، وذلك في كل البيئات الإسلامية[3]. الأمر الذي يجعلنا ندرك أن التسامح بمعنى قبول الحرية الدينية والحماية القانونية للحقوق الأساسية للإنسان والمواطن هو شيء مستحيل التفكير فيه، من الناحيتين النفسية والفكرية وحتى الأخلاقية، وسبب استحالة التفكير فيه هو هيمنة الأنظمة اللاهوتية للاستبعاد المتبادل، يقصد أركون تلك الأنظمة الثيولوجية، والتي شكلتها مختلف الطوائف الدينية لكي تحمي نفسها، أو أن تتوسع إذا ما استطاعت أي أن هذه الأنظمة الدوغمائية تزعم احتكار حقيقة الوحي، وبالتالي احتكار السلطة ففي هذه الحالة لا وجود لحرية الرأي ولا حتى للتسامح.

وفي هذا نجد **أركون** لا ينكر وجود أزمة بين التراث الإسلامي وبين العصر، إلا أنه ينظر إليها ضمن منظور تاريخي فارغ من كل تحليل سوسيولوجي أو بعد تاريخي، حيث أن عدم موضعة الأمور ضمن منظورها التاريخي يعني إدانة الإسلام وذلك قبل إجراء أي مقارنة أو حوار.[4]

---

[1]– **أركون محمد**، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ ت. وتعليق– هاشم صالح دار الساقي، بيروتـــ، لبنان، ط2، 1995، ص 116.

[2]– المرجع نفسه، ص 116.

[3]– المرجع السابق، ص 117.

[4]– **أركون محمد**، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، مرجع سابق، ص 121.

فمن الواضح أن المجتمعات الإسلامية والعربية الحالية تعاني من تأخر اقتصادي واجتماعي وسياسي وعلمي، لا يساعدها في احترام حقوق الإنسان، لكن ذلك لا يرجع إلى تعصب أزلي مرتبط بالإسلام أو العرب، وإنما عائد بكل بساطة إلى التفاوت التاريخي بين المجتمعات وخاصة تلك التي تدعي الحداثة ومعرفة الحقيقة.

إن عدم أخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار يدل على سوء نية، ويسهل الوقوع في الأحكام العنصرية المسبقة، هذا ما يقوم به الكثير من الأوروبيين إلى جانب الكثير من المثقفين العرب بغير وعي منهم [1] فعندما يتصدى أركون لدراسة التسامح داخل الوسط الإسلامي يكون مرغما على مقارنته بالأخر، هذا الذي يعتقد استمرار امتلاكه للحقيقة، أي أنه ينبه منذ البداية إلى خطورة مثل هذا الوضع، أي خطورة إهمال هذه المعطيات المبدئية وبالتالي عدم فهم أي شيء عن الإسلام والغرب أو حتى عن مفهوم التسامح في حد ذاته. فحسب **أركون** التسامح ليس صفة أزلية معلقة في الفراغ، وإنما هو خاصية مرتبطة بإكراهات المجتمع ومستوى تطوره المادي والمعنوي، بمعنى آخر لا يمكن التحدث عن التسامح إلا من خلال المجتمع وما وصل إليه من تطور فكري ومادي[2] ، الأمر الذي جعل أركون يدخل في عراك فكري مع أولائك الذين نصبوا أنفسهم بعلماء الإسلاميات **(Les Islamologues)** فهم لا يفرقون بين الإسلام كدين وبين المجتمعات الإسلامية باعتبارها مجتمعات بشرية تدرك وتحس وتؤثر وتتأثر مثلها مثل غيرها، هذا الفهم الخاطئ للدين الإسلامي أو المجتمعات الإسلامية، جعلهم ينعتون الإسلام بالتعصب وعدم التسامح في كل مرة يجدون فيها شيئا من هذا النوع، فلا بد أن يعرفوا حسب أركون أن هناك مستوى الدين وتعاليمه المثالية، وهناك مستوى البشر وصراعاتهم وأنانياتهم وعصبياتهم في المجتمع، وفي ذلك يأخذ الدين وجه التعصب أو التسامح وفق الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للمجتمع كما ذكرنا هذا سابقا[3] .

---

[1]– **أركون محمد**، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، مرجع سابق، ص 121.
[2]– **أركون محمد**، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، مرجع نفسه، ص 122.
[3]– **أركون محمد**، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، مرجع نفسه، ص 124.

هكذا نستطيع أن نفهم التسامح كفكرة للتعايش والتحاور، لأن ه حسب أركون عبارة عن تلبية لحاجة اجتماعية وضرورة سياسية ملحة في فترة الهيجان أو بالأحرى الانفعال الايديولوجي الكبير، كما أنه عبارة عن إعادة نظر في "القيم" الخاصة بكل فئة اجتماعية على حدة، حيث أن " **الرأسمال الرمزي**" للشعوب يجب بالضرورة أن يتوفر على فكرة التسامح التي تنهض به مما أسميه بوضعية الترسبات الإيديولوجية أو وضعية التراكمات المعرفية. والتسامح كما هو ثابت من الناحية التاريخية واقع ثقافي دعت إليه الحاجة. وبالتالي فإن ترسيخ التسامح يستوجب في كل وضعية توافر أمرين أساسيين، الأول هو **إرادة الفرد في التسامح**، والثاني هو **إرتباط هذه الإرادة بالإرادة السياسية الجماعية** على مستوى الدولة، وبهذا الصدد يمكننا القول بأن هاتين الإرادتين كانتا معدومتين في الغالب في عدد كبير من المجتمعات العربية والإسلامية، لكن إنعدام هذا التسامح يعود إلى أسباب تاريخية وإجتماعية وأنتروبولوجية، أكثر ما يعود إلى صمت النصوص الدينية أو نقص في الفكر الإسلامي [1] ومسألة التسامح تشكل جزءا لا يتجزأ من هذه التراكمات التي يستحيل التفكير فيها الآن، والدليل على ذلك ما يحصل من أعمال عنف وأحداث مأسوية راهنة، في العديد من الأقطار العربية والإسلامية.

هكذا نجد أنه إذا كان التسامح يشكل حاجة مستمرة ودائمة بالنسبة لكل المجتمعات والعصور، فإن تحقيق بعض إنجازات التقدم في هذا المجال ليست مضمونة بشكل نهائي، ويضاف إلى ذلك أن درجات التسامح وأشكاله تختلف بإختلاف التقاليد الثقافية والسياسية المهيمنة في المجتمع، وفي هذا يقول **أركون** :يمكننا مثلا أن نجد صورة سطحية للتسامح أو بلاغية أو تزيينية صرفة، لدى بعض الكتاب والمهتمين بهذا الشأن، الذين يكمن هدفهم في الدفاع عن الأرثودكسية الدينية المتعصبة، فهؤلاء لا ينفكون يقولون ديننا كله تسامح، ديننا يرفض التعصب، وذلك كما حدث عند الغربيين في الماضي والراهن، وحقيقة الواقع تعاكس ذلك[2]. كما يمكننا أن نجد هذه الحالة الشكلانية للتسامح لدى الأعيان والسادة الذين

[1]- **أركون محمد**، قضايا في نقد العقل الإسلامي المرجع السابق ص249.
[2]- **أركون محمد**، قضايا في نقد العقل الإسلامي المرجع نفسه ص250.

يرغبون في إظهار تميزهم أو عظمتهم الشخصية، أو لدى السياسيين الغوغائيين الذين يبحثون عن الشهرة والزعامة الشعبيتين. ينبغي أن ندين كل الإسقاطات والمغالطات التاريخية التي يمارسها بكل سهولة التبجيليون والأصوليون المعاصرون من كل الأنواع، إذ يرتكبون في ذلك كل أعمال العنف والتعصب ورفض الأخر ويزعمون أن أديانهم قد أعلنت التسامح منذ زمن طويل، خاصة المجتمعات العربية والإسلامية التي فقدت الإرادة في مواجهة الواقع ومسايرة العصر، لأن مزاعمهم أصبحت لا تطاق ولا يمكن الأخذ بها.

وبالتالي فلا معنى للتحدث عن التسامح في التراث الإسلامي ، لأن المفهوم بالمعنى الحديث للكلمة لم يكن موجودا أصلا، حيث أن أي تحدث عن التسامح في تلك العصور يعني الوقوع في الإسقاط أو المغالطة التاريخية أي إسقاط تجربة الحاضر ومفاهيمه على عصور سابقة لم تعرفها، لكن التبجليون أو التقليديون يزعجهم ويقلقهم هذا السلوك ويعتبرونه تهجما وتطاولا على الدين، هذا بالرغم من أن التراث العربي الإسلامي كان له السبق في الإشارة إليه بالحلم والصفح والمساواة والعدل وغيرها من المصطلحات وهي كثيرة كما أشرنا إلى ذلك سابقا [1] .لذلك نجد هم يتحدثون ونقد العرب والمسلمون يتحدثون عن وجود التسامح في الإسلام منذ أقدم العصور والتاريخ يشهد على ذلك، هذا في حين أن الإنسان الوحيد الذي كان يتمتع بكافة الحقوق في العصور اللاهوتية القديمة كان هو الإنسان المسلم في المجتمع الإسلامي.عليه يجب أن ندين كل الإسقاطات والمغالطات التاريخية التي يمارسها وبكل سهولة التبجيليون والأصوليون حتى في المجتمعات الغير إسلامية كاليهودية والمسيحية، هذا في الوقت الذي يرتكبون فيه كل أعمال العنف والتعصب واللاتسامح يزعمون أن أديانهم قد أعلنت التسامح منذ زمن طويل، بل وممارسته تاريخيا على الدوام، فيجب أن يدركوا أن مزاعمهم هذه لا تحتمل ولا تطاق فهي أبعد من ارتقائها للواقع[2].

[1]- **أركون محمد**، قضايا في نقد العقل الديني، المرجع السابق ص240

[2]- **أركون محمد**، المرجع نفسه، ص 241.

نعيب على **أركون** أنه غلب على طرحه في مسألة التسامح نفيه التام للمجتمعات الدينية وذلك بحكمه عليها بأنها غير قادرة أن تبني تسامحا قانونيا ومدنيا يتيح للجميع الحرية في الفكر، والعيش في أمن وأمان، إلا ما كان ذا صلة بالاعتبارات الأخلاقية الفردية، ومن تشاؤمه أيضا حكمه بإطلاقية أن التسامح ظاهرة مركبة من الصعب تحقيقها، كما أنه إنطلق من معنى ومفهوم محدد للتسامح إستلهمه من جذور الثقافة الأوروبية. ووفق تصوره الخاص ينتهي إلى القول بكون التسامح لم يعرفه السياق الإسلامي تاريخيا، لأن العقل الديني أو ما يسميه بالعقل **الأرثودكسي** لم يفكر أبدا في التسامح بمعناه الإيجابي الحديث، بل أقصى ما فكر فيه هو نوع من التسامح السلبي، كما ظهر عند العرب بمفهوم **الحلم**، الذي هو في الحقيقة تعبير عن الشفقة التي يحملها القوي للضعيف، مثل ما حدث **للذميين** في بلاد الأندلس تحت حكم الدولة الإسلامية، وهذا في نظر **أركون** يختلف جوهريا عن المعنى الإيجابي الحديث والمعاصر للتسامح ،وبالتالي فالتسامح في نظره لا يمكن أن نجده إلا في مرجعيته الأصلية المتمثلة في المرجعية الأوربية.

إلا أنه وبالرغم من إفراطه هذا سعى من خلال **نقد العقل الإسلامي** إلى جعل المستحيل التفكير فيه أو اللامفكر فيه شيئا يمكن التفكير فيه داخل الفكر الإسلامي المعاصر. كما انه لم يتردد في توجيه سهام نقده للنزعة الإنسانية التي أفرزتها أوروبا الحديثة، هذه النزعة التي إتخذت موقفا عدائيا من الدين، ونازعته في السلطة. لأن إمتلاك السلطة يعني ممارسة الاحتكار الكلي للعنف المشروع. في الأخير أدعوا نفسي وإيّاكم إلى مواصلة الصبر والنضال، والإصرار على نشر التسامح الإيجابي الفعّال والتطبيقي للخروج من الإنغلاقات، والسلوكات العصبية الضيقة التي ما فتئت تفصلنا عن بعضنا البعض على مرّ الأزمنة. كما أدعوا إلى انفتاح كل الثقافات على بعضها البعض وتفاعلها بروح التسامح والاتصال والتواصل الفعلي الجاد الذي يضمن للجميع الاستقرار والحرية، والسكينة التي يسود فيها التعايش بين الأفراد والمجتمعات والملل عامة.

المبحث الثالث: التسامح وشرعية الاختلاف في فكر علي أومليل

أولا: مدخل

ثانيا: التراث ومسألة الإختلاف

ثالثا: التراث وتجربة التسامح

رابعا: التسامح وشرعية الاختلاف

خامسا: الاختلاف والخلاف في نظر علي أومليل

المبحث الثالث: التسامح وشرعية الاختلاف في فكر علي أومليل:

مدخل: نلتمس فكرة التسامح عند **علي أومليل** من خلال كتابه **الإصلاحية العربية والدولة الوطنية**[1] ليرى ما إذا كان مفهوم التسامح مفهوما محايدا أم هو وليد ظرفية الضغط الاستعماري الأوروبي على العالم الإسلامي، أي أنه لم يكن في نظره أن الهدف من مفهوم التسامح هو القيام بتحليل مفاهيمي معين، لكن الأمر يتعلق بمحاولة التذكير بظرفية تاريخية تشكل فيها هذا المفهوم ليتضح كيف أنه استمد مدلولاته الأصلية منها، وحتى يتضح أيضا أنه خارج هذا الظرف يصبح هذا المفهوم غير إجرائي، بالإضافة إلى ما يلحقه من قلق في توظيف العبارة (التسامح) كما عبّر على ذلك القدماء، الأمر الذي يؤدي بكل مفهوم يتغرب أو يريد التغريب عن مجاله الأصلي إلى الإنقراض أو الذوبان في الأخر، إلى جانب ذلك نلمس أيضا التسامح كفكرة وكسلوك من خلال عمله الثاني والذي نقصد به كتابه **في شرعية الاختلاف** الذي أظهر فيه مرحلة تاريخية كانت المجتمعات الإسلامية في موقع قوة وكان المثقف المسلم واثق من حضارته ودينه وعلومه على غيره من الأمم أو الشعوب، أي أن الآخر كان معجبا بسلوكاته وانجازاته، والذي سعى دائما لأجل بلوغها أو العمل على تقليدها، الأمر الذي أدى به إلى الحفر في التراث الإسلامي بمراحله التاريخية القديمة والحديثة وحتى المعاصرة .[2]

التراث ومسألة الاختلاف:

فالعودة إلى التراث بالنسبة **لعلي أومليل** لأجل التنقيب فيه وتحليله بحثا عن تجارب الاختلاف والتسامح سببه محاولة الإجابة على السؤال الذي اشترك فيه أركون محمد مع الجابري، وهو: هل التراث العربي الإسلامي كان عاملا مساعدا أو عائقا على تكون عقلية قابلة بشرعية الاختلاف والتسامح؟

إذ وبعد البحث في البنية الّإصلاحية الإسلامية الحديثة، أدرك أنها واقعة تحت تأثير الظرفية التاريخية الاستعمارية التي كانت تهدد وحدة الأمة، أي أنه من غير المتوقع أن

---

[1]- **علي أومليل**، الإصلاحية العربية والدولة الوطنية- المركز الثقافي العربي- ط2، 2005، بيروت، لبنان، ص 104.
[2]- **علي أومليل**، المرجع نفسه، ص 105.

يفهم التسامح من طرف مثقفي هذه الفترة التاريخية الحرجة التي كان يعانيها المجتمع العربي الإسلامي بصفة خاصة. [1] فالتسامح كاعتراف بالاختلاف في مجتمع مهدد من الخارج لا يعني سوى الخلاف والتشتت والتمزق وضرب وحدة الأمة، وبالتالي فإن الموقف السائد في ظرفية الضغط الاستعماري هو الرفض لهذه السلوكات التسامحية بمعناها الليبرالي الحديث والتي لا تمت بصلة إلى الواقع الحقيقي الحرج التي تعيشه المجتمعات الإسلامية وهي تعيش تحت الضغط مسلوبة الحرية والإرادة إذ كيف نتحدث عن التسامح في ظل انعدام الحق والضغط في تحقيق الواجب؟[2].

خاصة في إلزامية احترام النظام وعدم الخروج عن الأخلاق العامة التي تفرض تقبل الاختلاف، ولم يكن ذلك كما أكد علي أومليل راجعا فقط إلى عدم فهم مفكري هذه الحقبة للأفكار الأوروبية الحديثة، ولكن لأن هذا الفكر كأي فكر أخر له إشكاليته الخاصة فلا بد أن يصدر عن تأويل لما يتداوله من أفكار إسلامية كانت أم غربية، قصد إلى ذلك أم لم يقصد، فالتأويل إذا قائم بحكم إشكالية حددتها ظرفية العالم الإسلامي الحديث منذ وقوعه تحت إلزامية مراعاة المبادئ الإسلامية وعدم الخروج عنها [3] الأمر الذي استوجب على دعاة الحركة الإصلاحية أن يقوموا بصياغة أفكارهم وفق الظرفية المعاشة التي أصبحت أمرا محتوما لا بد من مراعاته والعمل وفق متطلباته، أي ليس في استطاعة رجل الإصلاح المسلم أن يجتهد في ظل أجواء غير ملائمة ولا مناسبة للتأويل الذي يريده، وهكذا يتبين أثر الظرفية التاريخية التي عاشها الفكر الإصلاحي العربي الحديث، واضطراره إلى تأويل الأفكار الغربية التي وصلته والذي أصبح ملزما بانتهاجها وسلوكها، أي لا بد من التعامل مع الظرف، لكن الأمر يختلف إذا ما رجعنا إلى التجربة الخاصة بالقدماء أي الأسلاف من قبلهم سواء المتكلمين أو الفقهاء، وأصحاب الرحلات وكتاب الملل والنحل والفرق ممن خاضوا مناظرات مع مخالفيهم في الرأي كالمعتزلة والأشاعرة أو من احتكوا بمجتمعات وثقافات ومعتقدات مختلفة عن مجتمعهم وثقافاتهم

---

[1]- **علي أومليل**، شرعية الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط2، 2005، الدار البيضاء، المغرب، ص 102.
[2]- المرجع نفسه، ص 109.
[3]- المرجع نفسه، ص 111.

ودينهم كالبيروني (973–1048م) هذا ما جعل **علي أومليل** يبدي اهتماما في مؤلفة "شرعية الإختلاف" بما كتبه هؤلاء القدماء خاصة في المواضيع المتعلقة بالعقائد والمذاهب خاصة إذا كانت الرغبة في ذلك إيجاد الآليات المناسبة للتعامل مع المفاهيم المستحدثة كمفهوم التسامح والحرية وغيرها من المصطلحات الغربية، والتي أصبحت تفرض نفسها على المجتمعات التراثية.[1]

التراث وتجربة التسامح: توصل العديد من المهتمين بالتراث على شاكلة **محمد عابد الجابري وحسن حنفي** وغيرهم كثيرون على أن التراث العربي الإسلامي في الماضي لم يعرف تجربة التسامح ولم يرض به كما أكد ذلك **علي أومليل** في العديد من أعماله ، فالحقيقة عند القدماء واحدة يمتلكها طرف واحد، وهذا معنى حديثهم عن الفرقة الناجية، بالرغم من أن حق الاختلاف مسألة أشار إليها التنزيل الكريم وحفلت الأدبيات الإسلامية ببيان أبعادها.[2]

قال الله تعالى:" **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** " (المائدة 48).و في هذا نجد أن الأصولي يرفض التسامح لأنه يمس بالدين و يؤدي إلى التغريب[3].

لكن هذا الجانب الذي يبدو سلبي في نظر **علي أومليل** لم يمنعه أن يصرح بأن هناك حالات وإن كانت قليلة أنتجت مناظرات أغنت الفكر الإسلامي كفرقة المعتزلة التي أرادت من خلال موقفها مسايرة الواقع من خلال تأويلاتها إلى جانب أفكار عربية وإسلامية كثيرة أدركت أن الواقع يتطلب المسايرة وذلك من خلال التفاهم مع كل ما حدث ويحدث خاصة إذا تعلق الأمر بالقضايا التي يتم عن طريقها التواصل والاتصال وتبادل المنافع وذلك في شتى مجالات الحياة.

---

[1]– **علي أومليل**، في شرعية الاختلاف، المرجع السابق، ص 112.

[2]– المرجع نفسه، ص 113.

[3]– **اومليل علي**، سؤال الثقافة (الثقافة العربية في عالم متحرك) المركز الثقافي : الدار البيضاء ط 1 2005 ص123 المغرب.

عليه نقول إذا كانت فكرة **علي أومليل** تقوم أساسا على ضرورة الاعتراف بأن هناك مبادئ وقيما فكرية وحقوقية جديدة لم يسبق لها نظير عند الأسلاف، كقيمة التسامح مثلا، ومبدأ الحرية ومفهوم حقوق الإنسان بما هو إنسان، فلأن تفكير الأسلاف والفقهاء من منظور **علي أومليل** اتجه أولا إلى حقوق الله.

وكون هذه الحقوق هي حقوق الإنسان هو تصور حديث وليد حركة الإصلاح الديني الأوروبي[1] لكننا نجد لدى أومليل موقفه الخاص حين يصرح أن عدم معرفة الأسلاف في الماضي البعيد والقريب بمفاهيم الحداثة والحرية والتسامح والديمقراطية وحقوق الإنسان، لا يمنع من تأصيلها ثقافيا في تراثنا إذ بهذا الرأي يعلن ضمنيا عدم اعتراضه على ما يقوم به الآخرون في تعاملهم مع التراث[2]، ومن هذا المنظور وضمن هذا الاتجاه التأصيلي لا يمكن لصوت **ابن رشد** إلا أن يكون صوتا تسامحيا وإن لم يكن قد استعمل التسامح بلفظه لأنه صوت الحكمة والفلسفة والعقل، والفلسفة لا يمكنها إلا أن تكون مجالا للتسامح والاجتهاد والإختلاف، وإذا إنحرفت عن هذا المبدأ تتحول إلى وثوقية **(dogmatisme)** تقود حتما إلى اللاتسامح **(l'intolérance)** وإلى التعصب **(le fanatisme)** وهذه الروح التسامحية نجدها حاضرة في التجربة الفلسفية العربية الإسلامية بدءا من الكندي واستمرارا مع ابن رشد[3] .الذي كان حريصا على بيداغوجيا التسامح في مؤلفاته حيث كان يؤكد على ضرورة إحترام أراء وأفكار من تقدمنا سواء كان دلك الغير مشاركا لنا أو غير مشارك في الملة والذي كان حريصا على بيداغوجية التسامح في مؤلفاته حيث كان يؤكد على ضرورة احترام آراء وأفكار من تقدمنا، إشارة إلى اليونان سواء كان ذلك الغير مشاركا لنا أو غير مشارك في الملّة، وينبغي أن نضرب بأيدينا في كتبهم فننظر فيما تعرضوا له، فإن كان كله صواب قبلناه منهم وإن كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه، أي ما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وما كان غير ذلك نبهنا عليه وحذرنا منه.[4] هذه الأقوال تتضمن دعوة التسامح وذلك باحترام ثقافة الآخر والقبول ضمنيا

---

[1]– المرجع نفسه، ص 96.

[2]– **علي أومليل**، في شرعية الاختلاف، المرجع السابق، ص 93.

[3]– المرجع السابق، ص 102.

[4]- **علي أمليل**، المرجع نفسه، ص103.

باختلاف الثقافات وتنوعها وضرورة التعايش والحوار فيما بينها، أي ما يسمى بثقافة السلم. هذه الروح نجدها أيضا عند الصوفي صاحب الفتوحات المكية محي الدين بن العربي (1164–1240م) الذي نلمس لديه نزعة التسامح الديني حين يقول في أحد قصائده الشعرية تناوحت الأرواح:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

فتناوله لهذه الأفكار دلالة على اعتبار الآخر وحب مؤلفاته أو فضولية الإطلاع عليها واحترامها وذلك يرجع في الأصل إلى واقع المجتمع الإسلامي في الأندلس وحاجته إلى التسامح والتعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين يومها، أي أن التسامح وقبول الآخر أمرا ضروريا يجب التفكير فيه باعتباره حاجة ماسة يتطلبها المجتمع.[1]

الأمر الذي يتنافى مع ما حدث للعرب المسلمين في عهد تأخرهم خاصة عندما اكتسحتهم الدولة الاسبانية المسيحية.

التسامح وشرعية الاختلاف: تعتبر مسألة الاختلاف من أخطر المسائل التي واجهت وتواجه العقل الإسلامي، ولو أن الاختلاف هو شأن الخلق والطبيعة، فقد كان الخلاف ميزة المجتمع العربي في الجاهلية كما في الإسلام، إذ بمجرد ما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم حتى دب الخلاف بين الصحابة ،هذا الإنشقاق الذي انعكس سلبا على ممارسات العقل الإسلامي المعاصر.[2]

فإن الإختلاف الذي مهدنا للحديث عنه يتعلق بتصوره للإختلاف من وجهة نظر المسلم تجاه أقليات غير مسلمة تعيش في مجتمعه وتحت دولته الإسلامية، لكن الوضع يختلف تماما حينما تصبح جماعة مغلوبة على أمرها، تعيش كأقلية في مجتمع أجنبي وتحت سلطة استبدادية غير إسلامية، حقيقة إنها وضعية مختلفة تماما عن تلك التي اعتاد عليها المسلم خاصة عندما نفكر في الإختلاف، وأي اختلاف؟ بالقياس لما يعتبر أنه وضعه الطبيعي أي أن يكون الآخرون هم "أهل ذمته" لا أن يكون هو في ذمة الغير، ففي هذه الحالة كيف

[1]– **أمليل علي**، في شرعية الاختلاف، المرجع السابق، ص104.

[2]– **الشهر ستاني**، الملل والنحل، تحقيق محمد الكلاني ج1 شركة مطبعة مصطفى، مصر، 1961،ص13.

يكون تصوره للإختلاف؟ وللإجابة على هذا الاستفهام لا بد من عرض الحالة الحقيقية للموريسكيين، أي أولئك العرب المسلمين الذين أدركهم اكتساح الدولة الإسبانية المسيحية ، إذ في بداية الاجتياح سمحت لهم بالمحافظة على دينهم ولغتهم وتقاليدهم وعقائدهم، لكن سرعان ما أرغموا على اعتناق المسيحية [1] وغيرت أحوالهم وأصبحوا يصارعون الفناء والانقراض، الأمر الذي جعلهم يرجعون إلى الماضي قصد التزود وحفز واستنهاض الهمم والإبقاء على الأمل والتماس القدوة، إلا أن مثقفيهم كما أشار إلى ذلك علي أومليل لم يكونوا يجدون دائما في هذا الماضي ما ينفعهم، إذ ليس فيه ما يشابه وضعيتهم التي لم يعرف مثلها الأسلاف[2] كما ذهب المورسكيون ونقصد بذلك المسلمين الذين سكنوا الأندلس إلى أن يساجلوا الأخر المغتصب والناقد للمعاهدات والأحلاف سجا لا ثقافيا أساسه الدين، ويرجعون في تعاملاتهم دائما إلى مناظرات المسلمين القديمة مع الذميين القدماء أو بالأحرى أهل الكتاب، لكن الوضع يختلف فأسلافهم الذين كانوا يجادلون أهل الكتاب أو أصحاب الملل الأخرى كانوا يفعلون ذلك وهم في ديارهم وتحت إدارة سلطتهم وحكمهم، هذا الحكم الذي لولى ليونته ما كان ليصل إلى ما وصلت إليه البلاد الإسلامية التي كان لها السبق في التعايش مع الأخر، ذلك الذي سمي بالذمي الذي عاش تحت ذمة المسلمين، أما اليوم فانقلب الوضع وأصبح المسلم هو الذمي، بما يحمله هذا الوصف من مفارقة، مقارنة بما تميز به المسلم في تعامله مع من كان تحت ذمته هذه الحالة تجعلنا نطرح السؤال على أنفسنا، هل نحن كنا متسامحين وغير مبالين، أم ذلك كان من شمة المسلم في التعامل مع الآخر؟.

الاختلاف والخلاف في نظر علي أومليل : لنتبين مفهوم الاختلاف لا بد من استعادة دلالة الاختلاف على الخلاف فهما حدان لا يتولد الواحد منهما عن الأخر ضرورة.

فإذا كان الخلاف يحصل بين الجهلاء والمقلدين فإن الاختلاف على نقيضه يحصل بين العقلاء والمجتهدين [3] أما الخلاف فهو حال تدافع تؤدي إلى نوع من التنازع معنويا كان

---

[1]– **أمليل علي**، في شرعية الاختلاف، المرجع السابق، ص 12.

[2]– **أومليل علي**، المرجع نفسه، ص 13.

[3]– **طه عبد الرحمن**، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2002، ص 35.

أو ماديا، ويدل على نوع من الانقلابية بين الأشخاص أو بين الثقافات أو بين الحضارات في السياق المادي، والخلاف حال اجتماعية لا علاقة لها بالثقافة [1] مادام أن التسامح يعني قبول الاختلاف حسب **علي أومليل**، ما عدا في مجتمع مهدد من الخارج أي غير آمن، آنذاك يعني الاختلاف في نظر أهل هذا المجتمع تشتتهم، مما يجعلهم يمنحون الأسبقية لكل ما من شأنه أن يحفظ وحدتهم واستقرارهم، هكذا تعطى لقيم التلاحم بين الأفراد والطوائف والطبقات المكانة الأولى أو يحارب كل ما يمكن اعتباره عنصر اختلاف، فالظاهرة لا تتجلى فقط عندما تكون الأمة في حالة حصار، بل أيضا في فترة تشكلها، ولنضرب مثلا بشكل الأمة الإسلامية نفسها ولا نعني بذلك محتواها الاجتماعي أو السياسي ولا حتى التاريخي مما يمكن أن يكون موضوعا للنقاش وإنما نقصد الأمة كمفهوم يوحد على مستوى الايديولوجيا مجموع المسلمين، [2] فنشأة الأمة بهذا النمط قد اقترن برفض كل ما يأتي من الغير أو يقام وفق مبدأ التعددية وقبول اختلاف الرأي، أي أن نشأة الأمة يرتكز دائما على مبدأ الدعوة إلى وحدة الجماعة لا تفرقها أو تشتتها، وقد تحدثت الآيات في أكثر من موضع عن الاختلاف بوصفه مسألة ومشكلة ، وأشارت أيضا في أكثر من موضع في النص إلى دلالة الاختلاف في الأشياء والكائنات اختلاف السموات والأرض، والليل والنهار والموت والحياة والذكر والأنثى واختلاف الألسنة والألوان واختلاف الشعوب والأجناس والقبائل واختلاف الآراء والأقوال والأمم والملل، حيث يقرر القرآن هذا الاختلاف في قوله تعالى:" **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** "[3] ولتعميق هذا الفهم يذكر القرآن في مناسبة أخرى" **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** " [4] وفي ذلك يرى **علي أومليل** أن التراث العربي الإسلامي في الماضي لم يعرف تجربة التسامح والاختلاف والقبول بالرأي الأخر

---

[1] – **محمد بن جدية** ، جدل الدين والسياسة بين الر ؤيتين الوضعية والمعيارية، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن ،ط1، 2013، ص45.

[2] – **أومليل علي**، الاصلاحية العربية والدولة الوطنية، المنظر الثقافي العربي، ط 2،2005، الدار البيضاء، المغرب، ص 108.

[3] – سورة هود، الآية 118.

[4] – سورة المائدة، الآية 48.

من دون أن ينكر أن هناك حالات قليلة طبعها الانقطاع، وأنتجت مناظرات أغنت الفكر العربي، بمعنى أن عدم معرفة الأسلاف في الماضي البعيد والقريب مفهوم التسامح وحقوق الإنسان لا يمنع من تأصيلها ثقافيا وفكريا في تراثنا العربي الإسلامي كما أشرنا إلى ذلك سابقا، كما يدعو **علي أومليل** إلى شرعية الحق في الاختلاف كحق إنساني أساسي لتعددية تعكس تعدد مكونات المجتمع المدني وتنوع مصالحه وتدار بنظام فيه المواطنة هي القاسم المشترك بينها، وهي دعوة تحتاج كما يقول إلى استعداد ذهني لقبول الأخر و إعادة بناء العقول المستبدة التي تدعي احتكار المعرفة والحقيقة المطلقة وبالتالي السلطة المطلقة، وهي ترى في الاختلاف خلافا وفي التعدد فتنة. [1] صحيح أنه قد أصبح من المسلم به أن الحفاظ على الأمة يستلزم وجود سلطة مركزية، إلا أن هذه الازدواجية كانت أيضا مصدر تناقض المسلمين كلما وجدوا أنفسهم موزعين بين حرصهم على وحدة الأمة وبين طاعتهم للسلطة السياسية، وعودة **علي أومليل** باستمرار إلى التراث حتى يتمكن من مساءلة المفكرين القدامى من الأخر المختلف هذه المساءلة التي تتم من خلال موقفين أساسيين، موقف المتفوق الذي لا يدرك أنه مهدد في وجوده أو هويته من لدن الأخر، وموقف الذي انقلبت حاله وأصبح في موقع المناور والمدافع الذي يسعى إلى الحفاظ على وجوده أو هويته من لدن الأخر [2] والاختلاف في مستواه الثاني فنموذجه هو الموريسكيون الذين وجدوا أنفسهم أمام أخر مختلف في موقع قوة فأصبحوا في وضعية معكوسة أطلق عليها عبارة المسلمين الذميين وأي ذميين؟ ليسوا أولئك الذين كانوا في ذمة الحكم الإسلامي ينعمون بالحرية ويتمتعون بالحقوق ولهم من المزايا ما يتجاوزون فيه أحيانا المسلم[3] وأمام هذه الوضعية المستحيلة فليس هناك سوى موقفين "الجهاد" أو الهجرة من الأوطان، أما قبول "الساكنة" بين المسلمين والكفار، فلا تقبل إلا إذا كان هؤلاء هم الذميين، أما العكس أي مساكنة الكفار من غير أهل الذمة لا تجوز ولا تباح، أي ليست واردة، فقبول المسلم البقاء تحت حكم أجنبي هو قلب انقلاب تلك السلاسل والأغلال في عنقه، فبهذا يكون قد حاد عن أوامر الله، ونظرا لأن وضعية الموريسكين جديدة، فإنهم لم

[1]- **أمليل علي**، في شرعية الاختلاف، المرجع السابق، ص 24.
[2]- **أمليل علي**، المرجع السابق، ص 28.
[3]- **أمليل علي**، المرجع السابق، ص 90.

يجدوا في تراث الأسلاف الذين ناظروا في الإختلاف الديني ما يفيدهم، ولو أنهم أحيانا حاولوا الرجوع إلى كتاباتهم، الأمر الذي أصبحوا فيه مرغمين على إيجاد الحلول للخروج من وضعيتهم الحرجة هذه.[1]

هذا الذي أرغمهم على ابتكار وسائل للدفاع، وذلك لإنقاذ الذات الثقافية والحضارية التي تميزت في عهد سلطتهم باحترام الآخر وتقبل الإختلاف التي فقدته، وها هي تبحث عن مخرج لإثباث هويتها وصيانة أمنها وسلامها، لكن وبالرغم من المحاولات والإجتهادات لم يتمكن **الموريسكي** المسلم أن يقوى على الضغط المسلط عليه فأرغم على الخروج من الديار، هذه الأمثلة الحية المستقاة من الواقع الإسلامي تعّبر بوضوح عن حقيقة الإختلاف والتسامح الذي يتحدث عنه الأوروبي المستمر في استبداده وطغيانه وتعاملاته اللاإنسانية مُوهما الأخر أنه صاحب رسالة إنسانية نموذجها **لوك، وفولتير ، ومارتن لوثر** وغيرهم كثيرون.من هنا تنطلق إشكالية الفكر الإصلاحي الإسلامي الحديث، مما يجعله يختلف عن كل فكر إصلاحي عرفه المسلمون في السابق، وبناءا على هذه الإشكالية كان على الفكر الإصلاحي الإسلامي الحديث أن يقوم بتأويل الأفكار الغربية التي صادفته، وذلك ليكون فاعلا لا منفعلا، أي لا بد من اعتبار ظرفية الضغط الاستعماري بُعدا أساسيا في التعامل مع الواقع المعاش[2].

لأن المسالة الأساسية فيما يخص هذا الفكر لا ينبغي حصرها في عدم فهمه الدقيق للأفكار التي إقتبسها ووظفها في دعواه. فإذا سلمنا أن هذا هو المشكل، فسيكون حتما الحل هو إرجاع هذه الأفكار الموظفة من قبل مفكري العالم الإسلامي إلى أصولها الغربية، لمعرفة مدى الأمانة للأصل، وسنقع فيما نبهنا إليه من إتخاذ مصدر خارجي مطلق للمعنى يقول **علي أومليل**[3]، يقابله خطأ أخر وقع فيه هؤلاء المفكرون المسلمون دون وعي منهم وإيهام أنفسهم برجوعهم إلى التراث للتأكيد على الأصل المطلق لأفكارهم، التي روجوا لها، هذا دون مراعاة حسن تأويل النصوص التي كثيرا ما تم إقتباسها دون أدنى وعي ممن تعاملوا

[1]– **أمليل علي**، المرجع السابق، ص 91.
[2]– **أومليل علي**، الاصلاحية العربية والدولة الوطنية، المرجع السابق، ص112.
[3]- **أومليل علي**،الإصلاحية العربي و الدولة الوطنية ، المرجع نفسه ص113

ممن تعاملوا معها، إذ نجد ما يهم هؤلاء هو فقط الظهور بزي المنتصر القادر على مجارات الواقع فالتأويل هنا يقول **أوملیل** قائم على ظرفية العالم الإسلامي التي فرضت عليه ظروف الضغط الإستعماري أن يعمل على إيجاد الحلول التي تمكنه من مجارات الأحداث، الذي أصبح مرغما على التعامل معها، وذلك بصورة المنفعل لا المتفاعل[1]. وفي ذلك يرى **علي أوملیل** أن مسألة الإقرار بالإختلاف قد ترسخت في اوساط المجمعات العربية والإسلامية منذ عهد الصحابة، وهذا ما يؤكده إبن خلدون الذي يبرر ظهوره بكون النص مهما إعتبر مقدسا فقد حملته لغة، أي أنه قابل لتعدد المعنى، وبالتالي فالإختلاف يصبح ضرورة لا مناص منها.

والدفاع عن حق الإختلاف هو الشرط الأولي لتأسيس تقاليد الحوار، ولقيام المشروع المبني على الوفاق العام بين أطراف متعددة مع ضمان حرية الرأي. إن مبدأ الحق في الإختلاف عند **علي اوملیل** هو أساس الخطاب العام والذي تتحدد مطالبه في التعددية والديمقراطية وحقوق الإنسان والتسامح، والذي هو أساس التعددية التي لا تعني التجزئة أو العودة إلى الطائفية المتعصبة أو القبلية، بل هي نظام لمجتمع مدني متعدد العناصر والأفكار والمصالح.[2]

كما أن القول بالإختلاف والتعددية عند **علي اوملیل*** يختلف عما يطرحه أعلام الإختلاف وهم كثيرون في الفكر الغربي، خاصة الفرنسي منه أمثال **فوكو ودريدا** وغيرهم، فالتعددية عنده ليست غاية في حد ذاتها، وليس معناها أطراف منعزلة الواحد منها رافضا للأخر بل لابد أن تتجاوز الأطراف لتصل إلى تحقيق الأهداف الإنسانية المرجوة أي ما يهمنا هو الإختلاف الذي يحترم فيه الأخر ويسود فيه التعايش والتسامح بين أفراد المجتمع الواحد وبينه وبين المجتمعات الإنسانية .

---

[1]- **أوملیل علي**، الإصلاحية العربية والدولة الوطنية ، المرجع السابقة ص212.

[2]- **أملیل علي**، في شرعية الإختلاف مرجع سابق ص10.

*- قسم علي أومليل التسامح إلى مرحلتين: الأولى التسانح الديني وهو ما يعني به الأديان والمذاهب، والثانية التسامح الثقافي الذي يشمل الأديان والثقافات والأقليات واللغات وغيرها، ويرى أومليل بأن شرط التسامح هو نزع سلاح الطوائف والمذاهب وفصل الدولة عن الدين.وأن لا يكون للدولة دين أو مذهب تفرضه بعنف السلاح أو بعنف القانون.

لا أظن أن هناك مجتمعا بدون إختلاف أو معارضة أو إنقسام في الرأي، بل أستطيع القول أن مجتمعا بدون إختلاف أو تمايز هو مجتمع من صنع الخيال فالإختلاف هو من طبيعة الأشياء والبشر، فلا يوجد حاكم أو مصلح أو مفكر، إلا ووجد من يخالفه. هكذا فإن الإختلاف هو من صلب حياة البشر مثلما يختلف الليل والنهار والحق والباطل.

وإذا كان التمايز والإختلاف سمة ضرورية فلأنه من طبيعة الأشياء ،لكن الإفراط فيه يقود إلى الإنغلاق و التعصب والإبتعاد عن الأصل واللاتسامح بدل التسامح.

عليه نجد أن إفراطنا في الحديث عن الإختلاف و الخلاف في فكر علي أومليل ،تستدعيه نظرته إلى الحديث عن التسامح الذي عرفه بقبول الإختلاف في مؤلفه الشهير **الإصلاحية العربية والدولة الوطنية** و الذي يعني به إحتمال الأخر المختلف .كما ،أن التسامح مرهون تعريفا بالمخافة أو المغايرة وعدم التطابق، إذ في ذلك يقول: لو كانت الأمور كلها تستدعي التماثل لما كانت هناك حاجة للتسامح أصلا، وهذا يعني أن المرء يتسامح أو يتساهل أساسا مع خصومه أو من يخالفونه الملة والعقيدة ومع من يختلفون معه في الرأي .هذا بالرغم من أننا أدركنا من خلال قراءتنا لأعمال علي أومليل ،وجدنا انه لم يكن يقصد من مفهوم التسامح القيام بتحليل مفاهيم ي معين بل محاولة التذكير بظرفية تاريخية تشكل فيها هذا المفهوم و يقصد في ذلك الظرفية الأوربية حتى يتضح كيف إستمد مدلولاته الأصلية منها، وأنه خارج هذه الظرفية يصبح هذا المفهوم غير إجرائي[1] .

لكن بالرغم من ذلك إهتم الفكر الإصلاحي الإسلامي الحديث بقضية التسامح كما اشار إلى ذلك علي أومليل لكن من منطلق مختلف معتمدين في ذلك على ما قدمه الأسلاف، هذا بالرغم من أن التراث العربي الإسلامي في الماضي لم يعرف تجربة التسامح ولم يرضى بها.

[1]- أومليل علي ،الإصلاحية العربية والدولة الوطنية ،مرجع سابق ص104.

الفصل الرابع

إشكالية تأصيل مفهوم التسامح في التراث

المبحث الأول: مفهوم التراث

أولا: مفهوم التراث

ثانيا: مفهوم التراث في الإسلامي

ثالثا: قيمة التراث في الإسلام

المبحث الثاني: تأصيل مفهوم التسامح في التراث الإسلامي.

أولا:التأصيل لغة

ثانيا :موقف الإسلام من التسامح

ثانيا:تجليات التسامح في التراث

المبحث الأول: مفهوم التراث

أولا: مفهوم التراث

أ – مفهوم التراث لغة

ب –المفهوم الاصطلاحي للتراث

ثانيا: مفهوم التراث في الإسلامي

ثالثا: قيمة التراث في الإسلام

المبحث الأول: مفهوم التراث في الفكر العربي الإسلامي:

توطئة:

الباحث في التراث العربي الإسلامي تصادفه العديد من الرؤى التي تختلف وتتباين حول مفهوم التراث، وقد برز الكثير من المفكرين والباحثين والدارسين الذين اهتموا وما زالوا يهتمون بالتراث لما يحمله من قيم ودلالات معبرة، أمثال محمد عمارة، محمد عابد الجابري، محمد أركون، زكي الميلاد، الطيب التزيني، حسن حنفي، عبد الله العروي، حسين مروة والقائمة طويلة.

وفي هذا يرى عبد الله العروي صاحب التوجه التاريخاني، أن ثمة نوعين من المثقفين، مثقف سلفي ينظر نظرة تقليدية للتراث ومثقف انتقائي يختار منه ما يعجبه ويليق بذوقه الفكري، ويميز أركون بين التراث بتحديده الكبير (tradition) والتراث بتحديده الصغير، فالأول هو تراث إلهي لا يمكن للبشر أن يغيروا فيه شيئا، إنه تعبير عن الحقيقة الأبدية المطلقة[1] أما التراث بمعناه الثاني فإن أركون يعطيه تقريبا المعنى الذي يعطيه له إيفا كونغار Ives Congar يقول هذا الأخير: ينقل لنا التراث أكثر من مجرد الأفكار القابلة للتشكل المنطقي، وإنه يجسد حياة كاملة تشمل الفكر والعواطف والعقائد والمطامح والممارسات والأعمال، كما يمكن الطاقة الفردية والجماعية أن تنهل من معينه دون أن تستنفذه[2] وبما أن التراث هو مبدأ الوحدة والاستمرارية والخصوبة فإنه يشكل في آن معا تكوينية ويستمر في البقاء بعد كل تحليل نقدي[3].

وللتراث العربي الإسلامي مواقف حضارية رائعة، وصفحات مشرقة ناصعة البياض تكشف عن مستوى رفيع من التفكير واستيعاب العقيدة والشرع، لا تشوبه عقد ولا حسابات، يضع مصلحة المجتمع في المقام الأول بكل ما يترتب على إرساء هذه القيمة من رسوخ للعدل، وعمارة للأرض، وسمو في الفكر، مما لا نجد له مثيلا في العصور

[1]- **خليفي عبد المجيد**، "قراءة النص الديني عند محمد أركون" منتدى المعارف، ط1، 2010، بيروت لبنان، ص 34.
[2]- **أركون محمد** ، الإسلام أوروبا الغرب"رهانات المعنى وإرادات الهيمنة" تر: هاشم صالح، دار الساقي، 1995، بيروت، ص 217.
[3]- **خليفي عبد المجيد**، المرجع السابق، ص 35.

الوسطى اللاتينية، عصور التعصب الأعمى الذي لا يفرق بين ما هو خير أسمى وما هو شر أعمى بل عصر فضل سلوك الحقد الديني البشع الذميم.[1]

هذا العدل الذي ظهر بوضوح في توزيع المناصب التي أصبحت تعطي للمستحق الكفء دون اعتبار لعقيدته أو ملته، وبرؤية مخلصة صافية لمقتضيات المصلحة الاجتماعية التي تأتي أولا، فقد ظل الأطباء المسيحيون في العهدين الأموي والعباسي في رعاية الخلفاء والأمراء وكان لهم حق الإشراف على مدارس الطب ببغداد ودمشق قرونا طويلة [2]، وهكذا فإن **ابن أثال** الطبيب النصراني كان طبيب معاوية كما كان سرجون كاتبه، ومن الأطباء المشهورين الذين بالمكانة والإحترام عند الخلفاء جورجيس بن بختشوع وكان مقربا من المنصورأي أشيرا عنده، وكان لجورجيس زوجة عجوز، فأرسل إليه المنصور ثلاث جوار حسان، فرفض قبولهن قائلا: إن ديني يحرم عليّ الزواج مادامت إمرأتي على قيد الحياة في عصمتي، فأعجب به المنصور وزاد في كرامته إلى جانب ذلك كانت للخلفاء حلقات علمية وهي فرصة طيبة للجميع على اختلاف مللهم ونحلهم وفي هذا كان المأمون يناشد أصحاب الديانات والمذاهب في قصره أن يبحثوا ما يشاؤون دون أن يستبدل كل واحد منهم كتابه الديني أي ملته، كيلا تثور الفتنة بينهم، فالبحث والنقاش الهادئ يقربان من الحقيقة بدقة ما يبعدان التشاطن والحزازات والنعرات [3].هكذا كان الإسلام في معاملاته مع ذوي العلم بإعتبارهم في نظر الإسلام من صفوة المجتمع .

ولم تقتصر هذه الحلقات العلمية على قصور الخلفاء بل تعدتها إلى المستوى الشعبي (الغير الرسمي)هذه الحلقات التي جمعت علماء لملل مختلفة، فكانوا يجتمعون فيتناشدون الأشعار ويتبادلون الأخبار، ويتحدثون في جو من الود لا تكاد تعرف منهم أن بينهم كل هذه الفروق الدينية والمذهبية.[4]

---

[1]- **مرحبا عبد الرحمن** –أصالة الفكر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2،1983، ص9.

[2]–المرجع نفسه، ص 10.

[3]- المرجع السابق، ص 11.

[4]- **مرحبا عبد الرحمن** –أصالة الفكر العربي، المرجع نفسه، ص11.

إن التعامل مع التراث باعتباره حصيلة ما أبدعه المسلمون من علوم وفنون، وما خلفوه من مآثر تاريخية وعمرانية، وما لا يزالوا يمارسونه من فنون وصناعات، يشكل بدوره مصدرا للثقافة الإسلامية، بل إن معظمه يعتبر جزءا هاما من التراث البشري الذي لا يمكن إغفاله أو التنكر له، ومعلوم أن هذا التراث الإسلامي ينبني أساسا على روح الإسلام ومقاصده. لذا نجده مطبوعا بالطابع الإسلامي الذي يجعله في غالب الأحيان لا يختلف مع العقيدة ومقومات الدين.

كما أنه لا يمكن فهم ظاهرة التراث الإسلامي المعاصر إذا لم ننتبه إلى إنغراسه في التاريخ،ــ وأنه ليس وليد عوامل ظرفية آنية بل هو ظاهرة معقدة، تستخدم معجما دينيا منتقى بعناية [1] والتراث الإسلامي مصطلح شامل يتسع لكل ماله علاقة بالإسلام من نصوص القرآن والسنة النبوية، وإجتهادات العلماء السابقين في فهم هذه النصوص وتطبيقها على الواقع، والمراد بالتراث هو الموروث الديني والفكري والعملي والثقافي والحضاري، الذي يمثل مخزون ذاكرة الأمة الإسلامية عبر تاريخها الحضاري، ومصدر هويتها المميزة لها عن غيرها من الأمم والحضارات، سواء منه ذلك الذي أبدعته أمتنا في ظلال الإسلام، أو الذي ورثه المسلمون عن الحضارات السابقة والتراث كذلك هو الإرث الفكري والثقافي الذي وصل إلينا على مر العصور، ومازال داخل الحضارة السائدة، فهو موروث، وفي نفس الوقت حاضر على عديد من المستويات، وقد وردت هذه الكلمة مرة واحدة فقط في القرآن الكريم بمعنى الميراث الديني والثقافي في دعاء زكريا عليه السلام "**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ** "[2] والتراث من أهم عوامل بعث الأمم والشعوب فلا يمكن لأمة من الأمم أن تتنسم ذرى الحضارة والمدنية إلا إذا كانت لها جزورها العميقة وتراثها المجيد، وعن طريق التراث نستطيع أن نكتشف القيم الموجهة للسلوك الأخلاقي، لأن التراث هو الهوية الثقافية للأمة، والتراث الإسلامي تعبير صادق عن أثر التوجيه الإسلامي لنهضة الفكر والحضارة الإنسانية بصفة عامة.

---

[1]- **محمد أركون**، قضايا في نقد العقل الديني "كيف نفهم الإسلام اليوم" تر: هاشم صالح مركز الإنماء القومي، 1987، بيروت،72.

[2]- **سورة مريم**، الآية 6.

مفهوم التراث: التراث في أبسط تعريف له هو السجل الكامل للنشاط الإنساني في مجتمع ما على مدى زمني طويل، بكلام آخر حفظ مجمل المناشط الإنسانية في الذاكرة الجماعية لشعب من الشعوب بحيث تعكس نفسها في حاضر الأمة تفكيراً، وسلوكاً، وهذا السجل التراثي قد يكون قصيدة شعرية، أو وثيقة تاريخية، أو إبداعاً أدبياً، أو اختراعاً علمياً، أو مؤلفاً ثقافياً، أو لوحة تشكيلية، أو نحتاً فنياً، أو شكلاً معمارياً، أو أقصوصة أسطورية، أو مثالاً شعبياً، أو احتفالاً شعبياً، أو تقليداً عائلياً، أو عرفاً اجتماعياً..باختصار أن التراث هو تراكم تاريخي طويل متعدد المشارب (ثقافي، أدبي، اقتصادي، اجتماعي، سياسي، معماري...الخ)، وهذا السجل بكامل حمولته يشكل هوية كل مجتمع وخصوصيته التي تميّزه المجتمعات[1].

التراث الإسلامي: مصطلح شامل يتسع لكل ما له علاقة بالإسلام من نصوص القرآن والسنة النبوية،واجتهادات العلماء السابقين في فهم هذه النصوص وتطبيقها على الواقع، وقد حصل خلاف حول ما إذا كان هذا التراث دينا مقدسا يجب الالتزام به، أو نصوصا واجتهادات مرتبطة بأزمانها وأماكنها الغابرة، تعامل على أنها تاريخ ينقل لنا تجربة بشرية قابلة للنقد والنقض والتعديل والتطوير بما يتناسب مع الزمان والمكان والظروف الخاصة بكل عصر.[2] وهو لا يقتصر بالضرورة على الإنتاج المعرفي في العلوم الشرعية وحدها كالتفسير والحديث والفقه ونحو ذلك، بل يتسع ليشمل كل ما خلّفه العلماء المسلمون عبر العصور من مؤلفات في مختلف فروع المعرفة، وبشتى اللغات، وفي كل بقعة من بقاع الأرض بلغتها دعوةُ الإسلام.[3] ويمكن تعريف التراث الإسلامي على أنه كل ما خلفه الأسلاف المسلمون من عقيدة دينية (القرآن والسنة) وعطاءات حضارية (مادية ومعنوية)

وقد أطلق الصحابى أبو هريرة كلمة الميراث على التراث العقائدى والثقافى عندما خاطب الصحابة " أنتم هنا وميراث محمد يوزع فى المسجد ..." فلما انطلقوا إلى المسجد اندهشوا إذ لم يجدوا سوى حلق الذكر **وتلاوة القرآن** فأوحى لهم أبو هريرة: إن هذا هو ميراث

[1]– الجابري محمد عابد، التراث و الحداثة ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت لبنان ط1 1991 ص21

[2]– الجابري محمد عابد ، المرجع نفسه ض22

[3]–الجابري محمد عابد التراث و مشكلة المنهج دار توبقال الدار البيضاء ،ط1 1986ص

محمد صلى الله عليه وسلم. وهكذا نخلص إلى أن التراث في لغة العرب بمعنى الميراث ويطلق على وراثة المال والعقيدة والدين والمجد والحسب.[1]

التراث في معناه العام يشمل كل ما خلقته لنا الأجيال السابقة في مختلف الميادين الفكرية والأثرية والمعمارية، وأثار ذلك في أخلاق الأمة وأنماط عيشها وسلوكها، فهو منجز تاريخي لإجتماع إنساني في المعرفة والقيم والتنظيم والصنع، وهو كل ما هو حاضر في وعينا الشامل، مما ينحدر إلينا من التجارب الماضية في المعرفة والقيم والنظم والمصنوعات.[2]

والتراث حسب **الجابري:** هو كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي سواء ماضينا أو ماضي غيرنا، سواء القريب منه أو البعيد [3] ولفظ التراث تضعه المعاجم تحت مادة (ورث)، ورث والوارث صفة من صفات الله تعالى ورثه مجده وماله، وورثه عنه ورثا، ورثه وميراث، والتراث: ما يخلفه الرجل لورثته[4] والتراث وإن تعددت تعاريفه فهو حسب الكثير من المفكرين مرادف للإرث والورث والميراث.

والتراث حسب حسن حنفي: هو مجموعة التفاسير التي يعطيها كل جيل بناء على متطلباته خاصة وأن الأصول التي صدر عنها التراث تسمح بهذا التعدد لأن الواقع هو أساسها الذي تكونت عليه.[5]

هذا ويختزل التراث يختزل التراث العربي في الدين والذي يقصد به القرآن والسنة والعلوم الدينية هي ما يشكل التراث،بالرغم من أن نظرة الأمم لقضية التراث تتغير وتتبدل حسب حركتها في إتجاهات التقدم ومواكبة العصر ،أي أن التراث في نظر هذه الشعوب متحرك لا ساكن كما هو الحال ادى الشعوب المستضعفة الباحثة عن التنقيب في التراثات الساكنة الغير متجددة .

---

[1]– **ابونادر نايلة:** التراث والمنهج بين أركون والجابري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1،2008، بيروت ص48

[2]–أبو نادر نايلة،التراث و المنهج بين أركون والجابري المرجع نفسه ص 52

[3]– **ابونادر نايلة:** التراث والمنهج بين أركون والجابري، ، ص 55.

[4]– **ابن منظور**، لسان العرب، مج 3، ص 907.

[5]– **سلام رفعت**، بحثا عن التراث العربي، دار الفارابي، ط1، 1989، بيروت لبنان،ص80.

6–الميلاد زكي ،من التراث إلى الإجتهاد ،المركز الثقافي العربي ط1 2004 الدار البيضاء المغرب ص245

مفهوم التراث لغة:

لفظ التراث في اللغة العربية من مادة (ورث) وتجعله المعاجم القديمة مرادفا لـــ "الإرث" و"الورث"و"الميراث" وقد فرق بعض اللغويين القدامى بين الورث" و"الميراث" على أساس أنهما خاصان بالمال وبين "الإرث" على أساس أنه خاص بالحسب. [1] ولعل لفظ "تراث" هو أقل هذه المصادر استعمالا وتداولا عند العرب الذين جمعت منهم اللغة، ويلتمس اللغويين تفسيرا لحرف "التاء" في لفظ "تراث" فيقولون إن أصله "واو" وعلى هذا يكون اللفظ في أصله الصرفي "وراث" ثم قلبت الواو تاء لثقل الضمة على الواو وكما جرى النجاة على القول والتعبير.[2]

وقد وردت كلمة "تراث" في القرآن مرة واحدة في سياق قوله تعالى:" **وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** "[3] فالتراث هنا هو المال الذي تركه الهالك وراءه، أما كلمة ميراث فقد وردت في القرآن مرتين في عبارة "**وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** "[4].

فالكلمة الشائعة عند الفقهاء وأهل اللغة هي كلمة "ميراث" ولم يعرفوا من قبل مصطلح "تراث" إذ لا نكاد نعثر له على أثر في خطابهم وكذلك بالنسبة إلى الحقل الفلسفي والأدبي وحتى في علم الكلام فالكلمة تكاد تكون منعدمة، وما كانت تدل إلا على الميراث المحصور في المال.

أما شؤون الفكر والثقافة فقد كانت غائبة تماما عن المجال المخطباتي أو الحقل الدلالي لكلمة"تراث" وما يرادفها والتراث ما يخلفه الرجل لورثته، وهو مرادف للإرث والورث ويطلق على ما يرثه الإنسان من مال وحسب، وقد فرق بعض اللغويين القدامى بين الورث والميراث على أنهما خاصين بالمال، وبين الإرث على أساس أنه خاص بالحسب، أما لفظ التراث فهو أقل المصادر من فعل "ورث" استعمالا وتداولا عند العرب.[5]

---

[1]- **الجابري محمد عابد** ، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،لبنان، ط1،1991، ص22.

[2]- المرجع نفسه، ص 22.

[3]- سورة **الفجر**، الآية 19.

[4]- سورة **آل عمران**، الآية 180.

[5]- **بوقربة عبد المجيد**، الحداثة والتراث، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1993، ص 26.

ونلاحظ أن التعريفات السابقة لكلمة تراث لم تهتدي إلى التعريف الذي نبحث عليه والدال على المعنى الحقيقي للتراث الذي يعبر عن الموروث الثقافي والاجتماعي والفكري، حتى أن المفكرين المسلمين القدامى، كانوا إذا أرادوا الإشارة إلى المعنى الحالي للتراث، استعملوا تراكيب خاصة غير كلمة تراث التي كانت تكاد تكون مفقودة لديهم، فالكندي كان يشير إلى فضل القدامى، وواجب الشكر لهم مستعملا عبارة "ما أفادونا به من ثمار أفكارهم".[1]

وعندما نقول روح العصر أو احتياجات العصر أو واقعنا المعاصر فإننا لا نشير إلى أية جماعة بشرية تنتمي إلى جنس معين، فالبشر لا تصنف إلى أجناس أو إلى جماعات بيولوجية بل تشير إلى أبنية نفسية ولأوضاع اجتماعية وهذه الأبنية هي التي تحدد الهوية.[2]

ذلك أن التراث هو في المقام الأول روح سارية في كيان الأمة عبر العصور والأجيال.[3]

وتراث أية أمة من الأمم ليس تراكم معرفي وتجارب فحسب، لكنه تمثيل لشخصية الأمة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

والتراث العربي الإسلامي هو حلقة من سلسلة طويلة من الحضارات الإنسانية المتعاقبة وهو جزء من التراث الإنساني.

المفهوم الاصطلاحي للتراث: التراث بمعناه الواسع هو ما خلفه السلف للخلف من ماديات ومعنويات [*]، أي كل ماتركته الأجيال الغابرة من إنتاج فكري وحضاري، فهو يشمل ما تراكم خلال الأزمنة من عادات وتجارب وفنون وعلوم لدى شعب من الشعوب. [4] و من يتأمل الدلالة المعجمية لكلمة التراث ،فسيجدها بطبيعة الحال مشتقة من فعل ورث.

---

[1]- **مسرحي فارح**، الحداثة في فكر محمد أركون، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1،2006، الجزائر، ص 88.

[2]- حنفي حسن، التراث والتجديد، موقعنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط 2002، ص 22.

[3]- **عمارة محمد**، التراث في ضوء العقل، دار الوحدة، ط1، 1980 بيروت، لبنان، ص 284.

[*]- **التراث الإسلامي** يشير إلى جميع ما خلفه تراث الأفراد والمجتماعت المنتمية إلى الإسلام من مؤلفات ومصنفات العلماء المسلمين في شتى العلوم الشرعية العلمية، التقنية وعادة يطلق مصطلح التراث الإسلامي على مخزون المسلمين الفقهي والشرعي..

[4]- **فارح مسرحي**، الحداثة في فكر محمد أركون، مرجع سابق، ص90.

ويوضح الجابري المقصود بالتراث بقوله: هو بصورة أساسية: العقيدة والشريعة، اللغة، الأدب، الفن، الكلام، الفلسفة والتصوف..إلخ والتراث عنده أيضا هو مجموع العقائد والتشريعات والمعارف المعبر عنها في لغة تحملها والمتكونة في عصر التدوين (القرون الثلاثة الأولى للهجرة).[1]

أما طيب تيزني، فيعرّف التراث بقوله: إن التراث بأحد أبعاده هو كل حدث أو أثر أو إنتاج إنساني دخل الماضي، وأصبح جزءا منه.[2]

أما حسن حنفي فيرى أن التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة.[3]

والتراث لديه هو مجموعة من التفاسير التي يعطيها كل جيل بناء على متطلباته خاصة وأن الأصول التي صدر عنها التراث تسمح بهذا التعدد لأن الواقع هو أساسها الذي تكونت عليه، كما أن التراث ليس مجموعة من العقائد النظرية الثابتة والحقائق الدائمة التي لا تتغير، بل هو مجموع تحققات هذه النظريات في ظرف معين، وفي موقف تاريخي معين، وعند جماعة خاصة تقع رؤيتها وتكون تصوراتها للعالم، والتراث ليس موجودا صور له استقلال عن واقع الذي هو جزء من مكوناته، والتراث ليس قيمة في ذاته إلا بقدر ما يعطي من تفسير للواقع والعمل على تطويره، وأهم ما يميز التراث في أصوله في نشأته وتطوره هو حركته وعدم ثباته.[4]

والتراث في معناه الاصطلاحي العام هو كل ما أثمره العقل البشري في مختلف مناحي الحياة الفكرية والمادية والمعنوية، وذلك من خلال التفاعل والحراك الفكري والاجتماعي، وصار ميراثا للأبناء من الأباء، سواء أكان ميراثا عمرانيا وماديا، أم كان لغة وفكرا أو

---

[1]- **الجابري محمد عابد**، التراث ومشكلة المنهج، جمعية البحث في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص83.

[2]- **التيزني الطيب**، من التراث إلى الثورة، دار ابن خلدون بيروت، ط1، 1978، ج1، ص242.

[3]- **حنفي حسن**، التراث والتجديد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1987، ص11.

[4]- **سلام رفعت**، "بحثا عن التراث العربي" دار الفارابي، بيروت، ط1، 1989، ص 80.

عادات وتقاليد أو تجارب وخبرات أو علاقات اجتماعية وعلى ذلك فالتراث أنواع عدة: فهناك تراث فكري، وتراث معماري، وتراث شعبي...الخ.

وما يعنينا من تلك الأنواع المختلفة والمتباينة سوى التراث الفكري الذي تنوعت تعريفاته تنوعا لافتا للانتباه.

مفهوم التراث في الإسلام : يعتبر التراث في الإسلام مظهرا من مظاهر الإبداع الفردي والجماعي للأمة خلال مسار تاريخها الطويل، كما يعتبر أفضل تعبير عن الهوية الثقافية للأمة وذاتيتها الثقافية، ويشمل بذلك التراث العربي الإسلامي أشكالا متعددة ثقافية وفكرية متوارثة من ماضي الأمة القريب والبعيد، وهو عطاء من صنع الإنسان الذي يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، كما أن هناك تراثا اجتماعيا يتمثل في العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع ومدى تأثيرها في أفراده، هذا بالرغم من أننا نؤمن بأن المصدر الأساسي في التراث الإسلامي هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

إذا كان تراثنا وثقافتنا الإسلامية تؤمن بالانفتاح الرحب على الثقافات الإنسانية، فإنها كانت على الدوام ذات سمات إنسانية، ولعلنا لا نضيف جديدا إذا فكرنا أن جوهر أمتنا العربية إنما يقوم على الإنفتاح الحضاري الإنساني.[1] إذ من أرضها قامت الفتوحات وعبرها مرت وتعرضت لمحن واجتياحات، ومع ذلك كله بقيت تقدم للعالم أنموذجا اجتماعيا إنسانيا يؤكد انفتاح الإنسان على أخيه الإنسان وظلت بذلك تحمل راية الحياة المعطاء، راية الأخوة الإنسانية الذي يحترم فيها الأخر بغض النظر عن ملته أو متربه.[2]

قيمة التراث في الإسلام: تتحدد قيمة التراث من حيث نشأته وتكونه في الإطار الزمني الإسلامي من جهتين الأولى الارتباط به، فالتراث الفكري والعلمي الإسلامي كان متصلا ومتفاعلا بمرجعية الوحي إلى درجة تختلط في أذهان البعض إمكانية التمايز بينهما، وهي الإشكالية الملتبسة التي أضفت صفة القداسة على التراث إذ أصبح من الأمر المستحيل

[1]- **الميلاد زكي**، من التراث إلى الاجتهاد، الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد، المركز الثقافي الغربي، ط 1، 2004، ص 240.

[2]- **الميلاد زكي**، المرجع نفسه، ص 241.

التفكير في التقرب إليه، في حين أن التراث له صفة المنجز الإنساني النسبي والمتغير أي الإطلاق فيه أنه يقبل الصواب كما يقبل الخطأ وموافقة الحق والواقع أو مخالفتهما.[1]

ومن جهة علاقة التراث بالوحي ظهرت وتبلورت وتأسست أبز وأهم وأن المعارف والعلوم ذات النسق الإسلامي مثل علوم القرآن والتفسير وعلوم السنة والحديث والفقه وأصوله والعقائد والإلهيات والتاريخ والسيرة والأخلاق والأداب.[2]

كما أن التراث ارتبط منذ البداية بالحضارة التي نهض بها المسلمون إذ وصلوا بفضلها إلى مرحلة التميز والانتصارات في العديد من المجالات إذ شهد لها العالم بالتقدم والتمدن ،فالتراث الإسلامي تراث حضارة لها عبقريتها وابتكاراتها واكتشافاتها التي استفادت وتعلمت منها البشرية جمعاء، بما في ذلك حضارة الأخر والمتمثل دائما في الغرب ،هذا الذي تنكر فيما بعد لخصال العرب والمسلمين كما اثبت ذلك العديد من المستشرقين أمثال الألمانية **زيغريد هونكة** في كتابها **شمس الإسلام تسطع على الغرب** و في كتاب أخر لها والمعنون بـــ **التوجه الأوروبي إلى العرب و الإسلام ..حقيقة قادمة و قدر محتوم،** وذلك لإبراز دور الحضارة العربية الإسلامية في نهضة أوروبا التي عاشت قرونا طويلة في ظلمات من الجهل والتخلف ،كانت فيها الحضارة الإسلامية في أوج تقدمها وإزدهارها في شتى المجالات ومنها المجال الإجتماعي والأخلاقي الذي إحتوى الذمي وغيره في إطار التسامح والتعايش بعيدا عن الإقصاء. عليه نقول أن إشكالية الموضوع تفرض على الدارس أن يتطرق إلى الجانب التراثي الذي بواسطته يتمكن من المعرفة الحقيقية لمعنى التسامح الذي حث عليه الوحي وأثبتته النصوص. فالتراث هو الهوية الثقافية للأمة والتي من دونها تتراجع و تضمحل و تتفكك،يقول محمد أركون: لا يكفي أن نعمل جردا للتراث لكن الأكثر أهمية أن نتساءل : كيف نقرأ هذا التراث أو نعيد قراءته ؟ [1].

التراث من منظور راهن : التراث عملية تراكم دائمة ومستمرة عبر الماضي، مرورا بالحاضر وتجاوزا للمستقبل. ولا يمكن أن يكون هناك قطع أو فاصل زمني في هذه

[1]– المرجع نفسه، ص 242.

[2]– الميلاد زكي الرجع السابق ص244

[1]- أركون محمد – الفكر الإسلامي نقد و إجتهاد ت هاشم صالح دار السلقي بيروت لبنان ط3 1998 ص147

العملية، فتجربة الإنسان في الماضي تصبح تجربة جديدة في الحاضر وتستمر للمستقبل. لهذا يكون من واجبنا الإستفادة من الإرث لتطور الحاضر ومواكبته وتجديده والعمل من أجل بلوغ الأفاق، وذلك دون أن يطغى إرث الماضي على الحاضر، أي لا يقف الماضي للحاضر.أما المنظور الراهن لمسألة التراث فهو لا يمثل مشكلة أو إشكالية إلا عند الأمم والمجتمعات الغير متحضرة، بالذات تلك المجتمعات التي مرت بتاريخ من الإزدهار والتقدم والتمدن لفترة زمنية طويلة وإفتقدته فيما بعد (بلاد الأندلس) فيتحول عندها إلى ذاكرة للتمجيد والتغني وتاريخ للتعظيم وإلى ذهنية تجعلها تنظر إلى الوراء لإشباع رغبتها في التقدم والتميز على الأخر.[1]

من جهة أخرى إن التراث لا يتحول إلى هم وقضية في الغالب إلا في حالة التفكير بالنهوض والتقدم الذي يستحضر معه التراث ويعيد قراءته بمنظور مختلف، وهذا دليل على أن الأمم والمجتمعات المتقدمة لا تواجه مشكلة أو إشكالية حول التراث. لأن التقدم الناجز والتمدن الذي وصلت إليه هذه الأمم ينصرف في الغالب إلى قضايا الحاضر والمستقبل أو ما يعرف بالحداثة والعصرنة، أي أن التراث في نظر هذه الشعوب متحرك لا ساكن أي لا توجد تقطعات في الموروث هذا ما تعمل وفقه المجتمعات المتواصلة التي ترفض السكون والتمسك بالماضي [2]. والعرب عندما ينظرون إلى ما كانوا عليه في الماضي البعيد الذي يمتد إلى حضارات الشرق القديمة، المصرية والبابلية والأشورية أو إلى حضارتهم الزاهية في القرون الوسطى، الحضارة العربية الإسلامية أو عندما يستعيدون أمال و طموحات رجال النهضة والإصلاح في القرن الماضي سيتأكدون أن كل ما وصلت إليه الحضارة الغربية من نهضة وتقدم ما كان ليشهد النور لولى تأثرها بالحضارة العربية الإسلامية وخاصة في القضايا المتعلقة بالجوانب الأخلاقية والإجتماعية والسياسية.[3]

---

[1]– **الميلاد زكي**، من التراث إلى الإجتهاد، (الفكر الإسلامي و قضايا الإصلاح و التجديد مرجع سابق ص245.

[2]– المرجع نفسه ص248.

[3]- **الجابري محمد عابد** –المشروع النهضوي العربي –مركز دراسات الوحدة العربية ط 1 1996 –بيروت لبنان ص168.

الأمر الذي جعلنا نرجع للتراث بالتحليل والتأصيل التاريخي حتى نتمكن من معالجة إشكالية التسامح كمفهوم، وكسلوك إنساني إجتماعي وأخلاقي، فرضه الواقع المعاش الذي أنهك قوى المجتمعات الإنسانية ،التي أصبحت تعاني من ويلات الحروب والعصبيات واللاإستقرار السياسي والاجتماعي. لهدا فالتراث عملية تراكم مستمرة ودائمة عبر الماضي، مرورا بالحاضر وتجاوزا للمستقبل. فتجربة الإنسان في الماضي تصبح تجربة جديدة في الحاضر وتستمر للمستقبل ، بذلك نجد أن التراث في تراكميته يبحث دائما على الإستمرارية التي بدونها تنعدم حركته التاريخية.[1]

لأن التراث من أهم عوامل بعث الأمم والشعوب فلا يمكن لأمة من الأمم أن تتنسم ذرى الحضارة والمدنية إلا إذا كانت لها جذور ا عميقة، وتراثا مجيدا، وتاريخ ا تليد ا. فعن طريق التراث نستطيع أن نكتشف القيم القادرة على توجيه السلوك وتنظيم العمل، لأن التراث هو الهوية الثقافية للأمة، والتي من دون ه تضمحل وتتفكك في الداخل كما في الخارج، الأمر الذي يؤدي بها إلى الإندفاع بقوة نحو التيارات العلمانيـة ، والتراث الإسلامي تعبير صادق عن أثر التوجيه الإسلامي لنهضة الفكر والحضارة الإنسانية بصفة عامة، فضلاً عن دوره الكبير المؤثر في قيام الحضارات ، إذ يبقى بالنسبة للعالم العربي الإسلامي الملاذ الذي يجد فيه هويته، والمصدر الحقيقي المساعد على التأقلم مع الواقع الذي أرغم المجتمعات المجبولة بالتسامح كالمجتمعات العربية الإسلامية حسب قول **محمد أركون** في معالجته للموضوع[2]. إن الرجوع إلى التراث هنا لا يتمّ بقصد إحيائه وبعثه، ولا تمجيده والتباهي به، وإنما هو رجوع حفريّ يحاول أن يرسم الكيفية التي تشكّلت بها "العقلية العربية وأن يتساءل عما إذا كان ذلك قد ساعد على تكوين عقلية قابلة بشرعية الاختلاف.

هذا يعني أن الأمم و المجتمعات المتقدمة لا تواجه مشكلة أو إشكالية حول التراث، لأن التحضر الذي وصلت إليه هذه الأمم تم عن طريق هضمها لتراثها ، عكس ما نشاهد في

[1]- **زكي الميلاد**، من التراث إلى الإجتهاد ، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان بط و بس ،ص257.

[2]- زكي الميلاد من التراث إلى الإجتهاد، المرجع نفسه، ص 259

أوساط المجتمعات العربية والإسلامية، حيث أنه مع كل تطور تتجدد نظرة الأمم إلى التراث حتى يساير الواقع[1] . إن التعامل الحيوي مع التراث يتلازم مع طبيعة الفهم الذي يتشكل عن العصر و طرائق التعامل معه، فسؤال التراث هو سؤال المعاصرة وسؤال المعاصرة يفترض أن ينفصل عن سؤال التراث.

بهذا الفهم ينبغي أن تتحرك هذه الجدلية، حيث انه ليس من الصواب النظر إلى التراث لأجل التراث ولا النظر إلى المعاصرة على أساس القطيعة مع التراث. هذا يعني أن طبيعة نظرتنا إلى التراث تؤثر في تكوينات فهمنا و تعاملنا مع التراث. لذلك يصبح العقل الإسلامي بحاجة لان يبذل جهدا معرفيا لتطوير الثقافة التي تمكنه من مسايرة كل ما هو محدث أو جديد، كما حدث للثقافة العربية الإسلامية وهي تواجه المصطلحات الحداثية كالحرية، الديمقراطية، التسامح وغيرها[2].

الأمر الذي يؤدي بالمجتمعات العربية والإسلامية إلى الإنفتاح على التراث مع كل تنوعاته وليس الإنحياز أو التعامل العرقي أو القومي، والعمل على تجاوز الإنغلاق والقطيعة والإقصاء .كما لا يجب أن نسلم بكل التراث الذي وصل إلينا، وما وصل إلينا ليس بالضرورة هو كل ما لدينا أو أفضل ما لدينا.

لهذه الإعتبارات وغيرها كان من الضروري أن يحكم نظرتنا للتراث التعامل النقدي المتحرر من ضغط التقليد و النوازع الذاتية والعصبيات الإجتماعية [3]. والعمل على إيجاد الطرق المثلى التي بواسطتها نساير كل ما هو راهن لا أن نبقى حبيسي ماضينا الذي ما زلنا نعتقد أنه السبيل الأمثل للحقيقة .

في الأخير تجدر الإشارة إلى انه لابد من النظر إلى التراث على أنه حياة وحركة لا سكون وجمود وان تكون عصرنتة متمثلة في إعطائه قيمة وظيفية مؤثرة في حياتنا

---

[1]- **عبد الرحمن طه**، تجديد المنهج في تقويم التراث ،المركز الثقافي العربي ،1994 بط بيروت لبنان ص11

[2]- المرجع نفسه ص12.

[3]- الميلاد زكي ، من التراث إلى الإجتهاد ، مرجع سابق ص258.

اليومية أي أننا نعتمده في التعامل مع كل ما هو حديث أي الرجوع إلى التراث من أجل الوقوف على كل ما دل ويدل على المحدث أو بالأحرى الراهن كمصطلح التسامح الذي نحن في صدد معالجته والوقوف عند مقاصده وأهدافه، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتراث العربي الإسلامي وما قدمه للإنسانية ،دون إقصاء أو تهميش. هذا ويجمع التراث العربي الإسلامي بين الثبات والمرونة التي تجعله قادرا على استيعاب كل المستجدات، وذلك في كل العصور مع محافظته على المبادئ العامة والقواعد الكلية.

وأقصد في هذا أن المبادئ وحي من الله ولا يصح لبشر أن يتدخل فيها، هذا إن سلمنا جدلا بأن أحدا من البشر قادر على التدخل فيها ونقدها وتعديها. وإذا كانت ثقافتنا العربية الإسلامية تؤمن بالإنفتاح على الثقافات الإنسانية، فإنها كانت على الدوام ذات سمات إنسانية. إذ لا نظيف جديدا إذا ذكرنا أن جوهر أمتنا العربية الإسلامية إنما يقوم على الإنفتاح الحضاري الإنساني، حيث من أرضها إنطلقت الفتوحات وعبرها تعرضت المجتمعات العربية لأحلك المحن والإجتياحات، ومع ذلك كله بقيت تقدم للعالم أنموذجا إنسانيا يؤكد على إنفتاح الإنسان على أخيه الإنسان، وظلت تحمل راية الأخوة الإنسانية التي تجسدت في إحتوائها وتعايشها للآخر.

المبحث الثاني: تأصيل مفهوم التسامح في التراث

أولا:التأصيل لغة

ثانيا :موقف الإسلام من التسامح

ثالثا: تجليات التسامح في التراث

المبحث الثاني: تأصيل مفهوم التسامح في التراث

تأصيل التسامح في التراث ليس عملا إسقاطيا ولا تبريريا .بل هو الكشف عما وجد فعلا، إلى جانب إعادة رسم لصورة فقدت أجزاء هامة منها .ومبدأ التسامح لم يتجلى فقط في المستوى الفكري بل تعداه ليشمل مستويات أخرى كالمستوى السياسي والعقائدي وسائر التجارب التي عرفتها المجتمعات العربية الإسلامية.

التأصيل لغة: هو أصل كل شيء، يقال استأصلت الشجرة، أي ثبت أصلها [1]، والتأصيل الإسلامي للتسامح يعني تناول الموضوع من منطلق إسلامي ،بالرجوع إلى مكانة وأهمية التسامح أو ما يشير إليه من نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة.

والتأصيل الثقافي للتسامح في الفكر العربي المعاصر هو بعث الوعي وتوجيهه نحو عالمية مفهوم التسامح داخل الثقافة العربية الإسلامية، وذلك بإبراز عالمية الأسس النظرية التي تقوم عليها، والتي لا تختلف جوهريا عن الأسس التي قامت وتقوم عليها في الثقافة الغربية ما دام المقصود في ذلك هو الإنسان بصفة عامة. [2]

فبأي معنى يمكن الحديث عن التسامح وعن حقوق الإنسان في فكرنا العربي الإسلامي المعاصر؟ وكيف السبيل إلى تأصيله ثقافيا في وعينا وواقعنا وتراثنا بصفة عامة ؟ وكما ذكرنا سابقا فالتأصيل من أصل الشيء، وقد يكون المؤصل مألوفا لكن أصله غير معروف.

بمعنى أنه غير معروف عند البعض، كالمفاهيم المعروفة المتصلة بأصول تراثية دون أن تكون تلك الأصول معروفة، لكن التأصيل يكون أيضا لما يطرأ على الثقافة من مفاهيم وغيرها ،فيقوم من يبحث لتلك المفاهيم عن أصل 3. وما نبحث التأصيل له في الثقافة العربية الإسلامية مفهوم التسامح هذا المصطلح الذي شغل العديد من المفكرين في العصور الحديثة والمعاصرة.

---

[1]– **إبن منظور**، ، لسان العرب ،المحيط ،دراسات العرب ،بيروت دط ج1 1988 ص68.

[2]– **الجابري محمد عابد**، المثقفون في الحضارة العربية ،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان ، بدون ط 1995 ص32.

3– الجابي محمد عابد، المثقفون في الحضارة العربية، المرجع نفسه ص34

وفي هذا يعتبر الكندي **أول من أصل** لهذا المفهوم في الفلسفة الإسلامية إذ دعا إلى التسامح مع المخطئ بل أكثر من ذلك يذهب حتى إلى المطالبة بشكره على الجهد المبذول، والأمر لا يتوقف عند الكندي بل يتعداه إلى **ابن رشد** الذي شهد له بالتسامح من طرف نظرائه ومن عايشهم، هذا التسامح الذي عرف بالدفاع عن آراء ومعتقدات الآخرين، وبضرورة الإطلاع عليها والاستفادة منها[1]

كما نادى محمد عابد **الجابري** في الفترة المعاصرة بضرورة تأصيل مفهوم التسامح في التراث بعدما تعرض في كتابه **قضايا في الفكر العربي المعاصر** إلى الجوانب الإيجابية التي بواسطتها يمكن التفتح على الأخر هذا بالخروج عن التعصب والتمذهب والانفراد بالرأي وعدم احترام الأخر، وفي مناداته بتأصيل المفهوم في التراث أي الوقوف عند المفاهيم الحديثة المنقولة في الفكر الأوروبي كمصطلح الحداثة والتسامح والعولمة وغيرها من المصطلحات التي تتباين مع ما تحتويه .

فمثلا كلمة **tolérance** لا تناسب بالضرورة مصطلح التسامح باعتبار المصطلح لم يرد في النص ولو لمرة واحدة، فالتساهل والعفو والصفح و الإنصاف و المساواة، فكلها مصطلحات غاية في الأهمية وأبلغ من أي كلمة أو مصطلح غربي إلا أن الأمر الذي لا يختلف فيه اثنان هو أن **toleration** أو **tolérance** مصطلحات حديثة لا تعبر عن المغزى الحقيقي لكلمة تسامح التي اختيرت لتكون معنى مقابل للمصطلحات المذكورة.[2] هذا الذي بدى غريبا، إذ كيف إستطاع الفكر الإسلامي إحتضان مثل هذه المصطلحات بالرغم من غرابتها وصعوبة إحتوائها؟"

وحسب **الجابري** فإن عملية تبيئة المفاهيم الحديثة تمليها الحاجة المتمثلة في المشاكل التي أصبحت تعيشها المجتمعات الإسلامية والعربية ومنها التطرف الديني باسم الدين أو ضده، التطهير العرقي، التفكير الأحادي الذي يطمح للسيطرة على العالم، وفي نظره أي إعطاء

[1]– المرجع نفسه ص39

[2]– **الجابري محمد عابد** ، المثقفون في الحضارة العربية ،المجع السابق ص47

الأسبقية للآخر هو جوهر التسامح[1] أما **أركون** فتناول موضوع التسامح بالأسلوب المباشر القائل بأن التسامح لم يعرفه السياق الإسلامي تاريخيا، هذا بالرغم من تعرضه للمصطلح المقابل والمتمثل في اللاتسامح حيث انطلق من أن التسامح لا يمكن فهمه فهما تقنيا دقيقا وواضحا إلا بربطه بمفهوم اللاتسامح **Intolérable** ليخلص إلى التأكيد بأن التسامح كمفهوم لم يعرفه الإسلام تاريخيا وأنه يعتبر من أنواع اللامفكر فيه في الفكرالعربي الإسلامي.[2]

أما التسامح كممارسة فعلية فإنه هو الآخر كان غائبا في المجتمعات الإسلامية لعدم وجود شروط تحققه أي حماية ممارسيه، وبهذا يبقى مفهوم التسامح حديثا بالنسبة إلى المجتمع الإسلامي، ولا يليق إلا بمجتمعاته الأصلية ويقصد بذلك أوروبا. [3] أما "علي أومليل" في مؤلفه **في شرعية الاختلاف** فقد اهتم بمرحلة تاريخية تعود إلى ما قبل الضغط الأجنبي إلى مرحلة كانت فيها المجتمعات الإسلامية في موقع قوة، وكانت الغاية التي وجهت على أومليل في حديثه عن التسامح والاختلاف.[4]

موقف الإسلام من التسامح:

وبرجوعنا إلى موقف الإسلام من التسامح نجد أن الإسلام يتخذ التسامح مكان الصدارة، وليس على مستوى المبادئ فحسب وإنما على مستوى التطبيق العملي الذي يتهدبه التاريخ العالمي.

فالإسلام قد نص على التسامح مع مختلف الأديان وجاء في الآية الكريمة مصداقا لقوله تعالى:" **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**" [5].

---

[1]- **راجي محمد**، روح التسامح في الفكر الراشدي ،مجلة فكر ونقد ، العدد 66،دار النشر المغربية ، الدار البيضاء المغرب بدون طبعة 2005 ص61

[2]– **الجابري محمد عابد**، المثقفون في الحضارة العربية المرجع السابق ص 44

[3]– المرجع نفسه، ص 46.

[4]– **محمد أركون**، التسامح واللاتسامح في التراث الإسلامي، مقال ضمن المجلة العربية لحقوق الإنسان، العدد2،1995، ص 11.

[5]– سورة **المائدة**، الآية 62.

وهذا يعني أن الذين أمنوا أي المسلمين والذين هادوا أي اليهود وكذلك المسيحيين والصابئة، أي كل الذين يؤمنون بالله وما هو صالح لا يخشى أن يعذبوا في الآخرة أو يحرموا من النعيم ،أليس في ذلك دليل على أن الإسلام يتجاوز في تسامحه طوائف المسلمين إلى بقية الأديان.[1]

ولا ننفي التعصب وعدم التسامح عن تاريخ المسلمين نفيا مطلقا ملائكيا ولكن التسامح موجود ومجسد في عمق ومحتوى العقيدة الإسلامية،وهذه الروح التسامحية نجدها حاضرة في التجربة الفلسفية العربية الإسلامية كما أشرنا إلى ذلك سابقا بدءا من الكندي وصولا إلى **ابن رشد.**[2] و كيف تعاملا مع إشكالية العقل والنقد، أي التعامل مع الموضوع وفق المنظور العقلي دون الخروج عن الأصل.

وعلى هذا الأساس يحاول المفكر العربي محمد عابد الجابري أن يؤصل مفهوم التسامح في التراث العربي الإسلامي من خلال مفهومي الاجتهاد والعدل، ولا سيما على الصورة التي يأخذها مفهوم العدل عند **ابن رشد** والمعتزلة والفرق الكلامية العربية الإسلامية التي كانت تركز على مفهومي التسامح من جهة وحرية الإنسان من جهة أخرى[3].

وفي هذا يبين محمد عابد الجابري أن الإمام أبو حنيفة كان من أبرز ممثلي الاتجاه التسامحي في الإسلام وهو الذي عرف عنه قوله المشهور: " **لا نكفر أحدا بذنب ولا ننفي أحدا من الإيمان"** . وضمن هذا السياق يصل الجابري إلى إعادة بناء مفهوم التسامح في التراث العربي الإسلامي بصورة يتوافق فيها مع المعنى الذي يوظف فيه داخل الفكر الأوروبي كمفهوم ليبرالي وفي بعض المواقف العربية الإسلامية كما هو الأمر عند المفكر العربي محمد أركون.[4]

---

[1]- **أركون محمد،** التسامح واللاتسامح في التراث الإسلامي- مقال ضمن المجلة العربية لحقوق الإنسان- عدد 2، 1995.

[2]-**أركون محمد،** التسامح واللاتسامح في التراث الإسلامي –المرجع السابق ، ص 14.

[3]- **أعراب إبراهيم،** التسامح وإشكالية المرجعية في الخطاب العربي مجلة المستقبل العربي –العدد 224 1997ص55.

[4]- **أعراب إبراهيم،** المرجع السابق ص55

عليه نقول: أن الإسلام يعد من أكثر نماذج الحضارة الإنسانية تسامحا في الدين والفكر والاجتماع، فالإسلام هو أول دين في تاريخ الإنسانية الذي يعطي للإنسان الحق في اعتناق عقائد سماوية أخرى غير متفقة مع العقيدة الإسلامية، وقد أقر لأصحاب هذه العقائد ممارسة شعائرهم الدينية في ظل الإسلام وحكمه.

هذا وقد تعايشت في ظل الحضارة الإسلامية أقوام وشعوب وعروق وقوميات وأجناس وثقافات مختلفة، والفاتحين العرب كانوا أكثر الفاتحين تسامحا في التاريخ وهذا بشهادة الأخر الذي كثيرا ما نعت العربي والمسلم بصفة عامة بكل النعوت الدالة عن قصوره في التعامل مع مثل هذه المصطلحات التي تبدوا مستحدثة بالنسبة إليه، أي أن تعصبه ولا تسامحه لا يمكناه من إدراك ذلك.

هذا وبلغ من سماحة الإسلام وتسامحه أنه أخذ بقلوب كبار العلماء والمفكرين في العالم الذين أخذتهم الدهشة بما تميز به الإسلام من قيم التسامح والحب والعدل والمساواة حيث يقول المؤرخ الشهير **غوستاف لوبون** في كتابه **تاريخ العرب** مقولته المشهورة وهي " **ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب** ويقول **أرنولد توينبي** في كتابه **الدعوة إلى الإسلام:**" لقد كانت هذه المعاملة الرحيمة سببا في إلتجاء كثير من الصليبين إلى الإسلام والدخول فيه[1].

وبهذا ضمن الإسلام حرية الاعتقاد للمسلمين فمنع الإكراه في الدين وأقر التسامح الديني الذي لا يعرف له التاريخ مثيلا. فالإسلام لا يكره أحد على الدخول فيه واعتناقه [2] قال تعالى:« **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** "[3].

وهو يؤكد أن التسامح شكل الأساس في الإسلام الذي يبرهن على حرية العقيدة لغير المسلمين، و حرية التعبد و عدم الإكراه وإحترام الأخر.

---

[1]- **علوان عبد الله**، معالم الحضارة في لإسلام و أثرها في النهضة الأوربية دار السلام بيروت لبنان ص 156.
[2]- **علوان عبد الله**، المرجع السابق ص 158.
[3]- سورة **البقرة**، الآية 256.

ويقول **ابن كثير** في هذا السياق " أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فإنه يقين واضح جلي في براهينه ودلائله. وفي هذا المنحى الإنساني العظيم يقول صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا** "[1]

وجاء في **القرآن الكريم** عدد كبير من الآيات العصماء التي ترفع من قيم التسامح والسلام حقائق كلية وجودية قال تعالى: "**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** "[2]. وجاء أيضا في قوله تعالى: "**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**"[3] وقال تعالى: "**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** " [4].

ما حارب الإسلام العصبية والتعصب وفي ذلك **يقول:** رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية** "[5] .

ويقول عليه السلام أيضا: "**من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردّي فهو ينزع بذنبه**" [6].

وفي سلوك النبي صلى الله عليه وسلم تنهض حقائق التسامح والحب بين البشر وتتأصل كل المعاني النبيلة للإنسان والإنسانية لترتفع إلى مقام الأساطير الخالدة. فبعد سنين طوال (إحدى وعشرين عاما) من التعذيب والقهر والتنكيل والحرب والتهجير الذي عاناه النبي الأكرم من قبل أهل مكة استطاع النبي أن يدخل مكة ظافرا قويا منتصرا، ونادى في أهل مكة قائلا لهم: ما ترون أنني فاعل بكم؟ **فأجابوه أخ كريم وابن أخ كريم** . وعندها قال لهم النبي الأعظم: اذهبوا فأنتم الطلقاء. فهل بعد هذا الصفح صفح أو بعد هذا التسامح تسامح أو إحسان !.

لو شاء الله سبحانه وتعالى لآمن الناس جميعا، ولذلك فإنه عزّ وجلّ ينهى عن الإكراه ويترك للخلق حرية اعتناق الإسلام أو غيره من الأديان وفي هذا يقول صوت السماء

---

[1]- صحيح البخاري، رقم الحديث 67.
[2]- سورة **فصلت**، الآية 34.
[3]- سورة **الأعراف**، الآية 199.
[4]-. سورة **الزخرف**، الآية 89.
[5]- رواه أبي داود
[6]-رواه أحمد

ناهيا عن إكراه الدين " **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ.وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ.**[1]

هذا وقد بين محمد عبده في كتابه "**الإسلام والنصرانية بين الع لم والمدنية** " أن الإسلام عرف التسامح كتقليد وممارسة في مجال السياسة وفي مجال العلم والفلسفة سواء بين المسلمين أنفسهم أو بين المسلمين وبين غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

كما كان **أهل الذمة** الذين يعيشون داخل الدولة الإسلامية يعاملون أحسن معاملة، وكثيرا ما كان الخلفاء يقربون إليهم بعض أهل الذمة واليهود والنصارى، ويعاملونهم معاملة حسنة كريمة، حتى أن **هارون الرشيد** وضع جميع المدارس تحت مراقبة **يوحنا بن ماســويه**، وكان **جورجيس بن بختشوع** مقربا لدى **الخليفة المنصور** من بين أطبائه، ولما عرض عليه المنصور الإسلام أجابه: " **رضيت بأن أكون مع آبائي في جنة أو في نار**" فضحك المنصور وأمر له بعشرة آلاف دينار تكريما له و إحتراما لمعتقده.[2]

لقد كان نبي الله الأعظم نبراس حب وإخاء ومساواة، يقول **صلى الله عليه وسلم** مخاطبا الجماعة:"**لن تؤمنوا حتى ترحموا** "،[3] فرد البعض: يا رسول الله كلنا رحيم، فقال **عليه الصلاة والسلام**: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة عامة للناس لأن الرسول الكريم كان دعوة رحمة ، فكان يصفح عن قريش عندما تكون له الغلبة ويحاول إقناعهم بالحجة. قال تعالى:« **وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ** » .[4]

هذا ويسجل للنبي عليه الصلاة والسلام حكمة قوله في التسامح والحب بين المسلمين كافة حيث يرفع إعلانه القدسي حول التسامح بين المسلمين قائلا :" **لا تحاسدوا، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا،ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا**".[5]

وضمن هذا السياق يمكن القول أن مفهوم التسامح عرف حضوره في التراث العربي الإسلامي بجوهر المضامين الاجتماعية التي توظف اليوم داخل الفكر الأوروبي كمفهوم

---

[1]- **سورة يونس** الآية 99.

[2]- **شلتون محمد**، الإسلام عقيدة و شريعة ، المرجع السابق ص82.

[3]- حديث رواه الطبري.

[4]- **سورة الحجر** الآية 85.

[5]- الحديث 35، رواه مسلم.

ليبرالي، فالإسلام في جوهره شريعة السلام والرحمة والإنسانية وذلك يتمثل **بقوله تعالى:** "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**" [1] وفي هذا **يقول صلى الله عليه وسلم : إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة.**[2] وهو في كل الحالات يحذر من الاعتداء على أهل الذمة إذ يقول عليه السلام " من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنّة.

فالروح التسامحية تسجل حضورها كذلك في عمق المعاناة والتجربة الفلسفية العربية بدءا من الكندي وابن رشد الذي عرف بعشقه وحبه للتسامح واحترام ه لرأي الآخر والاعتراف بفضله لا سيما الفلاسفة المتقدمين في بلاد الإغريق سواء كان هذا الآخر مشاركا أو مباينا له في الرأي والمعتقد. ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى كتابات الصوفيين، والإشارة إلى الانطلاقات الفكرية التسامحية الكبرى لكتاب من أمثال **الكندي** و **التوحيدي** و **المعري** و**ابن عربي** وما عبر عنه من حب للإنسانية، وبالأخص للأخر الذي يقاسمه الحياة والعيش المشترك.

إن رفض الإسلام لكل الأساليب العنيفة يعني منطقيا أن فكرة التسامح بالمعاني التي دلت عليه في التراث فكرة أصيلة فيه، هذه الفكرة المتجلية في سلوكه ونظامه وتشريعاته، بالرغم من وجود الإختلافات في المجتمعات الإسلامية بكل أشكالها وصورها واقعا[3].

كما أن هناك ما يدل على التسامح في عدد من الوثائق العربية الإسلامية في الجاهلية كما في الإسلام ،وخير دليل حلف الفضول الذي أبرم في أواخر القرن السادس الميلادي بين فضلاء مكة في دار عبد الله بن جدعان ، وتعاهدوا على أن لا يدعو ا ببطن مكة مظلوما من أهلها أو من دخلها من سائر الناس، إلا وكانوا معه على ظالمه حتى ترد مظلمته .

فقد إتخذ الإسلام موقفا إيجابيا من حلف الفضول الجاهلي ، وقد ألغى النبي محمد جميع أحلاف الجاهلية بإستثناء حلف الفضول، و حينما سئل عنه أجاب :شهدت مع أعمامي في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو أنني دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت.[4]

---

[1]– **سورة الأنبياء** الآية 107

[2]– رواه مسلم.

[3]- **عمر هاشم أحمد** ، الإسلام دين التسامح ، دار الفاروق القاهرة مصر ط1 2006 ص11.

[4]- **عبد الحسين؟**، شعبان فقه الإسلام ،دارأراس للطباعة و النشر ط2011أبيل العراق ص95 ص98

تجليات التسامح في التراث:

لقد تحدث القران الكريم عن حرية التدين في العديد من أياته هذا ما يؤكد أن التسامح شكل ويشكل الأساس في القيم الإسلامية وفي الإسلام ذاته الذي أشار إلى حرية التعبد وعدم الإكراه أو الإجبارعلى إعتناق الدين، وإلتزام إحترام الأخر في معتقداته وثقافته بصفة عامة .

وبذلك يؤكد الكثير من المفكرين على شاكلة محمد أركون ومحمد عمارة، ومحمد عابد الجابري وحسن حنفي و حسين مروة وعبد الحسين شعبان وعلي أومليل صاحب مؤلف **الإصلاحية العربية والدولة الوطنية،** وكذا رواد الحركة الإصلاحية العربية أمثال محمد عبده والطاهر بن عاشور والشيخ عبد الحميد إبن باديس وغيرهم كثيرون انه لم يرد ذكر التسامح لفظا في التراث ونقصد في ذلك القرأن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

لكن الشريعة الإسلامية ذهبت إلى ما يفيد معناه، هذا رغم تعدد الإجتهادات في التفسير والتأويل، وقد جاء بما يقاربه أو يدل على معناه، وذلك حين تمت الدعوة إلى التقوى والتشاور، والتأزر والتواصي والتراحم والتعارف، والمودة والرفق، وكلها دلالات على التسامح، مؤكدة في ذلك حق الإختلاف الذي خص به مخلوقاته ،إذ على الرغم من التشابه بين أفراد النوع الواحد وبين سائر الأنواع في الكون ،فإن التباين قد يقل أو يكثر، يزيد أو ينقص بين جميع الموجودات، وبين أفراد النوع البشري في اللون وفي اللسان والحجم والفكر والإجتماع وسائر الأحوال [1]، قال تعالى : " **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** "[2] والحرية في المعتقد بين البشر جميعا والذي يشكل المرجعية الأساسية للشريعة الإسلامية.

فإن متابعة بعض آيات القرآن تحيلنا إلى صورة مشرقة ومتقدمة للسلوك التسامحي الذي إعتمد عليه الإسلام .

---

[1]- **جيلالي بوبكر** ، مقال ضمن مجلة الكلمة المعنون ب الإختلاف و التواصل و الحوار و التسامح العدد 84 الصدر سنة 2014 مؤسسة التاريخ للطباعة و النشر ، بيروت لبنا ص58.

[2]- سورة **الروم** الأية22

هذه الدلالات في النص أعطت زادا فكريا لممارسات متقدمة في عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدون بشأن إعتماد التسامح كمنهج في السلوك والتعامل مع الأخر. وقد وردت تطبيقاته في العديد من المواثيق و النصوص السياسية ،كحلف الفضول، ودستور المدينة و صلح الحديبية وكذا العهدة العمرية وما أعطته من دروس محلية وخارجية أي فيما بين المسلمين وبين المسلمين والأخر، وذلك في إحترامه وأمنه وحريته وصيانة حقوقه على الرغم ماصدر منه بإستمرار من عنف وتضليل لحقيقة الإسلام، إذ لم يتوانا في نعتها بكل النعوت و إيصالها للأخر في أبشع صورها.

هذا وورد مفهوم التسامح في النص القرآني والحديث النبوي وفي التراث العربي الإسلامي بما يفيد الصفح والعفو واللين والرحمة مع الأخر في ظل النظام الإسلامي وخارجه، أي في التعاملات مع الملل الأخرى والمجتمعات الغير إسلامية، أي إحترام الأخر بغض النظر عن إنتمائه وديانته وثقافته، أي التعامل معه كونه إنسان مكرم ومصان في نظر الإسلام، وفي ذلك قوله تعالى هو يتوجه بالخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**[1] لقد حوت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مواقف عديدة تعكس علاقته وإستجاباته المختلفة التي إتسمت بالتسامح مع من يخالفونه الرأي والمعتقد، والتي عكست نبل سيرته وفضائل خلقه التي وصفها القران الكريم بالخلق العظيم، قال تعالى :"**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**"[2] .كما يمكن رصد عدد من تجليات المواقف التي تعبر عن التسامح في الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر من خلال ما توصل إليه الدكتور محمد عابد الجابري والتي جاءت أفكاره مخالفة لتلك التي حكمت على التراث العربي الإسلامي بالقصور القدرة على تقبل فكرة التسامح التي لم يعرفها التراث في نظرهم و إن عرفها فهو عاجز على مواكبتها والتعامل معها، [3]

---

[1]- سورة **الحجر** الأية 85.

[2]- سورة **القلم** ،الأية 04.

[3]- **أومليل علي**، في شرعية الإختلاف مرجع سابق ص11.

على شاكلة محمد أركون وعلي أومليل وغيرهم كثيرون والذين تأثروا بالفكر الغربي تأثرا أوصلهم إلى مرحلة الإفراط في الحكم على عقم التراث العربي الإسلامي ومحدودية معرفته بالراهن. أي أن مفهوم التسامح الذي يعبرون عنه جاء من منطلق الواقع الأوروبي وبالأخص الفرنسي منه، وعكس هؤلاء يرى الجابري أن المفهوم ظهر في فكر أوائل المتكلمين فرقة القدرية والمرجئة في بداية الدولة العربية الإسلامية، والذي مثل محورا هاما في إهتماماتهم الفكرية وذلك من خلال مسأل ة الإيمان.أي عدم تكفير هذه الفرق لمرتكب الكبيرة يومها عكس جانبا واسعا من التسامح وقع فيه الفصل بين الإيمان والعمل[1] .

إذ في نظرهم العمل لا يبطل الإيمان، حتى وإن تعلق الأمر بارتكاب معصية أو عدم القيام ببعض الواجبات الدينية. فكان من أبرز هؤلاء المتسامحين أبو حنيفة كما أشرنا إلى ذلك في العديد من جنابات الدراسة والذي قال: **لا نكفر أحدا بذنب و لا ننفي أحدا من الإيمان.**[2] كما نجد الجابري في دراسة أخرى عن التسامح يتعرض إلى فكر إبن رشد بإعتباره قمة في التسامح مع المسلمين أنفسهم وغيرهم من أهل الملل الأخرى، ويبلغ التسامح قمته في موقفه من خلال أراء المخالفين والخصوم. وفي ذلك يتوجه باللوم إلى الغزالي بإعتباره أحد النماذج التي لا تحاول إلتماس الأعذار للخصم والتسرع في الحكم عليه بالأحكام العامة والتي كثيرا ما تكون سلبية في حق الأخر، أي الحكم بفساده دون إعتبار للمقدمات والأسباب الحقيقية التي أدت به إلى ذلك. هذا ما إكتشفه إبن رشد من خلال مؤلف الغزالي المعروف ب..تهافت الفلاسفة وهو حكم عام على كل من أراد أن يوظف العقل في تأويل النصوص أو إبداء الآراء بأحكام عقلية حتى و إن كانت ملتزمة بإحترام المبادئ و التراث الإسلامي بصفة عامة[3].

---

[1]- **الجابري محمد عابد**، المثقفون في الحضارة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان بط 2000 ص42

[2]- **الجابري محمد عابد** ، المرجع نفسه ص46.

[3]- **الجابري محمد عابد** ، المرجع نفسه ص48.

يقول إبن رشد في حكمته الفلسفية ينبغي لمن أقر طلب الحق ،إذا وجد قولا غير ملائما ولم يجد مقدمات محمودة تزيل عنه ذلك القول، أن لا يعتقد أنه باطل، بل لابد من الرجوع إلى أصل السؤال ومحاولة معرفة الأسباب في ذلك، هذه الحكمة في التعامل مع القضايا عند إبن رشد دفعت بالجابري إلى تبني مفهومه في التسامح في العصر الحديث وهو ضرورة إحترام الحق في الإختلاف خاصة أن هذا المفهوم مقترن بقيمة العدل[1].

من هنا نجد أن نظرة الجابري للتسامح جاءت متصلة مع منهجه العام الذي يستلزم ضرورة الربط بين المكونات العقلانية العادلة و المتسامحة للتراث [2]. عليه نقول أنه وعلى الرغم من أن الجابري إستطاع أن يبرهن على الحضور الهام للتسامح في التراث،إلا أنه وقف هو الاخر عند عتبة الحد الفكري النظري، ولم يبادر في التساءل عن كيفية إدراج المفهوم في العالم الواقعي الملموس، كالحقل السياسي مثلا لما له من أهمية في معالجة القضايا الخاصة بالشعوب والمجتمعات. بهذا نحن لا نعاتب الجابري في إهتمامه بالجانب النظري في معالجته للتسامح كمفهوم في الفكر العربي الإسلامي المعاصر إنطلاقا من التراث، بل نقول أن افكار الجابري ومنهجه في التعامل مع مثل هذه القضايا كانت تتطلب التجسيد الفعلي الواقعي، بإعتباره الفكر الذي كان قريب من إنصاف التراث مقارنة بأولئك الذين حكموا عليه بالقصور وعدم القدرة في مجارات الواقع والتفاعل معه.

والنماذج كثيرة خاصة تلك التي تأثرت وتبنت كل ما هو غربي، الأمر الذي أدى بها إلى الحكم على التراث الإسلامي بالتعصب وعلى أن مصطلح التسامح وغيره من المصطلحات الحديثة كالحرية والديمقراطية والليبرالية فهي مصطلحات تندرج ضمن أنواع اللامفكر فيه في الفكر العربي الإسلامي هذا ما أشار إليه محمد أركون وغيره من المفكرين العرب الأنواريين أو الحداثين على شاكلة علي أومليل والذين أرجعوا المصطلح إلى أصله الأوروبي أي أن التسامح إذا خرج عن محيطه يفقد في نظرهم دلالاته و معناه. كما عمل المفكرون العرب في عصر النهضة من جيل محمد عبده، وعبد الرحمن

[1]- **الجابري محمد عابد** ، قضايا في الفكر المعاصر،مركز دراسات الوحدة العربية، بط 1997،ص24.

[2]- **الجابري محمد عابد** ، المرجع نفسه ص28 ص32

الكواكبي، وخير الدين التونسي، و رفاعة الطهطاوي، ولطفي السيد، والطاهر حداد، على تأصيل المفاهيم الغربية الحديثة داخل المرجعية التراثية والثقافية الإسلامية. هذا يعني أن الحرية والتسامح والعقلانية وغيرها من المفاهيم المعاصرة ليست مقصورة على أوروبا وثقافتها ولا مشروطة بسياقها التاريخي وأن هذه المفاهيم أصيلة في التراث العربي الإسلامي، وفي غيره من تراث الإنسانية، وهي تتجلى بصور أخرى وفي نسق من المفاهيم الأخرى كالجهاد والعدل والمساواة.

في الأخير نقول أنه قد ثبت أن نهج التسامح هو نهج إسلامي أصيل وليس فكرة غربية مستوردة، وهذا ما توصلنا إليه من خلال الدراسة التي توقفنا بواسطتها عند العديد من المحطات التي ساعدتنا في إدراك القيمة الحقيقية للتسامح بإعتباره سلوكا إسلاميا أثبتته النصوص التي عبرت عليه في أكثر من أية وحديث.

لقد رفع الإسلام شعار التسامح قانونا كليا لا يقبل التجزئة وجعله دستورا لحياة البشر ، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وهذا يعني أن الأساس العقائدي لقضية التسامح راسخ في فلسفتنا وتراثنا وديننا الإسلامي. والمطلوب هو إحياء تربوي لقيم التسامح الإسلامي ، والانتقال بها من مجرد الحضور القيمي في مدونات الثقافة إلى حضور فعلي وقيمي عملي في إطار الحياة الاجتماعية والسياسية كما فكر في ذلك العديد من المصلحين العرب والمسلمين، من خلال أعمالهم الهادفة إلى تأصيل التسامح في الأوساط الإجتماعية لما لهذا المصطلح من أهمية في حياة الفرد والمجتمع، كالمصلح التونسي الطاهر بن عاشور والجزائري عبد الحميد إبن باديس الذي فكر في مستقبل الأجيال فأراد في ذلك إدراج المصطلح في البرامج التربوية حتى ينشأ الفرد في أوساط فاضلة يسودها العدل و الحرية والمساواة والتي بواسطتها يتحقق التسامح والتعايش وإحترام الغير.

بقي أن نقول أن العبرة ليست في المفهوم في حد ذاته، وإنما هي في التصور الذي يصدق عليه أو يستغرقه من جهة، وعن المرجعية التي تحدد خلفية هذا المفهوم وأبعاده العقدية والسياسية والمدنية من جهة أخرى، وتجنبا لكل شبهة فما علينا إلا أن ننظر وننحت المفاهيم والمصطلحات التي تعبر وبكل أمانة علمية وعقدية عن كياننا الحضاري إذا ما

أردنا أن نتجنب استعارة مثل هذه المفاهيم التي كثيرا ما تقودنا إلى أن نكون مسيرين فيها لا مخيرين.

عليه لابد أن أشير إلى أن تأصيل التسامح أمر يستدعي إستعادة المثقفين مكانتهم في الحياة الإجتماعية، وذلك بترسيخ ثقافة الحوار والتواصل، وإستبعاد ثقافة العنف والصدام، فخلق ثقافة حقيقية تلتمس أصولها من الماضي وتساير الحاضر هو أمر يقتضي من جانب أخر التفاعل مع العصر وتوجهاته، وهذا الإختيار يتطلب قطيعة مع الفكر الأحادي وتجديد قيمة العفو والتسامح والإرتقاء بها إلى مستوى إحترام الأخر ولا نقصد بذلك الجانب العقائدي أو الديني بل السلوك الإنساني في تعاملاته مع الأخر، إذ بهذا نؤكد على أن تأصيل التسامح في التراث العربي الإسلامي تأصيلا يستوجب الكشف عما وجد فعلا وإعادة رسم صوره المفقودة حتى يتم توظيفه والتعامل معه بفاعلية لا بإنفعالية.

الخاتمة

في خاتمة هذه الدراسة لا بد أن أشير إلى جملة من الملاحظات والتي تمكنت من الوصول إليها من خلال البحث أهمها: أن إشكالية مفهوم التسامح في الفكر العربي الإسلامي المعاصر من الإشكاليات الفكرية التي يصعب الوصول إلى تحديد معناها الأصلي وأبعادها، لكن بإمكاننا أن نتوقف عند معناها من خلال دراستنا للواقع، أي واقعنا وواقع غيرنا، باعتبار أن التسامح عملية إلزامية تستدعي الحوار والتعايش وتقبل الآخر الذي لا نستطيع بدونه تحقيق ما نأمل بلوغه. فالتسامح في أبعاده يقوم على حق الإختلاف وإدراك معاني التعددية و الإيمان بالعلاقات المتوازنة بين الأفراد والمجتمعات، ويؤمن أن الإختلاف لا ينبغي أن يقود إلى الصراع وعدم الإعتراف بالأخر، فحق الإختلاف مسألة أشار إليها التنزيل الكريم إذ جاء في قوله تعالى :" **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** "[1]

والتسامح لا يعني التساهل أو التنازل عن المبادئ والقيم، ولكن التواصل والاستفادة من الغير في تقاسم المحاسن، وتجنب المساوئ، والعمل على بيان محاسن الإسلام والمسلم، وذلك نزولا عند قوله تعالى: "**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**"[2]

والتسامح من أهم القضايا التي اهتم بها الإسلام حيث وضع لها أسسا راسخة مبينا في ذلك واجب المسلمين بعضهم مع بعض، وما يجب عليهم تجاه مخالفيهم من أهل الملل الأخرى، كما أن التسامح في الإسلام لا يعني المساواة أو التنازل والتساهل بل هو قبل كل شيء اتخاذ موقف ايجابي فيه إقرار بحق الآخر وجعله يتمتع بحريته.

فلا يجوز بأي حال توظيف التسامح لتحقيق رغبات على حساب الآخرين، فالتسامح ممارسة ينبغي اعتمادها باعتبارها سلوكا تواصليا يساعد الفرد والمجتمع على التعايش كونه مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان، فهي لا تقبل الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها، بل تعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن

[1]- سورة **المائدة** الآية 48.
[2]- سورة **الأعراف** الآية 99.

يتمسك الآخرون بمعتقداتهم، كما أنه يعني الإقرار بأن البشر مختلفين وأن الآراء لا تفرض على الغير، ما دام أن التسامح في جوهره واحد و في تجلياته متحد مع القيم الإنسانية الخلاقة. كما أن التسامح قيمة أخلاقية رفيعة عرفتها الشعوب الإنسانية منذ الأزل وهي القيمة العليا التي لطالما عبرت عن الحضور الخلاق لإنسانية الإنسان أينما حل وأينما ارتحل.

من خلال الدراسة أدركنا أن مفهوم التسامح لا ينشطر مع انشطار الفكر ولا ينفصل مع انفصال الآراء والنتائج. فهو قيمة إنسانية أثبتتها الحضارات العريقة على مر الأزمنة وتأثرت بها الشعوب وأصبحت الملاذ الذي تفضله الشعوب باعتباره السلوك الملائم للأمم لتجاوز أزماتها الفكرية والسياسية والاجتماعية وحتى العلمية منها، فالتسامح يشكل منطلق الانعتاق الإنساني من القهر والعبودية والمهانة وهو حال مجتمعاتنا العربية المعاصرة وما أصبحت تعانيه من أساليب العنف والتعصب واللاتسامح بين شعوبها، وبينها وبين الأخر هذا الأخر الذي أدرك ضعفها ولم يكتفي باستبدادها وحرمانها وتراجعها بل تطاول حتى على مبادئها التي كانت مضرب مثل للتعايش وتقبل الأخر الذي كان فيما مضى يتمتع بحق الذمي المصون في حياته وحقوقه وواجباته، هذا بالرغم مما اقترفه من جرم في حق الإنسانية باسم نصرة الدين وما قضية عائلة كلاس **callas** الفرنسية ذات النزعة البروتستانتية إلا دليل على حقيقة ما كانت تفكر فيه المجتمعات المستبدة التي تواصلت في سلوكاتها بحجة نصرة الدين على حساب الإنسانية مخالفة في ذلك الشرائع الإلهية التي تحث على المبادئ الأخلاقية، **باعتبار أن التسامح في الإسلام مبدأ أصيل تدل عليه النصوص**، ويشهد عليه تاريخ المسلمين في عهد النبوة والخلافة بمختلف مراحلها، ولا أدل على ذلك ما عايشته المجتمعات النصرانية داخل الوسط الإسلامي المتسامح والمتعايش مع الآخر في ظل نظامه الذي يحترم الديانات التوحيدية الأخرى، والتسامح في الإسلام ثمرة تصور المسلم للكون والإنسان والحياة، فهو في نظره انعكاس لالتزامه

بدينه وصولا لتحقيق التعايش مع الآخرين تطبيقا لقوله تعالى :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**"[1] ومن هنا فإن التزام المسلمين بذلك وحمايتهم لحقوق أتباع الديانات الأخرى الذين يعيشون في المجتمعات الإسلامية أمر يدخل في التزاماتهم الدينية التي تفضي إلى الحفاظ والدفاع عن الحقوق الإنسانية، وأي تجاوز أو عدوان على هذه الحقوق يعد تجاوزا وعدوانا على تعاليم الدين الإسلامي، عليه فإن التسامح كسلوك وموقف ليس منة أو دليل ضعف وميوعه في الالتزام بالقيم، بل هو من مقتضيات القيم ومتطلبات الالتزام بالمبادئ، فالغلظة والشدة والعنف في العلاقات الإنسانية والاجتماعية هي المناقضة للقيم، فوحدة المجتمعات الإنسانية وتعايشها خاصة المجتمعات العربية الإسلامية بحاجة إلى غرس قيم ومتطلبات التسامح في فضائنا الاجتماعي والثقافي والسياسي، وأن توظيف عقولنا وأفكارنا وعلومنا أصبح اليوم أكثر من ضرورة للقضاء على كل ما يفرقنا ويفشي الضغينة بيننا.

لقد أثبت الواقع السياسي والاجتماعي أن خطاب التسامح وحوار الحضارات ليس مجرد سلاح دعائي إلتجأت إليه إيديولوجيا القوى الغربية لحسم الصراعات الحضارية لصالح أطروحتها النظرية، بل هو خطاب لنموذج فعلي، نموذج الإنسان الجديد الذي أنجبته عوالم التطورات التكنولوجية والتقنية وعوالم القيم الليبرالية الجديدة الاقتصادية والسياسية والأخلاقية.

وللحد من الإشكالية التي يطرحها مفهوم التسامح، فإن المادة الأولى من **إعلان مبادئ بشأن التسامح)** المعتمد من قبل المؤتمر العام لليونسكو **في 16نوفمبر 1995** نصت على « أن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا، ولأشكال التعبير، وللصفات الإنسانية لدينا، ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح، والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد، وأنه الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجبا أخلاقيا فحسب»،بل ضرورة تفرضها العلاقات الإنسانية ، وتضيف نفس المادة أن التسامح لا يعني التنازل أو التساهل، بل هو قبل كل شيء موقف إيجابي، يقر بحق الآخرين في

[1]– سورة **الحجرات** الآية 13.

التمتع بحقوقهم وحرياتهم الأساسية المعترف بها عالميا، ولا تعني تقبل الظلم الاجتماعي، أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها...

ويمكن أن نستخلص بأن تطور حياة الإنسان يجعل مفهوم التسامح لا ينحصر في معنى التكرم الذي يفهم من فعل سمح، ولا يبقى مقيدا بوقائع وأحداث تميزت بها حقبة تاريخية معينة، في منطقة جغرافية محددة، وإنما يشمل المضامين التي لا يمكن القول بأنها جديدة وإنما برزت أكثر واتسع تداولها في العصر الحاضر، والتي تتمثل في ضرورة الاحترام المتبادل والمتكافئ، بين الأفراد والجماعات، لحق كل فرد وكل جماعة في الاختلاف في الآراء والأفكار، في مختلف المجالات العقائدية والفلسفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ... وضمان حرية التعبير عن هذا الحق من طرف الجميع ولمصلحة الجميع . في الأخير نقول أنه وبالرغم من إلزامية الدراسة التي خصصت للحديث عن مفهوم التسامح في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، إلا أنه ليس بمقدور أي باحث أن يتطرق لدراسة مثل هده المصطلحات ذات الصبغة العالمية دون الإهتمام بالأخر، هذا الذي يعتقد أن المجال حكر على الأقوى والأعرف غير مبالي بما للأخر من أهمية في مثل هكذا مواقف .

إذا كان التسامح من طبيعة الدين الإسلامي كما يدعي الكثير من المثقفين، فلماذا نرى العنف سيد المواقف في المجتمعات العربية الإسلامية؟كما يدعي البعض أن التسامح من شيم ديننا وتراثنا هذا التراث الذي لم يوظف التوظيف الملائم بإعتباره عاملا مساعدا للتعايش و الحرية والعدل والمساواة ، إذ هناك العديد من الآيات والأحاديث التي حثت وأشارت إليه، هذا بالرغم من أنها لم تشر إلى مصطلح التسامح بالمعنى المباشر له.

كما أنها لم تستثني ظواهر العنف والتعصب من التراث ،فلماذا تمسك العربي المسلم بالعنف وإبتعد عن التسامح ؟.السؤال الذي ما زال يبحث عن تحديد الموقف الإيجابي الذي يمكن المجتمعات العربية الإسلامية أن ترجع إلى سابق حضارتها التي كانت مضرب مثل للعديد من الملل.

أي المجتمعات على إختلاف مشاربها. هذا ويمكن القول أن الطموحات الرامية إلى قيم التسامح مهما كانت تبدو بعيدة المنال ،بسبب الممارسات التي تضرب عرض الحائط بالتعاليم الدينية والمواثيق الدولية، فإنها تبقى الخيار الأنسب الذي لا بديل عنه لتخليص الحضارات الإنسانية من ظواهر دمارها، و المجتمع العربي الإسلامي بصورة خاصة بحاجة أيضا إلى ثورة من القيم السامية التي من أبرزها القيم الثقافية والمعرفية بحقوق الإنسان وإحترام الرأي والرأي الأخر، واجتناب أساليب العنف والإرهاب التي دنست معالم الثقافة الإسلامية، التي ترتكز على الإعتراف بكرامة الإنسان بما هو إنسان بغض النظر عن إنتمائه، فالقران الكريم يؤكد ذلك في الآية السابقة الذكر م ن سورة البقرة **لا إكراه في الدين »** .

إلى جانب أن الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قال :أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وآن تعطي من حرمك وأن تعفوا عن من ظلمك.وهو دليل على أن التراث العربي الإسلامي كان عملا مساعدا على تكون عقلية عربية إسلامية قابلة بشرعية الإختلاف و التسامح الذي لا يخرج عن المبادئ والقيم .كما أن تعزيز ثقافة التسامح بحاجة إلى الإنفتاح وإلى بيئة مناسبة تتسم بفضاء الحرية وحق التعبير وحق الإختلاف.و التسامح كما هو معلوم ليس فضيلة فقط بل ضرورة وجودية إجتماعية وثقافية وسياسية، وذلك من أجل حماية واقعنا من المخاطر الدوغمائية والتعصب الأعمى الذي يمكن أن يحيط بنا و يستهدف وجودنا ومكاسبنا و طموحاتنا في الحياة .

في النهاية أصرح و أنا أدرى بما للإشكالية من صعوبة فأقول: لست أزعم لهذا البحث ما ليس فيه ولا أدعى ما لا يليق به أو يستحق على الأسئلة التي استدعتها الإشكالية المطروحة، وأتمنى أني قد احترمت منهجية العمل الأكاديمي الجامعي التي تليق بمستوى الموضوع، وأتمنى أن تسود ثقافة التسامح بين الشعوب الإنسانية، وذلك في سياق ما يشهده العالم، وبالأخص العالم العربي الإسلامي من صراعات وأعمال عنف فاقت كل التوقعات، وأملي أن يأخذ الموضوع حقه في الأوساط الأكاديمي ة، وذلك لما له من أهمية وقيمة إنسانية للمجتمعات عامة.

هذا وعلى الرغم من الإشكالية الكبيرة التي يطرحها مفهوم التسامح ،فإن عددا كبيرا من المفكرين يحاولون الخوض في أعماقه مثل ما تجرأنا نحن وإن إقتصر عملنا هذا على الجانب المفاهيمي والتاريخي وذلك لما يكتسيه الموضوع من حساسية وصعوبة في تحديد معناه ، المعنى الذي أصبح ضرورة إنسانية .

عليه أقول أنه إذا كان اللاتسامح يشكل مظهرا من مظاهر الحياة الإجتماعية، فإن التسامح هو المشهد الإنساني التي تغيب فيه مظاهر العنف والتعصب، ففي ذلك يحذر فيلسوف السلم غاندي من إستمرار العداء والإحتراب بقوله: إذا قابلت الإساءة بالإساءة فمتى تنتهي الإساءة يا ترى؟"،مع العلم أن الحياة أقصر من أن نقضيها في تسجيل الأخطاء التي يرتكبها غيرنا في حقنا أو في تغذية روح العداء بين الناس ،فلنكن من يبادر بالتسامح ونبني حياة إنسانية كريمة ومستقرة يسود فيها التسامح والتعايش وإحتواء الأخر و ذلك بإحترامه و تقبل إختلافه دون إفراط في المعتقد والمبدأ و العمل على إستثمار عامل الوقت في خدمة الإنسانية .

فهـــــرس

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم** على رواية ورش مجمع الملك فهد لطباعة المصاحف الشريفة، المدينة ،العربية السعودية.

- **ابن هشام،** السيرة النبوية، ج1

المصـــــادر:

أركون محـــمد:

1 -من الإجهاد إلى نقد العقل الإسلامي : هاشم صالح دار الساقي، ط1، 1991، بيروت لبنان.

2 -الإسلام أوروبا الغرب: رهانات المعنى و إرادات الهيمنة / تر: هاشم صالح دار الساقي ط2 2001 بيروت لبنان.

3 -الفكر الإسلامي قراءة علمية: تر:هاشم صالح مركز الإنماء القوي، ط2 1996 بيروت لبنان .

4 -الفكر العربي :تر: عادل العوا منشورات عويدات ط3 ،1985 بيروت ،لبنان .

5 -العلمنة و الدين : الإسلام - المسيحية – الغرب ، دار الساقي ط 3، 1996 بيروت ، لبنان .

6 -من فيصل التفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، دار الساقي ط2 1995 بيروت لبنان.

7 -نقد العقل الديني : كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ تر : ها شم صالح ، دار الطلبة للطباعة و النشر، ط1 1998 بيروت لبنان .

8 -الفكر الإسلامي نقد و اجتهاد، تر: هاشم صالح ط3، 1998، دار الساقي بيروت لبنان.

10- **تاريخية الفكر العربي الإسلامي** مركز الإنماء القومي ، المركز الثقافي العربي ، ط2 1996 ، الدار البيضاء ، المغرب.

9 -قضايا في نقد العقل الديني ، كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ تر : ها شم صالح ، دار الطليعة ط3، 2004 ، بيروت ص 243.

10 - أركون محمد ، العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب ،الأهالي للطباعة و النشر التوزيع ط1 2001 دمشق سوريا.

11 - الإسلام أوربا الغرب ، (رهانات المعنى وإرادات الهيمنة)، ت. هاشم صالح، دار الساقي، مكتبة الاسكندرية، ط2، 2001.

الجـابري محـمد عـابد :

12 -المشروع النهضوي العربي : مراجعة نقدية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 1 ،1996 بيروت لبنان .

13 -قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1 1998، بيروت لبنان.

14 -نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 2006 بيروت لبنان.

15 -التراث والحداثة: دراسات ومناقشات مركز دراسات الوحدة العربية 1991 بيروت ،لبنان .

16 -المثقفون في الحضارة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية بدون طبعة ، 1995 بيروت، لبنان .

17 -قضايا في الفكر المعاصر ط1،1997 مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان.

18 -اشكاليات الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ط 2 ، 1990 ، بيروت لبنان .

19 -العقل السياسي العربي: دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ط5 ، 2000.

علـــي اوميـــل :

20 - الإصلاحية العربية والدولة الوطنية : المركز الثقافي العربي ط 1 ، 1985، الدار البيضاء المغرب.

21 - في شرعية الاختلاف، المركز الثقافي العربي ط2 ، 2005، الدار البيضاء المغرب .

22 - سؤال الثقافة : الثقافة العربية في عالم متحول المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ط1 2005 .

- علـــي حـــرب :

23 -الممنوع و الممتنع : نقد الذات المفكرة ، المركز الثقافي العربي ، ط4 ، 2005 الدار البيضاء، المغرب.

24 -أزمة الحداثة الفائقة : الاصطلاح – الإرهاب – الشراكة، المركز الثقافي العربي ط1 ، 2005 ، الدار البيضاء ، المغرب.

25 -الأختام الأصولية و الشعائر التقدمية : المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2001 ، الدار البيضاء ، المغرب.

طه عبد الرحمن :

26 -الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط2 ، 2009 لبنان.

27 -العمل الديني وتجديد العقل: المركز الثقافي العربي ، ط 2 ، 1997 ، الدار البيضاء المغرب.

28 -روح الحداثة: المركز الثقافي ط2 ، 2009 بيروت لبنان .

عمـــارة محـمد:

29 - التراث في ضوء العقل : دار الوحدة بيروت لبنان ط1 ، 1980 .

30 - مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ط 2 2007.

حســـن حنـــــفي :

31 - التراث والتجديد : موقعنا من ال تواث القديم ط 5 ، 2002 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

عبد اللطيف كمال :

32 - مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، ط 1 ، 1992 بيروت لبنان.

جعـــيط هـــشام :

33 - الفتنة : جدلية الدين و السياسة في الإسلام المبكر ، دار الط ليعة ، بيروت ، ط 4 ، 2000 ، لبنان .

الميلاد زكي:

34 - من التراث إلى الإجتهاد : الفكر الإسلامي و قضايا الإصلاح و التجديد ، المركز الثقافي العربي ط1 ،2004 ـ الدار البيضاء المغرب.

35 - الإسلام و الإصلاح الثقافي ، دار أطياق للنشر و التوزيع ، القطيف السعودية 2007 بدون طبعة .

عبد الحســـين شعـبان :

36 - فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي ،ط1 ، 2005 ، دار النهار للنشر ، بيروت لبنان .

خلـــيل أحمـــد خلـــيل :

37 - العقل في الإسلام: دار الطلبة للنشر ط2 2010 بيروت ، لبنان.

بدوي عبد الرحمن:

38 - المذاهب الإسلامية، دار العلم للملايين، بدون طبعة، 1997، بيروت لبنان.

المـــــــــراجـــع:

39 - الميلاد زكي – الإسلام و التجديد – كيف يتجدد الفكر الإسلامي ؟ المركز الثقافي العربي ط1 2006 الدار البيضاء المغرب.

40 - سبيلا محمد – الديانات السماوية و موقفها من العنف – منشورات الزمن ط 2 ، 2011 الدار البيضاء المغرب.

41 - هاني إدريس – العرب والغرب- أين العلاقة – أي الرهان ؟ دار الإتحاد ط 1998، بيروت لبنان.

42 - عبد الغفار نصر – التراث من منظور مختلف – منشورات دار علاء الدين ط 1 ،1999 دمشق سوريا .

43 - غازي التوبة – الفكر الإسلامي المعاصر – دراسة و تقويم ط 3 ، 1977 دار العلم، بيروت لبنان

44 - غارودي روجي- الإسلام – دار الفارابي تر : وجيه اسعد ط2 2001 الجزائر.

45 - مرحبا محمد عبد الرحمن - أصالة الفكر العربي ، المطبوعات الجامعية الجزائر – ط2 1983.

46 - نايلة أبي نادر – التراث والمنهج بين أركون و الجابري – الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1 2008 بيروت لبنان .

47 - البازياني محمد سيد نوري – مفهوم السلم في الفكر الإسلامي، دراسة تحليلية مقارنة بين الشريعة والقانون – دار المعرفة ط1 2007 بيروت لبنان .

48 - المحمداوي محمد عبود – خطاب الهوايات الحضارية ، من الصدام إلى التسامح ، دراسة مقارنة بين المنجز الغربي و المنجز الإسلامي – دار ابن النديم للنشر و التوزيع ط1 2012 ، الجزائر.

49 - مسرحي فارح - الحداثة في فكر محمد أركون – منشورات الإختلاف الدار العربية ناشرون، ط1 2006 الجزائر.

50 - ابن رشد - فصل المقال - تقديم و تعليق أبو عمران الشيخ و الأستاذ جلول البدوي – بدون طبعة 1982 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.

51 - شلتون محمود – الإسلام عقيدة و شريعة – دار الشروق ط4 1968 القاهرة.

52 - سبيلا محمد – مدارات الحداثة الشبكة العربية للأبحاث و النشر ط 1 2009 بيروت لبنان.

53 - مجموعة من المؤلفين –محمد عابد الجابري – كتاب الإسلام والحداثة والإجتماع السياسي، مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط1 ، 2004 بيروت لبنان.

54 - السمالوطي نبيل محمد توفيق – الدين والبناء الإجتماعي – دار الشروق، ط 1 ، 1981 بيروت، لبنان.

55 - سلام رفعت – بحثا عن التراث العربي، نظرة نقدية منهجية – ط 1 1989 دار الفارابي ، بيروت لبنان.

56 - حمو محمد ايت – أفق الحوار في الفكر العربي المعاصر- منشورات الإختلاف، دار الأمان الرباط المغرب ط1 ،2012 المغرب.

57 - محمد جلال –نشأة الفكر السياسي و تطوره في الإسلام – دار النهضة العربية ط 2، 1990 بيروت لبنان.

58 - غارودي روجي – حوار الحضارات – عويدات للنشر والطباعة ط 5 ، 2003 بيروت لبنان .

59 - طه عبد الرحمن – روح الحداثة – المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية المركز التفافي العربي ط1 2006 الدار البيضاء المغرب.

60 - أبو العز عزمي زكرياء – الفكر العربي الحديث والمعاصر – دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ط1 ،2012 عمان الاردن.

61 - بوسلهام القط – إشكالية الوحدة والإنقسام في الفكر العربي الإسلامي والفكر العربي بين السياسة والدين.

62 - عبد اللطيف كمال – الحداثة والتاريخ – حوار نقدي مع بعض أسئلة الفكر العربي، إفريقيا الكبرى 1999 بيروت لبنان .

63 - المصباحي محمد – الدين و السياسة من منظور فلسفي – مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء، المغرب، منشورات عكاظ 2011.

64 - مجموعة من المؤلفين – العلاقات الإسلامية المسيحية – قراءة مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل ،ط1 1994 مركز الدراسات الإستراتجية والبحوث والتوثيق بيروت لبنان.

65 - ماجد الغرباوي – التسامح ومنابع اللاتسامح- فرص التعايش بين الأديان والثقافات مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد ط1 ، 2006 العراق.

66 - محمد محفوظ – في معنى التسامح – التسامح وأفات السلم الأهلي، مركز دراسات فلسفة الدين ط1 2005 بغداد.

67 - عبد اللطيف كمال – أسئلة الحداثة في الفكر العربي – من إدراك الواقع إلى وعي الذات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط1 2009 ، بيروت لبنان.

68 - مرشو غريغوار منصور الحسيني سيد محمد – نحن و الأخر- دار الفكر المعاصر ط1 ،2001 بيروت لبنان.

69 - مجموعة مؤلفين – قضايا التنوير والنهضة في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد 18 ط 2 2004 بيروت لبنان.

70 - الخطابي عز الدين : أسئلة الحداثة ورهاناتها، في المجتمع و السياسة والتربية، منشورات الاختلاف ط1 2009 الجزائر.

71 - عيدان يوسف – التنوير في الإنسان – الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ط1 2009، الجزائر.

72 - مجموعة مؤلفين – التسامح بين شرق وغرب سمير الخليل- دار الساقي بيروت ط1 1992 ، لبنان .

73 - إسحاق أديب – التعصب و التساهل – من كتاب أفواد على التعصب لمجموعة من المؤلفين – دار أمواج للطباعة و النشر ط1 1993 بيروت لبنان.

74 - موسى أمير – حقوق الإنسان – مدخل إلى وعي حقوقي سلسلة الثقافة القومية، مركز الدراسات الوحدة العربية ط1 1994 بيروت لبنان.

75 - غليون برهان - اغتيال العقل – موقع للنشر ، بدون طبعة 1990 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر.

76 - خلف الله محمد– القرآن والدولة – المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1991 بيروت لبنان.

77 - عمر ها شرم احمد – الإسلام دين التسامح – دار الفاروق القاهرة ط 1 2006 مصر.

78 - التو يجري عبد العزيز – الحوار من أجل التعايش – دار الشروق القاهرة ط 1 1998.

79 - يوسف بن عدي – أسئلة التنوير والعقلانية في الفكر العربي المعاصر- الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإخلاف ط1، 2010 الجزائر.

80 - أشرف عبد الوهاب – التسامح الاجتماعي بين التراث والتغيير مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة 2005.

81 - الغرباوي ماجد – التسامح و منابع اللاتسامح، فرص التعايش بين الأديان والثقافات ط1 2008 مؤسسة عارف للطباعة و النشر بغداد.

82 - مجموعة من المؤلفين – التراث وتحديات العصر في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ط1 1985 بيروت لبنان.

83 - حنفي حسن والجابري محمد عابد – حوار المشرق و المغرب- المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1 1990، بيروت لبنان.

84 - مليكان مصطفى – مفهوم التسامح- إطلالة على الركائز النظرية ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد 2005.

85 - أمين أحمد- زعماء الإصلاح في العصر الحديث- دار الكتاب العربي بيروت لبنان بدون طبعة وبدون تاريخ.

86 - الطالبي عمار –إبن باديس حياته وأثاره ج 1مطبوعات وزارة الشؤون الدينية دار البعث قسنطينة .

87 - عبده محمد الأعمال الكاملة –ج1،دراسة وتحقيق :محمد عمارة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيوت 1972.

88 - بلعقروز عبد الرزاق – تحولات الفكر الفلسفي المعاصر أسئلة المفهوم و المعنى والتواصل ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ط1 ، 2009 الجزائر .

89 - د.**إبراهيم سلمان الكدري ، الدكتور عبد التواب ثري الدين** ، الحضارة العربية الإسلامية ،دار السلاسل ، بدون طبعة 1984 الكويت.

90 - معروف ناجي – أصالة الحضارة العربية ،دار الثقافة ط3- 1975 بيروت لبنان.

91 - عبد الرحمن طه ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ط3 2007 الدار البيضاء المغرب.

92 - أبو الحسن علي ابن الحسين المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، تحقيق محي الدين عبد المجيد ج1 ط4 1964.

93 - أركون محمد – النزعة الإنسانية تر: هاشم صالح دار الساقي بيروت ط1 1997 ، لبنان.

94 - مجموعة مؤلفين: أضواء على التعصب، دار أمواج بيروت ط 1 1993 بيروت، لبنان.

95 - إبراهيم فرحات – المجتمع الإسلامي والسلطة في العصور الوسطى، إفريقيا الكبرى، الدار البيضاء 1998 بدون طبعة.

96 - هشام جعيط– اروبا والإسلام، صدام الثقافة و الحداثة ، دار الطلبة بيروت ط 2 2001 لبنان.

97 - حسن الصفار ، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان ، المركز الثقافي الدار البيضاء المغرب.

98 - محمد نور الدين افاية ، العرب في المتخيل العربي، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة ط1 1996.

99 - مجموعة مؤلفين، التراث وتحديات العصر في الوطن العربي، الأصالة والمعاصرة ، مركز دراسات الوحدة العربية ط1 1985، بيروت لبنان.

100 -لوك جون ،رسالة في التسامح تر: من ابوسنة منشورات المجلي الأعلى للثقافة القاهرة ط1 1997.

101 -لوك جون ، رسالة في التسامح :تر عن اللاتينية مع تقديم وتعليق عبد الرحمن بدوي مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد و سلسلة ثقافة التسامح 2006.

102 -الشكعة مصطفى ، المطلعات الإسلامية في العقيدة والفكر، دار الكتاب اللبناني ط 2 1983 لبنان .

103 -دريدا جاك و آخرون ، المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة ، تر: حسن العمراني دار توبقال الدار البيضاء ط1 2005 المغرب.

104 -فلدي إسماعيل، الخطاب العربي المعاصر، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1 1991 بيروت ، لبنان .

105 -أركون محمد، العوامل والشوامل حول الإسلام المعاصر تر: هاشم صالح دار الطلبة ط1 ، 2010 بيروت لبنان . لم توظف

106 -عبده محمد ، الإسلام بين العلم و المدنية ، كتاب الهلال ، سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال مؤسسة الأهرام و الهلال العدد 114 1960 مصر.

107 -الأفغاني جمال الدين وعبده محمد ، **العروة الوثقى** تر: صلاح الدين السبتاني دار العرب، القاهرة ط3 1993 مصر.

108 -الحصين صالح عبد الرحمن ، التسامح والعدوانية، بين الإسلام والغرب ، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد المدينة المنورة، ط1 ، 2013 السعودية.

109 -قاسم جميل، العرب وما بعد الحداثة، نقد الفكر السياسي، دار النهضة العربية ط 1 2006 بيروت لبنان.

110 -بومسهولي عبد العزيز" مبادئ فلسفة التعايش" إفريقيا الشرق النشر و التوزيع بدون طبعة 2013 الدار البيضاء المغرب.

111 -حسن خليفة فريال "الفلسفة والتسامح والبيئة" مكتبة مدبولي ط 1 2006 القاهرة مصر.

112 -الزين محمد فاروق "المسيحية والإسلام والاستشراف"دار الفكر للطباعة والنشرط1 2000 دمشق سوريا.

113 -الجابري محمد عابد –الإسلام و الغرب (الأنا و الأخر) ..الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط1 2009 بيروت لبنان.

114 -الحداد محمد –"مواقف من اجل التنوير.دار الطليعة ط1 بيروت لبنان.

115 -أبو خليل شوقي – "التسامح في الإسلام " دار الفكرط1 1993 دمشق سوريا.

116 -المرزوقي جمال –"الفكر الشرقي القديم "دار الأفاق العربية ط 1 2001 القاهرة مصر.

117 -بدوي الطاهر- روح الإسلام وقوة المسلمين –دار الكتب العلمية بيروت بدون طبعة سنة 2012.

118 -إسماعيل زروقي -حوارات إنسانية في الثقافة العربية.دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع (الجزائر) بدون طبعة 2004.

119 -البازياني محمد سيد نوري – مفهوم السلم – (دراسة تحليلية مقارنة) دار المعرفة ط1 2007 بيروت لبنان.

120 -عزمي زكرياء ابو العز –الفكر العربي الحديث والمعاصر-دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ط1 2012 عمان الأردن.

121 -123-**جمال عبد الجواد** –التسامح – مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية الأهرام القاهرة سنة 2000 بدون طبعة

122 -خليفة فريال حسن ،الفلسفة والتسامح والبيئة ،مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع ،القاهرة ط1 2006.

123 -أركون محمد-جوزيف مايلا- من منهاتن إلى بغداد (ما وراء الخير والشر) ت- عقيل الشيخ حسين دار الساقي ط1 2008 بيروت لبنان .

124 -**مسعود حايفي** –حوار الأديان – دار الأوائل للنشر والتوزيع ط 1 2012 دمشق سوريا.

125 -**خليفة فريال حسن** –الفلسفة والتسامح والبيئة مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع،القاهرة ط1

126 -2006 .

127 -ألتوسير لويس-الإديولوجيا –إعداد و تر :سبيلا محمد وعبد السلام بنعبد العالي – دفاتر فلسفية –دار توبقال للنشر ،ج8 ط2 2008 الدار البيضاء المغرب .

128 -نيكولسون بيتر –التسامح كمثال أخلاقي –(عن مج باحثين)التسامح بين شرق وغرب ط1 تر: إبراهيم العريس ،دار الساقي للطباعة ط4 1998بيروت لبنان.

129 -عصام عبد الله –المقدمات الفلسفية للتسامح الثقافي ، الإمارات العربية بدون طبعة 2005.

130 -بن علي ياسين –مفهوم التسامح بين الإسلام والغرب ط 1 دار الدعوة الإسلامية للنشر طرابلس بدون طبعة 2006.

131 -أشرف عبد الوهاب –التسامح الإجتماعي بين التراث والتغيير، مركز البحوث والدراسات الإجتماعية ، جامعة القاهرة بدون طبعة 2006.

132 -الطعان عبد الرضا –الفكر السياسي في العراق القديم – وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر بغداد بدون طبعة 2006 .

133 -زيغود علي –الفلسفات الهندية ،قطاعاتها الهندوسية و الإسلامية ط 2 دار الأندلس 1983 بيوت لبنان .

134 -زيغود علي –الفلسفات الهندوسية ،قطاعاتها الهندوسية الجينية البوذية ،ط 1 دار النهضة بدون سنة القهرة مصر القاهرة .

135 -شلبي أحمد – أديان الهند الكبرى (الهندوسية الجينية البوذية) ط 1 دار النهضة القاهرة .

136 -بوبر كارل –نحو عالم أفضل تر :أحمد المستجير ، الهيئة المعرفية العامة للكتاب القاهرة بدون طبعة 1999.

137 -نبيل محمد توفيق السمالوطي –الدين والبناء الإجتماعي ،ج 2-دار الشروق للنشر والتوزيع ،جدة السعودية ط1، 1987.

138 -أبو خليل شوقي، التسامح في الإسلام ،دار الفكر المعاصر ،بدون طبعة وبدون تاريخ بيروت لبنان .

139 -إبن عاشور محمد الطاهر –أصول النظام الإجتماعي في الإسلام ، دار السلام بدون طبعة 2006، تونس .

140 -الطاهر محمد فضلاء، قال الشيخ الرئيس، الإمام عبد الحميد بن باديس ،دار البعث ،قسنطينة الجزائر بدون طبعة 1968 .طالبي عمار –إبن باديس حياته وأثاره، دار اليقضة العربية ط1 1968 الجزائر.

141 -بلقزيز عبد الإله –العرب والحداثة، دراسة في مقالات الحداثيين، مركز دراسات الوحدة العربية ط1 2008 بيروت لبنان.

المقـــــــالات و الملتـــــــــقيات :

142 -**أعمال ملتقى الفلسفة والتسامح مخبر الأبعاد القيمية** في الجزائر دار الغرب وهران سنة 2010.

143 -**دفاتر فلسفية** ، نصوص مختارة ، العنف ..محمد الهلالي ، عزيز لزرق دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء العدد 17 ط1 2009 المغرب ، العدد 7 العدد 18.

144 -**مجلة الحوار الثقافي**، مجلة فصلية أكاديمية محكمة تهتم بالدراسات العلمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، مخبر حوار الحضارات ، مستغانم الجزائر 2013.

145 -**العدالة والإنسان** : تأليف جماعي، عبد القادر بوعرفة، بومدين بوزيد منشورات مخبر الأبعاد القيمية في الجزائر ط1 2008 دار الوضوان للنشر وهران.

146 -**دفاتر فلسفية** ، نصوص مختارة الحرية ـ إعداد محمد الهلالي وعزيز لزرق، دار توبقال للنشر الدار البيضاء العدد 16 المغرب.

147 -**قراءات في مشروع محمد أركون أعمال ندوة** ، مخبر الدراسات الفلسفية والأكيولوجية جامعة الجزائر .

148 -محمد أركون **التسامح و اللاتسامح** في التراث الإسلامي مقال ضمن المجلة العربية لحقوق الإنسان السنة الثالثة عدد2 أكتوبر 1995.

149 -**أعراب إبراهيم ، التسامح و الإشكالية المرجعية في الخطاب العربي**، مجلة المستقبل العربي أكتوبر 1997 العدد 224.

150 -**أعمال الندوة الفكرية** حول فكر هشام شرابي، دار الغرب للنشر والتوزيع قسم مخبر الفلسفة وتاريخها ، النقد الحضاري بين الاختلاف والحداثة، جامعة وهران الجزائر ط4 2004.

151 -**سبيلا محمد** وعبد السلام بنعبد العالي، **الإيديولوجيا، دفاتر فلسفية** ، نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، العدد 8 ط2 2006 الدار البيضاء المغرب.

152 -**ملتقى جامعة الصحوة الإسلامية** مفهوم التسامح في البناء الحضاري، وزارة الشؤون الإسلامية الدار البيضاء المغرب 1995.

153 - **قراءات في مشروع محمد أركون** أعمال ندوة مخبر الدراسات الفلسفية والايكولوجية الجامعة الجزائر ،2 .

154 - **عاطف علي**، إشكالية التسامح مجلة التسامح وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية في سلطنة عمان.

العدد 18 ، 2007

155 - **عمارة محمد** –العرب والتحدي، عالم المعرفة ،مجلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة ،دار الفنون بدون طبعة 1982.

الرســـائل و الأطروحـــــات:

156 - **المستاري الجيلالي** ، سؤال التسامح في السياق الإسلامي دكتوراه جامعة وهران.

157 - **حسين لوكيلي** ، التسامح و قيم الحوار في الفلسفة ، جامعة وهران.

المعـاجم اللغويــة و القوامــيس الفلســفية :

158 -**ابن منظور** ،لسان العرب المجلد الثاني دار صادر بيروت ط1 ، 1992 لبنان .

159 -صليبا جميل ، المعجم الفلسفي ،ج1 الشركة العالمية للكتاب 1994 ،بيروت لبنان .

160 -سهيل إدريس المنهل ، طبعة جديدة منقحة و مزبدة ، دار الآداب قاموس فرنسي، عربي ،ط17 1996 بيروت ،لبنان.

161 -د.خليل أحمد خليل ، معجم المصطلحات الفلسفية، عربي، فرنسي، انجليزي ط 1 ، 1995،دار الفكر اللبناني.

162 -بدوي عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان ط1 ، 1984، ج2 .

163 -د. مد كور إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون الأمريكية للمطابع بدون طبعة.

164 -أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية تر: أحمد خليل منشورات عويدات ط 1 2008 دار عويدات للنشر بيروت، لبنان.

165 -ابن بكر الرازي ، مختار الصالح ، دار الفكر بيروت ، لبنان.

166 - أندري لالاند ، الموسوعة الفلسفية ، مج3 ، دار عويدات للنشر ن بيروت لبنان .

167 -الحلو عبده، معجم المصطلحات الفلسفية، فرنسي، عربي، المركز التربوي للبحوث والإنماء مكتبة لبنان.

168 -معلوف لويسي ، المنجد في اللغة ط4، 2001 بدون مكان.

169 -حسيبة مصطفى ، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع ط ، 2009 ، عمان الأردن .

170 -إبراهيم مصطفى احمد ، المعجم الوسط ،دار الدعوة ، اسطنبول ، تركيا ط 2 1889.

171 -د.خليل كمال ، معجم كنوز الأمثال والحكم العربية الثرية والشعرية، مكتبة لبنان ناشرون ط1 1998 ، بيروت ، لبنان.

172 -صبحي حمو وآخرون ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار الشرق بيروت ط 1 2001 لبنان.

173 -المعجم العلمي للمعتقدات الدينية –تر: سعد الفيشاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب بدون طبعة 2007.

174 -الجرجاني التعريفات –حققه وقدم له، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ط 4 1998 بيروت لبنان .

175 -منير البعلبكي – قاموس المورد ،دار العلم الملايين بدون طبعة 2005، بيروت لبنان .

المراجع باللغة الفرنسية:

1. **Christianisme et tolérance**, **Paul W**ells , Daniel Bergère , édition Kérygme , 33 AV ,Jules Ferry .F 13100 Aix , en Provence F .
2. **Michael Walser , traité sur la tolérance** traduit de Langlais par claim Suttner Gallimard , 1998 f.
3. **John – Rawls**, **théorie de la justice** , 1971, traduit par Catherine An dard paris seuil.
4. **Voltair**e « **traité sur la tolérance «** institut et mussé voltaire genèse 1763.
5. **Lidia Denkora** , Genève « **de la tolérance de Platon à Benyamin** « caustaut collection des classiques de la tolérance Unesco, paris France 2001.
6. **JOHN LOCKE** « **lettre sur la tolérance** » traduit en langue françaises par Jean le clerc , 1710, édition 2002.
7. **Thierry .p** . **la tolérance société démocratique** Vices et Vertus, Paris PUF 1ere édition 1997.
8. **erGhislain Wats « la question de la tolérance de Kant »** dans : cahier Eric Weil ,interprétation de Kant VL 3 Lille France , 1993 .
9. **Join ville** Ennezat , M**. Islamité et laïcité pour un contrat d'alliance** , paris l'harmattin 1998.
10. **Bénoit .L** . **tolérance et vérité** paris , édition nouvelle , cite 1993 .

11. **Baret –ducrocq**, F (dir) **l'intolérance** édition grasset et fasquelle, paris 1998.
12. **Voltaire** « **traite sur la tolérance** » Flammarion- paris 1989.
13. Arkon mohamed « **la pensée arabe** que sais je» quatrième édition Algérie sans date .
14. **Akron Mohamed «** ,**penser l'islam d' aujourd'hui**- édition la phonic 1993 Alger
15. **Le Goff j**. « **les racines médiévales de l'intolérance** in Baret sucrocq , F dir l'intolérance ,édition crasse fasequelle paris,

1998 .France .

16- Akron Mohamed- et Louis Gardet , l'islam hier et demain , édition barzak , Alger 2007.

قواميـــس و معـاجم باللغـة الفرنسية

17. Rey-Debové .J. le robert Montréal ,dicorbert 1996 France.
18. Voltaire Dictionnaire philosophique chronologie et préface par revue pommeau Flammarion (paris) 1964.
19. Le petit Larousse dictionnaire encyclopédique illustre édition 2009 en langue Française.
20. Foulquié .P. dictionnaire de langue philosophique paris, puf, 6ème édition 1992 .
21. le grand dictionnaire encyclopédique, librairie Larousse 1985 .
22. Arkoun Mohamed-« Essais sur la pensée islamique 3ème édition 1984 islam d'hier et aujourd'hui.
23. Frank puaux (précurseurs français) tolérance au 17ème siècles latines reprints Genève 1970.

فهرس

المـــــــلاحق

وحتى لا يبقى التسامح مجرد شعار أو قيمة من القيم التي قد يعتبر البعض أنها مبهمة ضمن مواثيق دولية تشمل قضايا متعددة و متباينة في مضامينها ، فقد صدر عن الدورة الثامنة و العشرين للمؤتمر العام لمنظمة اليونسكوا.

إعلان المبادئ بشأن التسامح

الإعلان المعتمد من طرف المؤتمر العام لليونسكو

اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995

إن الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة المجتمعة في باريس في الدورة الثامنة والعشرين للمؤتمر العام في الفترة من 25 تشرين الأول/ أكتوبر إلي 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995،

الديباجة:إذ تضع في اعتبارها أن ميثاق الأمم المتحدة ينص علي أننا "نحن شعوب الأمم المتحدة، وقد آلينا في أنفسنا أن ننقد الأجيال المقبلة من ويلات الحرب ...وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره ...وفي سبيل هذه الغايات اعتزمنا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معا في سلام وحسن جوار."

وتذكر بأن الميثاق التأسيسي لليونسكو المعتمد في 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1945ينص في ديباجته علي أن "من المحتم أن يقوم السلم عي أساس من التضامن الفكري والمعنوي بين بني البشر."

كما تذكر بأن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يؤكد أن "لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين" (المادة 18) و "حرية الرأي والتعبير" (المادة 19 (و "أن التربية يجب أن تهدف إلي ... تنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية" (المادة 26).

وتحيط علما بالوثائق التقنينية الدولية ذات الصلة، بما في ذلك:

-العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

-العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

-الاتفاقية الدولية للقضاء علي جميع أشكال التمييز العنصري.

-الاتفاقية الخاصة بمنع جريمة إبادة الجنس والمعاقبة عليها.

اتفاقية حقوق الطفل.

-اتفاقية عام 1951 الخاصة بوضع اللاجئين وبروتوكولها لعام 1967 والوثائق التقنينية الإقليمية المتعلقة بها.

-اتفاقية القضاء علي جميع أشكال التمييز ضد المرأة.

-اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة.

-الإعلان الخاص بالقضاء علي جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين علي أساس الدين أو المعتقد.

-الإعلان الخاص بحقوق الأشخاص المنتمين إلي الأقليات الوطنية أو الاثنية والدينية واللغوية.

-إعلان وبرنامج عمل فينا الصادران عن المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان.

-إعلان وخطة عمل كوبنهاغن اللذان اعتمدتهما القمة العالمية للتنمية الاجتماعية.

-إعلان اليونسكو بشأن العنصر والتحيز العنصري.

اتفاقية وتوصية اليونسكو الخاصتان بمناهضة التمييز في مجال التربية، وتضع في اعتبارها أهداف العقد الثالث لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري، والعقد العالمي للتثقيف في مجال حقوق الإنسان، والعقد الدولي للسكان الأصليين في العالم، وتضع في اعتبارها التوصيات الصادرة عن المؤتمرات الإقليمية التي نظمت في إطار سنة الأمم المتحدة للتسامح وفقا لأحكام القرار 27 م/5.14 الصادر عن المؤتمر العام

لليونسكو، واستنتاجات وتوصيات مؤتمرات واجتماعات أخر ى نظمتها الدول الأعضاء ضمن إطار برنامج سنة الأمم المتحدة للتسامح.

يثير جزعها تزايد مظاهر عدم التسامح، وأعمال العنف، والإرهاب، وكراهية الأجانب، والنزاعات القومية العدوانية، والعنصرية، ومعادة السامية، والاستبعاد والتهميش والتمييز ضد الأقليات الوطنية والاثنية والدينية واللغوية واللاجئين والعمال المهاجرين والمهاجرين والفئات الضعيفة في المجتمعات، وتزايد أعمال العنف والترهيب التي ترتكب ضد أشخاص يمارسون حقهم في حرية الرأي والتعبير، وهي أعمال تهدد كلها عمليات توطيد دعائم السلام والديمقراطية علي الصعيدين الوطني والدولي وتشكل كلها عقبات في طريق التنمية.

وتشدد علي مسؤوليات الدول الأعضاء في تنمية وتشجيع احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية بين الناس كافة، بدون أي تمييز قائم علي العنصر أو الجنس أو اللغة أو الأصل الوطني أو الدين أو أي تمييز بسبب عجز أو عوق، وفي مكافحة اللاتسامح .

تعتمد وتصدر رسميا ما يلي:

إعلان مبادئ بشأن التسامح

إننا إذ نعقد العزم علي اتخاذ كل التدابير الإيجابية اللازمة لتعزيز التسامح في مجتمعاتنا لأن التسامح ليس مبدأ يعتز به فحسب ولكنه أيضا ضروري للسلام وللتقدم الاقتصادي والاجتماعي لكل الشعوب، وتحقيقا لهذا الغرض نعلن ما يلي:

المادة 1

معني التسامح

1-1إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا. ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد. وأنه الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجبا أخلاقيا فحسب،

وإنما هو واجب سياسي وقانوني أيضا، والتسامح، هو الفضيلة التي تيسر قيام السلام، يسهم في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب،

1-2إن التسامح لا يعني المساواة أو التنازل أو التساهل بل التسامح هو قبل كل شئ اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية المعترف بها عالميا. ولا يجوز بأي حال الاحتجاج بالتسامح لتبرير المساس بهذه القيم الأساسية. والتسامح ممارسة ينبغي أن يأخذ بها الأفراد والجماعات والدول .

1-3إن التسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية (بما في ذلك التعددية الثقافية) والديمقراطية وحكم القانون. وهو ينطوي علي نبذ الدوغماتية والاستبدادية ويثبت المعايير التي تنص عليها الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان .

1-4ولا تتعارض ممارسة التسامح مع احترام حقوق الإنسان، ولذلك فهي لا تعني تقبل الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها. بل تعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم. والتسامح يعني الإقرار بأن البشر المختلفين بطبعهم في مظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، لهم الحق في العيس بسلام وفي أن يطابق مظهرهم مخبرهم، وهي تعني أيضا أن آراء الفرد لا ينبغي أن تفرض علي الغير.

المادة 2

دور الدولة

1-2إن التسامح علي مستوي الدولة يقتضي ضمان العدل وعدم التحيز في التشريعات وفي إنفاذ القوانين والإجراءات القضائية والإدارية. وهو يقتضي أيضا إتاحة الفرص الاقتصادية والاجتماعية لكل شخص دون أي تمييز. فكل استبعاد أو تهميش إنما يؤدي إلي الإحباط والعدوانية والتعصب.

2-2 وبغية إشاعة المزيد من التسامح في المجتمع، ينبغي للدول أن تصادق علي الاتفاقيات الدولية القائمة بشأن حقوق الإنسان، وأن تصوغ عند الضرورة تشريعات جديدة لضمان المساواة في المعاملة وتكافؤ الفرص لكل فئات المجتمع وأفراده.

2-3 ومن الجوهري لتحقيق الوئام علي المستوي الدولي أن يلقي التعدد الثقافي الذي يميز الأسرة البشرية قبولا واحتراما من جانب الأفراد والجماعات والأمم. فبدون التسامح لا يمكن أن يكون هناك سلام، وبدون السلام لا يمكن أن تكون هناك تنمية أو ديمقراطية .

2-4 وقد يتجسد عدم التسامح في تهميش الفئات المستضعفة، واستبعادها من المشاركة الاجتماعية والسياسية، وممارسة العنف والتمييز ضدها. وكما يؤكد الإعلان بشأن العنصر والتحيز العنصري فإن "لجميع الأفراد والجماعات الحق في أن يكونوا مختلفين بعضهم عن بعض" (المادة 1–2).

المادة 3

الأبعاد الاجتماعية

3-1إن التسامح أمر جوهري في العالم الحديث أكثر منه في أي وقت مضى، فهذا العصر يتميز بعولمة الاقتصاد وبالسرعة المتزايدة في الحركة والتنقل والاتصال، والتكامل والتكافل، وحركات الهجرة وانتقال السكان علي نطاق واسع، والتوسع الحضري، وتغيير الأنماط الاجتماعية. ولما كان التنوع ماثلا في كل بقعة من بقاع العالم، فإن تصاعد حدة عدم التسامح والنزاع بات خطرا يهدد ضمنا كل منطقة، ولا يقتصر هذا الخطر علي بلد بعينه بل يشمل العالم بأسره.

3-2 والتسامح ضروري بين الأفراد وعلي صعيد الأسرة والمجتمع المحلي، وأن جهود تعزيز التسامح وتكوين المواقف القائمة علي الانفتاح وإصغاء البعض للبعض والتضامن ينبغي أن تبذل في المدارس والجامعات وعن طريق التعليم غير النظامي وفي المنزل وفي مواقع العمل. وبإمكان وسائل الإعلام والاتصال أن تضطلع بدور بناء في تيسير التحاور

والنقاش بصورة حرة ومفتوحة، وفي نشر قيم التسامح وإبراز مخاطر اللامبالاة تجاه ظهور الجماعات والأيديولوجيات غير المتسامحة.

3-3وكما يؤكد إعلان اليونسكو بشأن العنصر والتحيز العنصري، يجب أن تتخذ التدابير الكفيلة بضمان التساوي في الكرامة والحقوق للأفراد والجماعات حيثما اقتضى الأمر ذلك. وينبغي في هذا الصدد إيلاء اهتمام خاص للفئات المستضعفة التي تعاني من الحرمان الاجتماعي أو الاقتصادي، لضمان شمولها بحماية القانون وانتفاعها بالتدابير الاجتماعية السارية ولا سيما فيما يتعلق بالمسكن والعمل والرعاية الصحية، وضمان احترام أصالة ثقافتها وقيمها، ومساعدتها على التقدم والاندماج علي الصعيد الاجتماعي والمهني، ولا سيما من خلال التعليم.

3-4 وينبغي إجراء الدراسات وإقامة الشبكات العلمية الملائمة لتنسيق استجابة المجتمع الدولي لهذا التحدي العالمي، بما في ذلك دراسات العلوم الاجتماعية الرامية إلي تحليل الأسباب الجذرية والإجراءات المضادة الفعلية، والبحوث وأنشطة الرصد التي تجري لمساندة علميات رسم السياسات وصياغة المعايير التي تضطلع بها الدول الأعضاء.

المادة 4

التعليم

4-1 إن التعليم هو أنجع الوسائل لمنع اللاتسامح، وأول خطوة في مجال التسامح، هي تعليم الناس الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها وذلك لكي تحترم هذه الحقوق والحريات فضلا عن تعزيز عزمهم علي حماية حقوق وحريات الآخرين .

4-2وينبغي أن يعتبر التعليم في مجال التسامح ضرورة ملحة، ولذا يلزم التشجيع علي اعتماد أساليب منهجية وعقلانية لتعليم التسامح تتناول أسباب اللاتسامح الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية – أي الجذور الرئيسية للعنف والاستبعاد، وينبغي أن تسهم السياسات والبرامج التعليمية في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الأفراد وكذلك بين المجموعات الاثنية والاجتماعية والثقافية والدينية واللغوية وفيما بين

الأمم.

3-4إن التعليم في مجال التسامح يجب أن يستهدف مقاومة تأثير العوامل المؤدية إلي الخوف من الآخرين واستبعادهم، ومساعدة النشء علي تنمية قدراتهم علي استقلال الرأي والتفكير النقدي والتفكير الأخلاقي.

4-4 إننا نتعهد بمساندة وتنفيذ برامج للبحوث الاجتماعية وللتعليم في مجال التسامح وحقوق الإنسان واللاعنف. ويعني ذلك ايلاء عناية خاصة لتحسين إعداد المعلمين، والمناهج الدراسية، ومضامين الكتب المدرسية والدروس وغيرها من المواد التعليمية بما فيها التكنولوجيات التعليمية الجديدة بغية تنشئة مواطنين يقظين مسؤولين ومنفتحين علي ثقافات الآخرين، يقدرون الحرية حق قدرها، ويحترمون كرامة الإنسان والفروق بين البشر، وقادرين علي درء النزاعات أو علي حلها بوسائل غير عنيفة.

المادة 5

الالتزام بالعمل

-5إننا نأخذ علي عاتقنا العمل علي تعزيز التسامح واللاعنف عن طريق برامج ومؤسسات تعني بمجالات التربية والعلم والثقافة والاتصال.

المادة 6

اليوم الدولي للتسامح

6-1 وسعيا إلي إشراك الجمهور، والتشديد علي أخطار عدم التسامح، والعمل التزام ونشاط متجددين لصالح تعزيز نشر التسامح والتعليم في مجال التسامح، نعلن رسميا يوم السادس عشر من شهر تشرين الثاني

شهادات منصفة في تسامح الإسلام:

لوي ماسنيون (1883–1962):

كان يسمى الإسلام على المستوى الاجتماعي حكومة المساواة الإلهية أو الثيوقراطية المحبة للمساواة.[1]

وذهب المستشرق الألماني "**أولرش هبرمان**" إلى القول: أن الذي لفت نظري أثناء دراستي لهذه الفترة فترة العصور الوسطى هو درجة التسامح التي تمتع بها المسلمون، وأخص هنا صلاح الدين الأيوبي، فقد كان متسامحا إلى أبعد حد من المسحيين ، بل كان أكثر تسامحا من المسحيين أنفسهم، إن المسيحية لم تمارس الموقف نفسه تجاه الإسلام، فالإسلام دون مزايدة هو دين جذاب، ربما راجع إلى يسر محتوى رسالته.[2]

روبرتسون: "إن إن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم هم الأمة الوحيدة التي جمعت بين التحمس في الدين والتسامح فيه، أي أنها مع تمسكها بدينها لم تعرف إكراه غيرها على قبوله أو اعتناقه.[3]

أما **غوستاف لوبون** في مؤلفه (حضارة العرب) فيقول: كان محمد كثير المسامحة لليهود والنصارى وغيرهم خلافا لما يقول ويظن البعض، فساعد وضوح الإسلام وما أمر به من العدل والبر والإحسان على انتشاره في العالم دون إكراه **كالمصريين** الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة **القسطنطينية ف**أصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام.[4]

إن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية مما لم يقم بمثله مؤسسو الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية باعتبارها أقرب إلى التوحيد، وقد اعترف بعض علماء أوروبا بالمنصفون وهم قلة.

وقال ميشود **michaud (1989-1996)** في كتابة **تاريخ الحروب الصليبية** : إن الإسلام الذي بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى قد أعفى البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرم محمد صلى الله عليه وسلم قتل الرهبان على الخصوص، لعكوفهم على

---

[1]–**لويس ماسنيون** (massignon) 1883–1962 مستشرق فرنسي اهتم بنشر مؤلفات الحلاج.

[2]– المفكر نفسه.

[3]–**لويس ماسنيون** –المكر نفسه.

[4]–المفكر نفسه.

العبادات، كما لم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، فذبح **الصليبيون** المسلمين بلا شفقة ولا رحمة حين دخلوها أي بلاد القدس وقال الراهب ميشو في كتابه رحلة دينية في الشرق: ومن المؤسف ألا تقتبس الشعوب النصرارنية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين، وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقهر والقوة، وعلى عكس ذلك كان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم العادل عمر بن الخطاب نحو النصارى وقتها دخلها، قال كاهن مدينة لوري **(ريمون داجيل)**: حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها.

فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعالي الأسوار كما حرق بعضهم في النار، فكان ذلك عذاب وتنكيل شديدين.[1]

ويمكن القول بأن التسامح الديني كان مطلقا في دور ازدهار حضارة العرب، لم يفكر النصارى بعد أن استردوا غرناطة التي كانت معقل الإسلام الأخير في أوربا، وذلك في السير على سنة العرب في التسامح الذي رأوه منهم قرونا عديدة، إذ لم يشعروا طوال هذه المدة بالاستبداد أو القهر أو الحرمان من حقوقهم، بل بالعكس أخذوا يضطهدون العرب بقسوة لا مثيل لها على الرغم من العهود.

كان يمكن أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم، فيقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة المغلوبين، ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون نشره في العالم، فلو فعلوا ذلك لتألبت عليهم جميع الأمم التي كانت بعد، غير خاضعة لهم، ولأصابهم ما أصاب الصليبيين يوم دخلوا بلاد دستورية، ولكن العرب اجتنبوا ذلك لعبقريتهم في التعامل الذي نادرا ما نجده عند الديانات الأخرى.

ماذا قال المسيحيون عند معاملة الفاتحين لهم؟

قال البطريق يشوع الثالث في رسالة بعثها إلى المطران رئيس أساقفه فارس: إن الغرب الذين منهحم الله سلطان الدنيا، يشاهدون ما أنتم عليه وهم بينكم تعلمون ذلك حق العلم،

[1]-**ماسنيون** مستشرق فرنسي أبهر العالم العربي بتعلمه الغزير وروحانيته العالية.

ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية، بل على العكس يعطفون على ديننا ويكرمون قسنا وقديسي الرب، ويجودون بالفضل على الكنائس والأديار.

وتقول المستشرقة الإيطالية لورافيشيا فاغليري عن روعة انتشار الإسلام

أية قوة عجيبة تكمن في هذا الدين؟

أية قوة داخلية من قوى الإقناع تنصهر به؟

ومن أي غور سحيق من أغوار النفس الإنسانية ينتزع نداوة استجابة منزلة.

ووصف الكونت هنري دي كاستري المسلمين بقوله:

فلم يقتلوا أمة أبت الإسلام.

ولم يكره أحد على الإسلام بالسيف، ولا باللسان، بل دخل القلوب عن شوق واختيار وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب.

وهذه شهادة المؤرخ (**وول ديورانت**) في قصة الحضارة يقول: لقد كان أهل الذمة المسيحيون و**الزردشيون**، و**اليهود** و**الصائبون**، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائر دينهم واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لعلمائهم وقضاتهم وقوانينهم وأنظمتهم.[1]

ويصنف **وول ديورانت** * **(1885-1981)** قائلا: وعلى الرغم من خطة التسامح الديني الذي كان ينتهجها المسلمون الأولون اعتنق الجديد معظم المسيحين[2].

قد عزا المستشرق **غوستاف لوبون (1841–1931)** سرعة انتشار الإسلام بين الشعوب الأخرى إلى هذه المعاملة الحسنة من قبل المسلمين لغيرهم وفقا:

وساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم وتفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام

---

[1]– **وول ديورانت**، قصة الحضارة، ج13، ص 130.

[*] **وول ديورانت** مفكر وفيلسوف أمريكي ولد عام 1858 تلقى تعليما كاثوليكيا تحصل على البكالوريوس ثم الماجستير فالدكتوراه إمتهن التدريس وبعدها تفرغ للكتابة وله العديد من المؤلفات ومن أهمها قصة الفلسفة– الفلسفة والمشكلة الفلسفية، و قصور الفلسفة .وأضخمها وأشملها قصة الحضارة.

[2]– المرجع نفسه، ص 131.

كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة **القسطنطينية** فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام كما نفسر السبب في عدم تنصر أية أمة بعد أن رضيت بالإسلام دينا، سواء كانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة[1] ويضيف **غوستاف لوبون** قائلا: القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن فقد ترك العرب المغلوبين أحرارا في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين مالم يروا مثله من سادتهم أو حكامهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل [2] وكان العدل بين الرعية دستور العرب السياسي وترك العرب الناس أحرارا في أمور دينهم ويقول روبرستون في كتابه تاريخ شارل لوكان، إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وإنهم مع امتشاقهم الحسام نشرا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارا في التمسك بتعاليمهم الدينية ويقول **ميتشود mitchaud** في كتابه تاريخ الحروب الصليبية: إن القرآن الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وقد أعضى البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب وحرم محمد قتل الرهبان لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، ويؤكد ذلك المستشرق الإنجليزية توماس أرنولد في كاتبه الدعوة إلى الإسلام إذ يقول: لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصيد منهن استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ ذلك أي تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فرديناند **ferdinand** وايزابيلا **isabilla** دين الإسلام من اسبانيا أو التي تجعل لويس الرابع عشر louis XIV المذهب البروتستيني مذهبا يعاقب عليه متبعوه في فرنسا.[3]

وهذه شهادة المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه (1916-1999)** في كتابها:شمس العرب تسطع على الغرب، حول حرية المعتقد، فتقول: "لا إكراه في الدين" هذا ما أمر به القرآن

---

[1]- **لوبون غوستاف**، حضارة العرب، ص 128.

[2]-المرجع نفسه، ص 132.

[3]- المرجع نفسه ص128.

الكريم، وبناءا على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في **الإسلام**، فالمسيحيون **والزرادشيون** و**اليهود** الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة التعصب الديني وأفضعها، سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم، بممارسة شعائر دينهم، وترك لهم المسلمون بيوت عباداتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى[1] وينقل **شكيب أرسلان** جملة للأب **ميشون** استشهد بها المنصفون كثيرا في كتاباتهم عن الإسلام وهي: إن من المحزن للأمم المسيحية أن يكون التسامح الديني هو أعظم ناموس للمحبة بين شعب وشعب هو مما يجب أن يتعلمه المسيحيون من المسلمين [2] ثم ينقل عن المستشرق رون قوله: إن من أحسن فضائل المسلم أنه متسامح مع من يخالفه في الدين تسامحا عمليا.[3]وهذه كذلك شهاد المستشرقة الإيطالية **لورا فاغليري** في كتابها: **دفاع عن الإسلام** إذ تقول كان المسلمون لا يكادون يعتقدون الاتفاقيات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية المعتقد، وحتى يجمعوا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول في الدين الجديد ، والجيوش الإسلامية ما كانت تتبع بحشد من المبشرين الملحاحين غير المرغوب فيهم، وما كانت تضع المبشرين في مراكز محاطة بضروب الامتياز لكي ينشروا عقيدتهم أو يدافعوا عنها.[4]وحول التسامح وأغراض الجزية تسجل فيشيا فاغليري شهادتها في كتابها، دفاع عن الإسلام بقولها: منحت تلك الشعوب حرية الاحتفاظ بأديانها القديمة وتقاليد القديمة، شرط أن يدفع الذين لا يرضون الإسلام دينا ضريبة عادلة إلى الحكومة، تعرف بـــ **(الجزية)** لقد كانت هذه الضريبة أخف من الضرائب التي كان المسلمون ملزمين بدفعها إلى حكوماتهم نفسها، ومقابل ذلك منح أولئك الرعايا المعروفون بأهم الذمة حماية لا تختلف في شيء عن تلك التي تمتعت بها الجماعة الإسلامية نفسها، ولما كانت أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم **والخلفاء الراشدين** قد أصبحت فيما بعد قانونا يتبعه المسلمون، فليس من الغدو أن نصر على الإسلام لم يكتف بالدعوة إلى التسامح الديني بل تجاوز ذلك ليجعل التسامح جزءا من شريعته الدينية.[5]

---

[1]– **هونكه زيغريد**، شمس العرب تسطع على الغرب، دار ألأغان الجديدة 1993 بدون طبعة، ص 364.

[2]–**أرسلان شكيب**، التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي في كتاب لوثر وب ستودارد حاضر العالم الإسلامي، مج، ج3، ص 24

[3]–المرجع نفسه، ص 211.

[4]– **لورا فاغليري**، دفاع عن الإسلام، نقلا عن صالح العابد، ص32.

[5]–المرجع نفسه، ص 37.

ثبت الأعلام

أ	
اسم العلم	الصفحة
إبن رشد	ص96، ص132،ص155،ص182،ص183،ص186.
ابن باديس	ص 107، ص108،ص 109 ، ص110، ص111، ص112، ص113،ص115،114.
ابن منظور	ص29
ابراهيم مصطفى	ص27
أعراب محمد	ص 15
أركون محمد	ص أ، ص12، ص13، ص15، ص16، ص30، ص100
الطاهر بن عاشور	ص7،ص12،ص81،ص84،ص86
ابن الحسين عبد الرحمان	ص19
الجابري محمد عابد	ص14،ص112،ص115
أومليل علي	ص12،ص14،ص112،ص115،
التيزيني الطيب	ص116
التوبة غازي	ص75،ص77،ص80
أمين أحمد	ص78،
الجرجاني	ص28،29
الرازي أبو بكر	ص29
الحلو عبده	ص32
السحاق أديب	ص30
اندري لالاند	ص33
الميلاد زكي	ص37،ص117،ص118،ص119
الزين محمد فاروق	ص24
الغرباوي ماجد	ص15
الحصين صالح عبد الرحمان	ص15
أبو خليل شوقي	ص15
ألتوسير لويس	ص21
الطعان عبد الرضا	ص44، ص45

ب	
بن الحسين عبد الرحمان	ص19
بدوي عبد الرحمان	ص37،ص39،ص40،ص98،ص99
بلقزيز عبد الإله	ص91
ت	
تيري بول	ص34
ج	
جمال عبد الجواد	ص94
ح	
حرب علي	ص88
خ	
خليفي عبد المجيد	ص109
خليل أحمد شوقي	ص23
ر	
رشيدة صاري	ص51
ص	
صالح فليفل الجابري	ص52
صالح عبد الرحمان	ص15
صبري محمد خليل	ص17
صليبا جميل	ص19،ص23،ص27،ص36
ط	
طه عبد الرحمان	ص92،ص93
طالبي عمار	ص85
ع	
عزمي زكريا أبو العز	ص99
عبد الكريم المدغري	ص96، ص97
عبد الحسين شعبان	ص14
علي عبود المحمدوي	ص48
عاطف علي	ص22
علي زيغود	ص46
عمر هاشم أحمد	ص73

عمارة محمد	ص72،ص87، ص113
غ	
غوستاف لوبون	ص50
غارودي روجي	ص 95
ف	
فولتير	ص28،ص32،ص57،ص61،58،ص64
فاغليري لورا	ص 67
ك	
كولارجون	ص50
ل	
لوك جون	ص18،ص58،ص59،ص60،ص66
م	
مرحبا محمد عبد الرحمان	ص65،ص70،ص110
مسعود حايفي	ص94
محفوظ محمد	ص90
مسرحي فارح	ص112
س	
سبيلا محمد	ص20،ص24
سبينوزا	ص42
هـ	
هارون الرشيد	ص71
هونكة زيغريد	ص112
و	
ولتزر ميكايل	ص 41

الآيات المفاتيح للتأصيل لمفهوم التسامح في الإسلام :

قال تعالى: "ولا تستوي الحسنة و لا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا كانا بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم ". ا 34 سورة فصلت

قال تعالى: "وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزع بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ." ا 53 سورة الإسراء .

قال تعالى:" امن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، و المؤمنون كل أمن بالله و ملائكته و كتبه ، و رسله لا تغري بين أحد من رسله ". أ 4 سورة البقرة .

قال تعالى: "و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءا فألف بين قلوبكم فأصبحتهم بنعمته إخوانا ".

سورة ال عمران 103

قال تعالى : "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"**الآية 125 سورة النحل**

قال تعالى: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ"**الآية 96 سورة المؤمنون**

قال تعالى : "وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ."**الآية 34 سورة فصلت**

قال تعالى : "وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا"**الآية 53 سورة الإسراء**

قال تعالى: "لَّسْتَ عَلَيْهِم بمسيطر"**الآية 22سورة الغاشية**

قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"**الآية 90 سورة النحل**

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" **الآية 13 سورة الحجرات.**

قال تعالى: "وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" **الآية 118سورة هود**

قال تعالى : "وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" **الآية 108سورة الانعام**

قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" **الآية 107 سورة الانبياء**

قال تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ" **الآية 285 سورة البقرة**

قال تعالى: "لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ" **الآية 256 سورة البقرة**

قال تعالى: "وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" **الآية 46 سورة العنكبوت**

قال تعالى : "وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا" **الآية 103 سورة آل عمران**

قال تعالى : "إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً" **الآية 44 سورة المائدة**

قال تعالى: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" **الآية 199 سورة الاعراف**

قال تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" **الآية 64 آل عمران**

قال تعالى: "مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ" **الآية 85 سورة الحجر**

قال تعالى: "فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلاَمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ" **الآية 89 سورة الزخرف**

قال تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ " **الآية 219 سورة البقرة**

قال تعالى :"وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" **الآية 111 سورة البقرة**

قال تعالى:"أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ" **الآية 24 سورة الانبياء**

قال تعالى:"أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" **الآية 64 سورة النمل**

قال تعالى:"وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ" **الآية 75 سورة القصص**

قال تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" **الآية 94 سورة النساء**

قال تعالى:"وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" **الآية 7-8 سورة الحجرات**

قال تعالى:"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" **الآية 159 سورة آل عمران**

قال تعالى:"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" **الآية 99 سورة يونس**

قال تعالى:"وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"**الآية 109 سورة البقرة**

قال تعالى:"الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" **الآية 134 سورة آل عمران**

قال تعالى:"كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" **الآية 110 سورة آل عمران**

قال تعالى:"فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا" **الآية 28 سورة الاسراء**

قال تعالى: "وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ" **الآية 15 سورة الشورى**

الأحاديث النبوية الشريفة التي تدعو إلى التسامح وتحث عليه

: لقد وردت الكثير من الأحاديث التي تدعو إلى التسامح.

-**فعن ابن عباس رضي الله عنهما** قال: قيل لرسول الله أي الأديان أحب إلى الله قال: "الحنفية السمحة" **أخرجه أحمد.**

-**وعن ابن عباس رضي الله عنهما** قال: قال رسول الله"اسمح يسمح لك" **أخرجه أحمد في مسنده.**

-**وعن أبي سعيد الحذري رضي الله عنه** – عن النبي(ص) قال: "أفضل المؤمنين رجل سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء، سمح الاقتصاد" **رواه الطبراني في الأوسط.**

-**وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما** قال: قال رسول الله"دخل رجل الجنة بسماحته قاضيا متقاضيا". **أخرجه أحمد في مسنده.**

-**وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله** قال: "رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى وإذا اقتضى" **أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب البيوع).**

-**وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله** قال لها"يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا دلّهم على باب الرفق". **أخرجه أحمد في مسنده.**

-**وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه** – قال كأني أنظر إلى رسول الله يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: "ربّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" **أخرجه البخاري في صحيحه.**

-**وعن جرير رضي الله عنه– عن النبي** قال: "يحرم الرفق يحرم الخير" **أخرجه مسلم في صحيحه.**

عن عمر بن عبسة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله فقلت يا رسول الله ما الإسلام؟ قال طيّب "الكلام وإطعام الطعام" قلت وما الإيمان؟ قال: "الصبر والسماحة" قلت أي الإسلام أفضل؟ قال:"من سلم النّاس من لسانه ويده" قلت وأي الإيمان أفضل؟ قال"خلق حسن". **أخرجه أحمد في مسنده.**

وعن أبي موسى قال: كان رسول الله: إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال: "بشروا ولا تنفروا ويسّروا ولا تعسّروا" **صحيح مسلم**.

ترجمة بعض التعاريف باللغة الفرنسية :

- **La tolérance** selon l'islam ne signifié pas que nous croyons que toutes les religions se valent elle ne signifié pas que nous ne sommes pas convaincus de la supériorité de l'islam sur les autres croyances et autres idéologies .
- **La tolérance** est un principe fondamental en islam, c'est un devoir moral et religieux elle ne signifie pas la concession , la condescendance ou l'indulgence .
- **La tolérance** au monde entier signifie le respect, l'appréciation de la grande diversité des cultures du monde, des formes d'expression et comportements humaines.
- Au monde arabe islamique, la tolérance et appelée (tasamuh) (hilm) (afw),(safh).
- **Le coran** parle de la dignité de tous les être humains .
- **L'islam** reconnait depuis toujours de principe de liberté de conviction de liberté religieuse.
- **Le fanatisme :** comportement état d'esprit d'une personne ou d'un groupe de personnes qui manifestent pour une doctrine ou pour une cause un attachement passionné conduisant à l'intolérance et souvent à la violance .

ترجمة أهم المصطلحات المتعلقة بالموضوع :

• تسامح - تساهل - حلم - La tolérance
• لاتسامح - تعصب لرأي أو عقيدة - Intolérance
• لايطاق – لا يتحمل - Intolérable
• تعصبة – عاطفة المتعصبين - Intolérantisme
• متسامح – متسامح – سمح - Tolérant
• تعصب – تعنت – تزمت – Fanatisme
• متعصب - Fanatique
• الغيرية – Altérité
• الغير – الاخر Autre
• مباين – مختلف Différent
• غفران - حلم – تساهل – تسامح - indulgence
• عقدية – دغمائية – وثوقية – يقينية - dogmatisme
• أريحية – نبل – شهامة – كرم تسامح - Magnanimité
• غم- ضيق – اضطهاد – جور – ظلم – طغيان – Oppression
• تنوع – تعدد – اختلاف – تعارض – Diversité
• متنازل – متسامح - Condescendant
• أخلاقي – أدبي – علم الأخلاق – Ethique acceptation
• تشريع إسلامي – l’législation islamique
• تعذيب – اضطهاد – إكراه - إلزام -- persécution
• مذهبية إيديولوجية – Coercition
• عنف – شدة – قهر - Violence
• الأخر – الغير - l’autres
• الأنا –le moi
• الإبادة – الجماعة – إبادة جني - la génocide
• احترام – حياء – توقير – mes pets

- القيمة – valeur
- قوة— puissance
- القهر- contrainte
- الإحسان – bienfaisance
- الإختلاف-différance
- تقبل –acceptation
- الحرية—liberté
- المساواة – l'égalité
- الكرامة—dignité
- السلوك –comportement
- التنازل –concession
- الاحترام— respect
- الديانة --- religion
- المتدين – religieux
- تساهل- تسامح --حلم -- indulgence
- مذهبية –إيديولوجي -- idiologie
- الضمير –conscience
- يقين –إعتقاد راسخ –conviction
- مطيع –obéissant
- مواجهة --Affrontement

فهـــــرس

الفهرس

شكر وعرفان	
الإهــداء	
المقدمــة	
قراءة في المقابلات	20
الفصـــــل الأول: التسامح من المفهوم إلى التاريخ	
المبحث الأول: التسامح الدلالة والمعنى	28
أولا:المعنى اللغوي للتسامح	29
ثانيا :المفهوم الاصطلاحي للتسامح	36
ثالثا : المفهوم الفلسفي للتسامح	41
المبحث الثاني: التطور التاريخي لمفهوم التسامح	48
أولا :التسامح في الحضارة الشرقية القديمة	49
ثانيا :التسامح في الحضارة الغربية القديمة	56
المبحث الثالث: التسامح في الفكر الغربي الحديث والمعاصر	63
أولا :التسامح في الفكر الغربي الحديث	64
ثانيا :التسامح في الفكر الغربي المعاصر	69
الفصـــــل الثاني:مفهوم التسامح في الإسلام	
المبحث الأول: التسامح مع ظهور الإسلام	76
أولا: التسامح والمجتمع	78

ثانيا: التسامح وفق المنظور الإسلامي	79
ثالثا: التسامح كما أشارت إليه النصوص	80
رابعا: الأخر في نظر الإسلام	86
خامسا: قيمة التسامح في الإسلام	88
المبحث الثاني:الحركة العربية الإصلاحية ومسألة التسامح	90
أولا: التسامح في فكر محمد عبده	95
ثانيا: التسامح كما يراه الطاهر بن عاشور	100
ثالثا: التسامح وفق منظور عبد الحميد بن باديس	105
الفصل الثالث:التسامح وإشكالية الأنا والأخر في الفكر العربي الإسلامي.	
المبحث الأول: في تحديد معنى الأنا و معنى الأخر	116
أولا :المعنى اللغوي والإصطلاحي للأنا والأخر	119
ثانيا :الحوار مع الأخر	121
ثالثا: التسامح والحوار مع الآخر	123
رابعا: المفهوم الأنا والأخر في الفلسفة	125
المبحث الثاني: التسامح في نظر محمد أركون	128
أولا: المجتمعات الإسلامية وفكرة التسامح	129
ثانيا: معيقات التسامح في نظر محمد أركون	133
ثالثا: شروط ممارسة التسامح الإيجابي في نظر محمد أركون	137
المبحث الثالث: التسامح وشرعية الإختلاف في فكر علي اومليل	144
أولا: مدخل	145
ثانيا: التراث ومسألة الاختلاف	145
ثالثا: التراث وتجربة التسامح	147
رابعا: التسامح وشرعية الاختلاف	149
خامسا: الاختلاف والخلاف في نظر علي أومليل	150

الفصل الرابع: إشكالية تأصيل مفهوم التسامح في التراث	
المبحث الأول: مفهوم التراث	158
أولا :مفهوم التراث لغة	163
ثانيا : مفهوم التراث إصطلاحا	164
ثالثا: مفهوم التراث الإسلامي	166
رابعا: قيمة التراث في الإسلام	166
خامسا: التراث من منظور راهن	167
المبحث الثاني: تأصيل مفهوم التسامح في التراث	172
أولا: التأصيل لغة	173
ثانيا: موقف الإسلام من التسامح	175
ثالثا: تجليات التسامح في التراث	181
خـــــاتمـة	187
فهرس المصادر والمراجع	194
فهرس الملاحق	213
شهادات منصفة في تسامح الإسلام	220
تبث الأعلام	225
الآيات المفاتيح للتأصيل لمفهوم التسامح	228
ترجمة بعض التعاريف باللغة الفرنسية	232
فهرس	236